Remove Watermark
Wondershare PDFelement

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــامعـــة القـــادسيـــــة
كليّـــة الآداب
قسم اللغة العربية

المرجعيات الثقافية
في منجز أبي حيان التوحيدي

رسالة تقدّم بها

هاشم خضير عطية

إلى مجلس كليّة الآداب / جامعة القادسية
وهي من متطلّبات نيل شهادة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها / أدب

إشراف
الأستاذ الدكتور
كريم المسعودي

١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م

Remove Watermark
Wondershare PDFelement

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾

صدق الله العليّ العظيم

[الكهف: ٦٦]

Remove Watermark Wondershare PDFelement

إقرار المقوّم العلمي الأول

إنّي ..... أقرّ أنّ هذه الرسالة الموسومة بـ ((**المرجعيات الثقافية في منجز أبي حيان التوحيدي**)) والمقدّمة من الطالب ((**هاشم خضير عطية**)) قد قوّمتها علمياً وهي صالحة للمناقشة من النّاحية العلمية، ولأجله وقعت.

Wondershare PDFelement

الإمضاء :

الاسم :

الجامعة :

التاريخ :

Remove Watermark Wondershare PDFelement

إقرار المقوّم العلمي الثاني

إنّي ..... أقرّ أنّ هذه الرسالة الموسومة بـ ((**المرجعيات الثقافية في منجز أبي حيان التوحيدي**)) والمقدّمة من الطالب ((**هاشم خضير عطية**)) قد قوّمتها علمياً وهي صالحة للمناقشة من النّاحية العلمية ، ولأجله وقعت.

Wondershare PDFelement

الإمضاء :

الاسم :

الجامعة :

التاريخ :

Remove Watermark Wondershare PDFelement

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة ((**المرجعيات الثقافية في منجز أبي حيان التوحيدي**)) للطالب ((**هاشم خضير عطية**)) قد جرى بإشرافي في جامعة القادسية / كلية الآداب/ قسم اللغة العربية ، وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ أدب .

الإمضاء:

المشرف: أ.م. د. كريم المسعودي

التاريخ : / / ٢٠٢٢

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشّح هذه الرسالة للمناقشة:

الإمضاء:

رئيس قسم اللغة العربية

الاسم: أ.م.د. ثامر عبد الكريم البديري

التاريخ : / / ٢٠٢٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Remove Watermark Wondershare PDFelement

اقرار لجنة مناقشة رسالة الماجستير

جامعة القادسية/ كلية:
دراسات العليا

قر اننا اعضاء لجنة مناقشة طالب الماجستير :---هاشم ضاير دليه---

سم :---اللغة العربية---اطلعنا على التصحيحات والتعديلات التي تم اجرائها من

يل الطالب والتي تم اقرارها في المناقشة من قبلنا فهي جديرة بدرجة ---جيد جدا---في

---النقد القديم---وعليه وقعنا.

عضاء لجنة المناقشة:

ت	الاسم	اللقب العلمي	التوقيع	الصفة
1	أ.د. صباح كمبرديد عطية	أستاذ	صباح	رئيسا
2	أ.م.د. سلام عبد كاظم	استاذ مساعد		عضوا
3	أ.م.د. مرتضى شناوة فاهم	استاذ مساعد		عضوا
4	أ.م.د. كريم مهدي المحمودي	أستاذ مساعد		عضوا ومشرفاً

صادق مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية على قرار اللجنة

أ.د. ياسر علي عبد

العميـــــد

٢٠٢٢ / /

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Remove Watermark Wondershare PDFelement

الإهداء:

إلى من أريقت دماؤهم لنعيش بسلام

شهداء العراق (تغمّدهم الله بواسع رحمته)

إلى من فقدته ولا زلت أفقده أستند عليه... لا زالت كلماته توجّهني

إلى الذي لم أنسه لأتذكّره ... والدي (الحاضر الغائب).

إلى من تطيب الحياة بهم: أمّي ... أخي ... أخواتي ... أبنائي ... بناتي ... زوجتي

بكم أحقق أمنياتي

هاشم

Remove Watermark Wondershare PDFelement

شكر وعرفان

بحمد الله وشكره، وبعد أن أكملتُ هذه الرسالة، أتقدّم بالشكر والتقدير إلى أستاذي الفذ الدكتور المبدع (كريم المسعودي) مشرف هذا البحث؛ لما بذله من جهودٍ علميّة قيّمة، وما قدّمه من توجيهات صائبة دقيقة، وكان حريصاً على إنجاز هذه الدراسة على أفضل وجه، والشكر موصول إلى أستاذتي الفذة الدكتورة (شيماء فاهم)؛ لما قدّمت من جهدٍ مبارك، وكذلك الشكر موصولٌ إلى أساتيذي الكرام في لجنة اختيار الموضوع، كل من الدكتور (ياسر علي الخالدي)، والدكتور (حسين عبد الشمري)، والدكتورة (هيام عريعر)؛ لما قدموه من توجيهاتٍ علميّة أثناء سفر أستاذي المشرف إلى سوريا؛ لأيام عدّة .

ونسأل الله التوفيق والسداد

Remove Watermark Wondershare PDFelement

مسرد الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمـة	أ ـ ث
التمهيد: مرجعيّات أبي حيّان التكوينيّة	١ ـ ٢٧
الفصل الأول: المرجعيّة الدينيّة	٢٨ ـ ٦٦
المبحث الأول: أثر القرآن الكريم في تشكيل ثقافة التوحيدي	٢٩ ـ ٤٢
المبحث الثاني: أثر الحديث النّبوي الشريف	٤٣ ـ ٥٥
المبحث الثالث: الديانات والكتب السماوية الأخرى	٥٦ ـ ٦٦
الفصل الثاني: المرجعية الفلسفية	٦٧ ـ ١٠٠
المبحث الأول: الفكر اليوناني	٦٨ ـ ٨٠
المبحث الثاني: الفكر الفارسي	٨١ ـ ٨٩
المبحث الثالث: الفكر الاعتزالي	٩٠ ـ ١٠٠
الفصل الثالث: شخصيات أدبية ونقدية	١٠١ ـ ١٤٨
المبحث الأول: النظير العربي	١٠٢ ـ ١١٥
المبحث الثاني: النّظير الآخر	١١٦ ـ ١٢٨
المبحث الثالث: كتب أدبية ونقدية	١٢٩ ـ ١٤٨
الخاتمة	١٤٩ ـ ١٥٢

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المصادر والمراجع	١٥٣ ـ ١٦٤
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	A – b

Wondershare PDFelement

Remove Watermark
Wondershare PDFelement

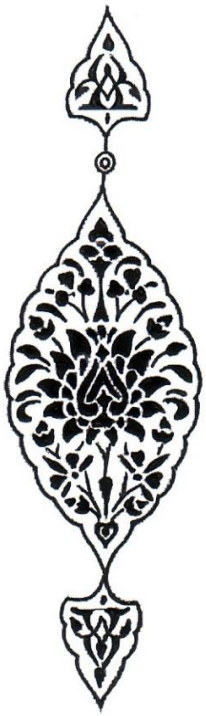

مقدمة

Wondershare PDFelement

Remove Watermark Wondershare PDFelement

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد ...

فقد اهتم الدارسون من المحدثين بأبي حيان التوحيديّ بعد أن أهمله القدماء منهم، ولم ينل ما كان يطمح إليه من الاهتمام والتقدير، وكثرت الدراسات عن سيرة هذا الرّجل، وتصانيفه، وتحقيقها، ودراستها على وفق مناهج أدبيّة ونقدية مختلفة، واتسعت هذه الدراسات في القرنين الأخيرين لتشمل فكره وثقافته، وأسلوب كتابته، واتجاهاته، وروافده الفكرية والأدبيّة .

يعد التوحيديّ من أبرز كتّاب النّثر في القرن الرابع الهجري ـ إن لم يكن الأفضل فيهم ـ من دون منافس، فقد تميّز بسعة ثقافته، وجمال أسلوبه، وتنوّع منابعه، ولم يلتزم منهجاً محدداً في كتابته، ومنهجه في تأليف كتابه (البصائر والذخائر) يختلف عن منهجه في تأليف كتاب (الإمتاع والمؤانسة)، و(الإشارات الإلهيّة) يختلف عن منهجهما، وكذلك بقيّة مصنّفاته، لكل كتاب منهج وطريقة تأليف خاصة به، واعتمدتُ في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، وكذلك المنهج النّفسي؛ لدراسة ثقافته وأدبه ومرجعيّاته، وعرض أهمّ اتجاهاته الدينيّة والفلسفيّة وآرائه الأدبيّة والنّقديّة، ولم تنحصر الدراسة على المنجز الأدبي أو النقدي لأبي حيان؛ لما وجده الباحث من روافد ثقافية متنوعة، وقد اشتغلتُ على منجز التوحيدي في أعمّه أو أغلبه، لأنّني حاولتُ أن أسلّط الضوء على مرجعيّاته الثقافية، وليس المنجز الأدبي فقط، فالمقابسات، والهوامل والشوامل تصنّف ضمن الكتب الفلسفيّة، وقد درسها على يد أبي سليمان ومسكويه، والإشارات الإلهية يُصنّف ضمن الكتب الدينية، وكذلك تنوّعت بقية مؤلفاته بين الجانب الاجتماعي والأدبي والنقدي، وهنالك مسائل نحوية تمّ إهمالها؛ لقلّتها، وجاءت في كتابه (البصائر والذخائر)، وتركّزت الدراسة على

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المرجعيات الثقافية التي لا يمكن إغفالها، والتي شكّلت ملامح شخصية أبي حيان التوحيدي.

وبدأت رحلتي مع أبي حيان منذ أيام الدراسة التحضيريّة للماجستير، بتشجيعٍ من أستاذتي الفاضلة (الدكتورة شيماء فاهم خيري) التي أوكلت لي إنجاز تقرير عن كتاب (الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدي، وعلى الرغم من صعوبة هذه المهمّة في وقتها لضيق الوقت قرأتُ الكتاب، فأُعجبتُ به بل دُهشتُ بجمال أسلوب التوحيدي، وثقافته وفكرة تأليف الكتاب الذي يقع ضمن أدب المجالس، فقررت البحث عن موضوعٍ أكتشفُ من خلاله جوانب هذه الشخصية المهمّة، وأسباب اندثارها قديماً وشهرتها حديثاً في أدبنا العربي، وعند انتهاء السنة التحضيرية ذهبتُ إلى معلمي الأول الأستاذ الدكتور الفاضل (كريم المسعودي)، وقدمتُ له طلباً لمساعدتي في اختيار الموضوع، فكان صدره رحباً، فاقترحتُ عليه الموضوع، فساهم في تعديله، وكان سعيداً؛ لما في الموضوع من الجدّة والأهمّية.

وقد اشتمل هذا البحث على هيكلية ضمّت مقدمة، وتمهيداً موجزاً، وثلاثة فصول، وخاتمة. انتظم التمهيد على البحث في مصطلح المرجعيّات الثقافية، والحديث عن سيرة التوحيدي، وروافده، ومصنفاته .

وأمّا (الفصل الأول) من الدراسة فهو للمرجعيات الدينية، وقد قسّم على ثلاثة مباحث، تناولتُ في المبحث الأول أثر القرآن الكريم في كتاباته، وانتقلتُ في المبحث الثاني إلى أثر الحديث الشريف فيها، فيما تناولتُ في المبحث الثالث أثر الديانات والكتب السماوية الأخرى في كتب التوحيدي.

وخُصص (الفصل الثاني) لدراسة المرجعيّة الفلسفيّة لأبي حيان عبر ثلاثة مباحث، تناول الأول الفكر اليونانيّ، فيما تناول الثاني الفكر الفارسي في كتب التوحيدي، وتناول المبحث الثالث الفكر الاعتزالي وتوجّهاته الدينية.

وأمّا (الفصل الثالث) فقد تعرضتُ فيه لدراسة شخصيات وكتب أدبيّة ونقدية عن طريق ثلاثة مباحث أيضاً؛ اختص الأول بدراسة النّظير العربي لأبي حيان

Remove Watermark Wondershare PDFelement

التوحيدي، وتناول الثاني النّظير الآخر له، فيما تناول المبحث الثالث كتباً أدبيّة ونقدية أثّرت في فكر التوحيدي وأدبه.

ثمّ ختمتُ الدراسة بعرض ملخّص لأبرز النّتائج التي توصلنا إليها عند دراستنا لمرجعيّات أبي حيان الفكرية والأدبية.

Wondershare PDFelement

Remove Watermark
Wondershare PDFelement

تمهيد:

مرجعيّات أبي حيّان التكوينيّة

Wondershare PDFelement

Remove Watermark Wondershare PDFelement

أولا: مفهوم المرجعيات الثقافية:

بالعودة إلى معنى المرجع في اللغة والاصطلاح وربطه بمفهوم الثقافة سيكون بالإمكان إيجاد مفهوم محدد ودقيق وشامل لمصطلح المرجعيات الثقافية، ولكي نفهم مصطلح المرجعية (Referentality) نعوم إلى أصله، فالمرجع (Referent) اسم مشتق من الفعل (رَجَعَ، يرجعُ، رجعاً، ورجوعا، ورجعانا، ومرجعاً ومرجعة: انصرف)، وفي التنزيل: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ (العلق: ٨)، أي: الرجوع والمرجع مصدر على (فُعلى)، وفيه: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٤٨) ، أي: رجوعكم[١].

وجاء في المعجم الوسيط: المرجع ((محل الرجوع ، والأصل ، وما يرجع إليه في علمٍ أو أدب من عالم أو كتاب))[٢]. إذن هناك معنى مشترك في كلا التعريفين؛ إذ جاء المرجع فيهما دالاً على الرجوع والإسناد إلى شيءٍ أو عودة الشيء إلى الشيء .

أمّا في الاصطلاح فالمرجع عند محمّد التنوجي هو ((كل كتاب لم يؤلفه كاتبه وجاء في زمن متأخّر هو مرجع))[٣]، في حين عرف سعيد علوش مصطلح المرجعية بأنّه ((العلاقة بين العلامة وما تشير إليه))[٤]، أي: العلاقة بين الكلمة والمعنى وبين ما يقصد الكاتب، كما أنّ المرجعية متعلقة بمصطلح الوظيفة المرجعية الذي ذكره رومان جاكوبسن، ((وهي في أساس كل تواصل تحدد العلاقات بين المرسلة والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه))[٥]. وهنا يفهم منه الإشارة إلى دور الوسط الاجتماعي

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ) ، تح: محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٩٩٩: ٥ / ١٤٨ .

(٢) المعجم الوسيط، مجموعة من اللغويين منهم د. شوقي ضيف في مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤: ٣٣١ .

(٣) المعجم المفصل في اللغة والأدب ، محمّد التنوجي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩: ١ / ٧٨٢.

(٤) معجم المصطلحات الأدبية، سعيد علوش، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥م: ٩٧ .

(٥) النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسن، فاطمة الطبال بركة ، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٩٧: ٦٧.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

في فهم معنى المرجعية، ولقد سبقتنا دراسات أصّلت بشكل أوسع لمصطلح المرجعيات[١]التي نقصد بها ((الخلفيات المعرفية والمنابع الفلسفية التي يصدر عنها النّقاد المعاصرون في خطاباتهم النّقدية ، فلا يمكن لأي باحث أو ناقد أن ينطلق من العدم أو الفراغ ، بل لا بد من تراكم معرفي وأصول فكرية يستند إليها))[٢]، وهي ثلاثة أنواع: منقطعة عن التراث ، ومتقوقعة حوله ، وانتقائية[٣].

أمّا مفهوم الثقافة فقد ذُكرت له تعريفات عديدة وأصّلت له دراسات كثيرة[٤]، نذكر منها تعريف إدوارد تايلور (Tyloreedward) بأنّها ((ذلك الكل المركب الذي يضمّ المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وكل المقدسات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان في مجتمع معيّن))[٥]، وتعريف كلوكهون (kluckohn) ((الثقافة هي وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ ، والظاهر منها والضمني ، والعقلي واللاعقلي التي توجد في وقت معيّن والتي تكون وسائل إرشاد توجّه سلوك الأفراد في المجتمع))[٦].

وبالاعتماد على ما تقدّم ولأنّ الباحثين لم يتفقوا على مفهوم شامل للمرجعيات الثقافية نستطيع أن نعرّفها على الرغم من أنّ النّهوض بهكذا مهمّة لا يخلو من

---

(١) للتوسع أكثر في مفهوم المرجعية في اللغة والاصطلاح ينظر: التأصيل النظري لمصطلح المرجعية ، سلاف بعزيز، جامعة الشهيد حمة لخضير ـ الوادي: ١٢٠ ـ١٢٧ ، والمرجعيات الثقافية وبناء المتخيّل السردي ، رسالة ماجستير ، أحمد خالد مصطفى ، خديجة نادي ـ ثناء بن جدة ، كلية الآداب، جامعة العربي، الجزائر: ٦ _ ٧.

(٢) مرجعيات التفكير النّقدي العربي الحديث ، بشير ابرير ، مجلة علامات، ع٤٩ ، م١٣ ، سبتمبر ٢٠٠٣: ٥٩٨ .

(٣) ينظر: مرجعيات التفكير النّقدي العربي الحديث: ٦٠٠ ـ ٦٠٩ .

(٤) ينظر: الثقافة الإسلامية، د. مصطفى مسلم، د. فتحي محمّد الزغبي، إثراء للنّشر، الأردن ، عمان: ٢٧ ، والمرجعيات الثقافية وبناء المتخيّل السردي: ٨ _ ١١ .

(٥) نقلا عن مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دنيس كوش، ترجمة: د. منير السعيداني، مراجعة: الطاهر لبيب، ط١، المنظمة الغربية للترجمة، الحمراء ـ بيروت، لبنان، ٢٠٠٧: ٣٠ ـ ٣١، وينظر: السردية العربية الحديثة الأبنية السردية والدلالية لعبد الله إبراهيم ، أطروحة دكتوراه ، أسماء حريري ، الجزائر ، جامعة محمّد: ٥٢ .

(٦) المرجعيات الثقافية وبناء المتخيّل السردي: ١٠ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

صعوبة فنقول: هي مجموعة الروافد المعرفية والثقافية والأدبية والأصول الفكرية التي تقع ضمن الخطاب يتكأ عليها الباحث أو المؤلف أو يحيل إليها ، وإنّ غيابها يؤدي إلى غياب أسانيد الخطاب النّقدي والثقافي والمعرفي وبالتالي يكون النّص غير مكتمل نظريّاً ويتسم بطابع الغموض كما أنّ وجودها يكشف لنا ثقافة مجتمع من المجتمعات.

إذن، فلا بد من أن تكون هناك مرحلة تأسيس أولية ، فكتاب العين للخليل (١٧٥هـ) والكتاب لسيبويه (١٨٠هـ) لم يكونا طفرة، بل هما ثمرة لجهود سابقة[١]، ولا يمكن للباحث في مجال الأدب والنّقد أن يشرع في البحث أو الدراسة والتحقق من دون الاستناد على مرجعية أو يحيل إليها، وهذا ما نجده عند أبي حيان الذي كثيراً ما نهل من كتب الجاحظ وسلك مسلكه وسافر إلى البادية والتقى بالأعراب ، وأخذ عنهم وعمل بالوراقة فاطّلع على أنواع المعارف من شيوخه ، وكان يسمع منهم وحضر مجالسهم، ولعلّ تعدد مرجعيات أبي حيان كان السر وراء اتساع ثقافته[٢].

ثانيا: السلطة والسياسة:

عاش أبو حيان في القرن الرابع الهجري وتحديداً من (٣١٠هـ ـ ٤٢٤هـ) ، وكان عصره من أعنف العصور التي مرّت بها الدولة العباسية، وضعفت سلطة الخليفة أواخر القرن الثالث؛ إذ تولّى المكتفي بالله الخلافة، على العكس من مدّة حكم أبيه الذي كان صلباً يسحق من يعارضه من القادة والوزراء، كما أنّ الخليفة الابن لم يترك وليّا للعهد من بعده، فساهم في إضعاف الخلافة مرة أخرى، وقال لا أتحمل تبعات الخلافة حيّا وميتاً[٣]، وانقسم الملك في هذا العصر وانتشرت الفوضى وذاعت

(١) ينظر: المرجعيات في النّقد والأدب واللغة ، محمّد شندول ، جامعة اليرموك ، مؤتمر النّقد الدولي الثالث عشر: ١ .

(٢) ينظر: مرجعيات التفكير النّقدي العربي الحديث: ٦٠٠ _ ٦٠٩ .

(٣) ينظر: الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي ، د. علي الدب ، ط٢ ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٠م : ١١ ـ ١٢ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

الفتنة وصار الولاة والأمراء والحكّام يعبثون بسلطان الخلفاء وهيمنوا على القرارات وأصبح مصير الخليفة بأيديهم(١)، وأصبح الحال مجموعة من الأمراء ضمّت الطوائف والملل التي تتصارع على الخلافة بهدف الإثراء والتحكّم وفرض نزواتهم وبعدها زالت قدسية الخلافة وتفكك الارتباط بالأقاليم الواسعة، وبالتالي كثير من الأمراء تذمّروا وامتنعوا عن دفع الضرائب للدولة، ثمّ بادروا بالانفصال وإقامة الإمارات المستقلة(٢)، وقد حكم ابن رائق البصرة وواسط، والبريدي خوزستان، واحتفظ بنو بويه بحكم العراق والأهواز فارس، كما أنّ الساسانيين العجم مستقلون بخراسان، وما وراء النّهر، وإنّ بني حمدان من بطون تغلب بسطوا سلطانهم على الموصل والجزيرة والشام، وأقام الفاطميون ـ وهم فريق من الشيعة ـ ملكهم متغلبين على أفريقية والمغرب، والقرامطة اتباع حمدان قرمط أفسدوا وهدموا في البحرين واليمامة وهَجَر، وأمّا الأندلس فكان يحكمها الملك عبد الرحمن الناصر الأموي ، تلك هي أوضاع الدولة حوالي سنة (٣٢٤هـ)(٣).

وعلى الرغم من هذه الاضطرابات والانقسام والفوضى فقد كان هذا العصر في الوقت نفسه أزهى العصور ثقافيّاً وعلميّاً، ولم يكن ذلك وليد العصر نفسه ، فلقد سبقته نهضة علمية وثقافية أتت ثمارها كاملة في هذا القرن(٤)، فلا ترتبط الحالة السياسية بالحالة العلمية والأدبية وليس هناك تلازم بينهما، فضعف الدولة سياسيّاً لا يعني ضعفها علميّاً وثقافيّاً، بل إنّ النّشاط العلمي والأدبي سار على قوّته في تحقيق

(١) ينظر: أبو حيان التوحيدي، د. إبراهيم الكيلاني، ط٢، دار المعارف ، مصر: ٥ .

(٢) ينظر: الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي: ١٨ .

(٣) ينظر: الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: د.إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨: ٥ ـ ٦ .

(٤) ينظر: آراء أبي حيان التوحيدي في السياسة ، محمّد فوزي الجبر ، مجلة الزرقاء للدراسات والبحوث ، العدد الأول: ١٣٤.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

هدفه بنفس القوّة التي سار عليها في القرن الثالث[١]، فمن سمات السياسة التغيّر المفاجئ، في حين إنّ الحركات العلمية والأدبية تحتاج إلى تمهيد طويل ، وفي حال انقطعت أو ضعفت تحتاج إلى مدة من الزمن[٢]، ولم يبتعد أبو حيان عن هذا الوضع، ويصف لنا فئة الخلفاء والسلاطين فيقول: ((وقد بُلينا بهذا الدهر الخالي من الدّيّانين الذين يصلحون أنفسهم ويصلحون غيرهم بفضل صلاحهم ، الخاوي من الكرام الذين كانوا يتّسعون في أحوالهم، ويوسعون على غيرهم من سعتهم، وكانوا يهتمون بذخائر الشكر المعجل في الدنيا، يحرصون على ودائع الأجر المؤجل في الأخرى، ويتلذذون بالثناء، ويهتزّون للدعاء، وتملكهم الأريحية عند مسألة المحتاج، وتعتريهم الهزّة معها والابتهاج))[٣].

وأبو حيان من العلماء الأدباء الذين أصيبوا في حياتهم بالبؤس والشقاء، واجتهد وكافح في التأليف قاصداً الأمراء والوزراء لعلّه ينال عطاياهم، ولكنّه لم يحظَ منهم بشيءٍ وأهملوه[٤]، وذهب بعض الباحثين إلى أنّ التوحيدي لم يفصح عن نظراته السياسية سواء التي تخص الخلفاء أو الوزراء إلّا بعد اتصاله بالوزير ابن سعدان وأمّن على نفسه من الذين بيدهم مقاليد السلطة[٥]، وكانت أول اتصالات التوحيدي بوزير معز الدولة أبي محمّد الحسن بن محمّد المهلبي (٣٦٥هـ)، وقد نفاه عن بغداد؛ لأنّه اعتقد بسوء عقيدة التوحيدي، وبعد وفاة المهلبي عاد إلى بغداد، ثمّ خرج منها إلى الري قاصدا أبا الفتح، وزير ركن الدولة البويهي، فما نال منه شيئاً،

---

(١) ينظر: أبو حيان التوحيدي ، د. أحمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر، مطبعة الرسالة: ١/ ١٦ .

(٢) ينظر: أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة ، أحمد عبد الهادي ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٩٧م: ٢٦.

(٣) الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تح: أحمد أمين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٤: ١ / ١٦ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ج (المقدمة).

(٥) ينظر: البيئة البغدادية في نثر أبي حيان التوحيدي، عدله عوض نزال، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة، ٢٠٠٤: ٧٢.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وخاب أمله، بعد ذلك قصد الصاحب وكان حظه معه أكثر سوءاً من حظه مع الوزيرين المتقدمين، وكان لهذا الفشل مع ابن العميد والصاحب الأثر البالغ في نفسه، فألف في هجائهما كتاباً أسماه (أخلاق الوزيرين)[١]، وبعد سنة (٣٧٠هـ) عاد إلى بغداد وأوصله صديقه أبو الوفاء المهندس بالوزير ابن سعدان، وزير صمام الدولة البويهي، وكان حظه معه أفضل من حظه مع من تقدّم من الوزراء، وقرّبه الوزير وسامره، وانشغل عنه بسبب الحكم ومواجهة الأعداء فانقطعت الصلة بينهما بعد أن ألّف أبو حيان كتابه (الإمتاع والمؤانسة) فيه، وبعد مقتل ابن سعدان (٣٧٥هـ) اختفى التوحيدي وعاش فترة متصوفاً، وقيل: إنّ وفاته (٤١٤هـ)[٢]، بعد أن عاش حياة من البؤس والشقاء، إذن فالتوحيدي له متطلبات معيّنة، ورغائب مشروعة محتكرة من قبل السلطة، كما يعتقد هو؛ لأنّه رفض هذا الاحتكار وعاش مهمّشاً على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي وربما الفكري[٣]، وهو يرى نفسه أحق من هؤلاء، يقول للقاضي أبي سهل: ((على أنّي جمعت أكثرها للنّاس ولطلب المثالة منهم، ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحُرمت ذلك كله))[٤].

فالرجل لم يُنصف من قبل السلطة، وهو يطالب بوضع مخالف لما كان سائداً، فهو يريد للحاكم أن يقف على باب العالم وأن يعاد ترتيب العلاقة بين السلطتين السياسية والثقافية، فالصحابة كانوا محققين لهذه الفكرة، فكان العلماء فيما مضى من الزمان يبلغون بعلمهم ما لا يبلغ أهل الدنيا بدنياهم، وأهل الدنيا تبع لأهل العلم ، أمّا اليوم فعلى العكس إذ صار أهل العلم تبعاً لأهل الدنيا[٥]، وهو هنا يطالب بأن تكون

---

(١) ينظر: المجتمع والرؤية، الحبيب شبيل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣: ١٢ ـ ١٤ .

(٢) ينظر: المجتمع والرؤية: ١٣ ـ ١٤ .

(٣) ينظر: مفهوم الإنسان في أدب التوحيدي، سيناء العلي، رسالة ماجستير، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣: ١٣٩ .

(٤) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، ط١، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٣: ٥ / ١٩٣٠ .

(٥) ينظر: مفهوم الإنسان في أدب أبي حيان التوحيدي: ١٣٩ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المكانة العظمى للعلماء ، وقد كلفه رفضه للسلطة الكثير على المستوى المادي لكنّه على المستوى المعرفي كان كاملاً متميزاً بما رزقه الله من العلم والمعرفة .

ثالثا: أبو حيان؛ أصله وسيرته:

أبو حيان التوحيدي[١] عليّ بن محمّد بن العباس[٢]، وبعضهم يقول له: (الصوفي)[٣]، وأورد اسمه ابن خلكان (علي بن محمّد التوحيدي البغدادي)[٤]، وفي كتاب (الوافي بالوفيات) ورد اسمه هكذا (أبو حيان الشافعيّ)[٥]، وفي هدية العارفين الواسطي البغدادي[٦].

(١) ينظر: كنايات الأدباء لأبي العباس الجرجاني (٤٨٢هـ) ، تح: د. محمود شاكر القطان ، الهيئة المصرية للكتاب ، ٢٠٠٣: ٣٠٠ ، وذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع محمّد بن الحسين (٤٨٨هـ) ، مطبعة فرج الله زكي ، مصر ، ١٩١٦م: ٣ / ٧٥ ، والمسامرات والمحاضرات لمحي الدين بن عربي ، ط١ ، الطبعة العثمانية: ٢ / ٧٧ ، ومعجم الأدباء: ٥ / ١٩٢٣، وتهذيب الأسماء واللغات لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي (٦٧٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت: ٢ / ٢٢٣ ، وميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٧٤٨هـ) ، تح: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان: ٤ / ٥١٨ ، وسير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ) ، تح: شعيب الأرنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣م: ١٧ / ١١٩ ، والمقتنى في سرد الكنى لشمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ) ، تح: محمد صالح عبد العزيز ، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ١ / ٢٠٦ ، وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (٧٧١هـ) ، تح: محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية: ٥ / ٢٨٦ ، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٨٥٣هـ) ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، تح: عبد الفتاح أو غدة : ٦ / ٢١ ، و بغية الوغاة لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، مطبعة عيسى الحلبي : ٢ : ١٩٠ ، والأعلام لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٢: ٤ / ٣٢٦ .

(٢) ينظر: معجم الأدباء ، ياقوت الحماوي: ٥ / ١٩٢٣ .

(٣) ينظر: البلغة في تراجم أئمّة النّحو واللغة لمجد الدين الفيروزآبادي ، تح: محمد المصري ، دار سعد الدين ، دمشق، ٢٠٠٠م: ٢١٣ .

(٤) ينظر: وفيات الأعيان لأبي العباس شمس الدين ابن خلكان (٦٨١هـ) ، تح: د. إحسان عباس ، دار صادر، بيروت: ٥ / ٢١٣ .

(٥) ينظر: الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ) ، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان: ٢٢ / ٢٧ .

(٦) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي (٧٩٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ، ١٩٥٧م: ١ / ٦٨٤ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وأبو حيان كنيته، والتوحيدي لقبه المشهور، ويقول ابن خلكان: ((ولم أر أحداً ممّن وضع كتب الأنساب تعرّض إلى هذه النّسبة لا السمعاني ولا غيره، لكن يقال: إنّ أباه كان يبيع التوحيد ببغداد، وهو نوع من التمر بالعراق))[١]، وعليه حُمل شرح بيت المتنبي في قوله:

يرتشفن من فمي رشفات هنّ فيه أحلى من التوحيد[٢]

وذهب الحافظ الذهبي إلى أنّ أبا حيان ((هو الذي نسب نفسه إلى التوحيد ، كما سمّى ابن تومرت أتباعه بالموحدين، وكما يسمّي صوفية الفلاسفة نفوسهم بأهل الوحدة الاتحادية))[٣].

وما تقدم من آراء إلى الصواب ولا نرجّح رأياً آخر ؛ لأنّ التوحيدي لم يعرض لهذا اللقب في كتبه على العكس ممّا كان يردد لكنيته ، ولم يُشر إلى نسبه أو أسرته .

واختُلف في أصله وتاريخ مولده ووفاته ، فقيل شيرازي الأصل، وقيل نسابوري ، وبعضهم يقول له الواسطي[٤]، وبعضهم قال له البغدادي[٥]، وهو الأرجح وإليه ذهب بعض المحدثين، وهنا اختلف المحدثون في أصله، فمنهم مَن اعتمد قول ياقوت بأنّه من أهل فارسي، شيرازي أو نيسابوري، وأنّه عمدة لبني ساسان[٦]، ومنهم السندوبي[٧]، والدكتور زكي مبارك الذي جزم بأنّه فارسي[٨]، فيما رجّح الدكتور عبد

---

(١) وفيات الأعيان: ٥ / ١١٣ .

(٢) ديوان المتنبي بشرح العكبري ، تح: مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة الحلبي وأولاده بمصر: ١ / ٣١٥ .

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٧ / ١٢١ .

(٤) ينظر: معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢٣ .

(٥) ورد اسمه هكذا (علي بن محمد بن العباس البغدادي، أبو حيان التوحيدي). ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة الدمشقي، تح: الحافظ عبد العليم خان، ط١، دار المعارف العثمانية، ١/ ١٧٩ .

(٦) ينظر: معجم الأدباء: ١٥ / ٥ .

(٧) مقدمة كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي ، تح: حسن السندوبي ، ط٢ ، دار سعاد الصباح ، ١٩٩٢: ٨ .

(٨) ينظر: النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية، بيروت: ٢ / ١٦١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

الرحمن بدوي أنّ أصل التوحيدي من الموالي الذي اختلطت فيهم الدماء والعناصر فكونت مركباً غريباً وإنّه كان يشعر بوشيجة قربى مع الغرباء والأفاقين[١]، ومن جهة أخرى نجد أنّ فريقاً قد رجّح أصوله العربية واستند في ذلك على أدلة ، فيرى الدكتور شوقي ضيف أنّ الذي يرجح عروبة التوحيدي اعترافه انّه لم يعرف الفارسية، وأنّه يدافع عن العرب دفاع العربي الأصيل ضد الشعوبيين من معاصريه، وكان يرفع مكانة اللغة العربية[٢].

أمّا الدكتور محمّد كرد علي فقد ذهب إلى أنّه ((عربي، وما كان يعرف الفارسية))[٣]، وذهب الدكتور محمد الحوفي إلى أنّ الأدلة على عربيته أقوى من الأخذ بما ذكره ياقوت، أمّا أستاذنا الدكتور كريم المسعودي ـ وهو المشرف على هذا البحث ـ فقد رجّح عروبته؛ لأنّ لغته العربية، وما دفاعه عن العربية ورفعه من مكانتها إلّا اتساقاً مع ما يريده الإسلام الذي لم يحفل بالقومية بل باللسان، ونحن نميل إلى هذا الرأي، ونراه أقرب إلى الصواب[٤].

وقد اكتفى فريق ثالثٌ بذكر الآراء وعدم الترجيح وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم الكيلاني[٥].

وأمّا تاريخ مولده فقد اختُلف فيه، وقد يكون بسبب إهمال القدماء من علماء عصره له عمداً أو من غير قصد ؛ لأنّه عاش في بيئة متواضعة وقد خالط ((الغرباء والمجتدّين والأدنياء الأردياء))[٦]، كما أنّ كتب التراجم تعنى بتاريخ الوفاة أكثر من

---

(١) ينظر: مقدمة الإشارات الإلهية، أبو حيان التوحيدي، تح: عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأولى، القاهرة، ١٩٥٠: ج .

(٢) ينظر: تاريخ الأدب عصر الدول والإمارات ، د. شوقي ضيف ، ط٢ ، دار المعارف: ٤٥٣ ـ ٤٥٤ .

(٣) أمراء البيان ، محمد كرد علي ، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠١٢: ٤٨٤ .

(٤) خلال محاضرة في جامعة القادسية / كلية الآداب / قسم اللغة العربية بتاريخ ١٣ / ٣ / ٢٠٢٢ .

(٥) ينظر: أبو حيان التوحيدي ، د. إبراهيم الكيلاني ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر: ١٢ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

عنايتها بتاريخ الميلاد، ولكنّ المؤرخين حصروا مولده بالعقد الثاني من القرن الرابع (٣١٠هـ ـ ٣٢٩هـ)، وتاريخ وفاته من (٤٠٠هـ ـ ٤١٤هـ) ، واعتمدوا على رواية ياقوت لرسالة له سنة (٤٠٠هـ) ، وذكر فيها أنّه ((في عُشر التسعين))[١]، ويظهر أنّ المؤلفين لم يختلفوا على وفاة أديبٍ أو عالم كما اختلفوا على أبي حيان، منهم مَن يرجع بوفاته إلى (٣٦٠هـ) أو يمتد بها إلى (٤١٤هـ)[٢].

رابعا: **مرجعيات أبي حيان**:

تميّز التوحيدي بثقافة واسعة في مختلف علوم عصره[٣]، كما أنّ العصر الذي عاش فيه أبو حيان يمثل عصر الثقافة الموسوعية ، ويمثل انتقال ثقافة التخصص الواحد إلى ثقافة التخصصات المتعددة[٤]؛ فهو يتميز بأنّه عصر معرفة وازدهار وانفتاح على الثقافات الوافدة عن طريق الترجمة[٥]، وأبو حيان متنوع الثقافة واسع المعرفة باللغة والنّحو والأدب والفقه والفلسفة والكلام[٦]، تدلنا على ذلك خبرته في استعمال المفردات بدقة، ومهارته في تركيبها، وأسلوبه الفريد الذي أصبح ظاهرة مستقلة انضمّت إلى أسلوب أمثاله من أدباء زمانه[٧]، وقد تأثّر بمنهج الجاحظ وأسلوبه في الكتابة[٨]، وهو ينطلق في هذا التأثّر من معيار بلاغي جمالي خوّل له

---

(١) ذكرها ياقوت الحموي في معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢٩ .

(٢) ينظر: هدية العارفين: ١ / ٦٨٤ .

(٣) ينظر: القيم الجمالية عند بعض مفكري الإسلام دراسة تحليلية ، د. إيمان عبد المؤمن محمّد ، جامعة الاسكندرية: ٩٦٣.

(٤) ينظر: تشظي الأنا عند أبي حيان التوحيدي ، د. ظافر بن شبيب الكناني ، جامعة الملك خالد ، مجلة مقاليد ، ع١١، ٢٠١٦: ٢٢٣ ، وتحليل مواقف أبي حيان التوحيدي ، مهدي عابدي ، جامعة أصفهان ، مجلة إضاءات نقدية .

(٥) ينظر: أبو حيان التوحيدي ، د. محمود إبراهيم ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، لبنان: ٢٣ ـ ٢٧ .

(٦) ينظر: النّثر الفني عند أبي حيان التوحيدي ، د. فائز طه عمر ، ط١ ، بغداد ، ٢٠٠٠: ١٦٧.

(٧) ينظر: الفكر الجمالي عند التوحيدي ، د. عفيف بهنسي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٩: ٤١ .

(٨) ينظر: تطور الأساليب النّثرية في الأدب العربي ، أنيس المقدسي ، منشورات الدائرة العربية في جامعة بيروت الأمريكية : ١ / ٢٠٩ ، والخطاب الفكاهي في الإمتاع والمؤانسة دراسة في المرجعيات والدلالة، =

Remove Watermark Wondershare PDFelement

السمو بهذا النّثر[١]، بل إنّ ياقوت يعدّه فردَ الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً وفطنةً وفصاحةً ومِكنةً[٢]، ونعتقد أنّه وظّف هذا الذكاء والفطنة في اتجاهين لتحصيل العلوم والمعارف:

الاتجاه الأول: عمله بالوراقة ـ التي قدمته إلى عالم الأدب والعلم والثقافة ـ وقراءاته الخاصة، فإذا كان الجاحظ يتردد على دكاكين الورّاقين ويجلس فيها للنّظر والمطالعة فإنّ أبا حيان كان ينسخ الكتب ويطلع على ثقافات متنوعة عربية وغير عربية، وكان له ولع بالمطالعة إلى جانب ذاكرة قوية[٣].

أمّا **الاتجاه الثاني** فهم شيوخه ، وهم ينابيع ثقافته وروافد معرفته ، وقد تتلمذ على أيديهم ونهل من علمهم وأشاد بهم ، ومن أهمّ هؤلاء الأعلام:

ـ القاضي أبو حامد المروروذي (٣٦٢هـ)[٤]: ودرس عليه التوحيدي الفقه الشافعي، وقد أعجب به وقال عنه: ((وإنّما أولع بذكر ما يقوله هذا الرجل؛ لأنّه أنبل من رأيته في عمري وكان بحراً يتدفق حفظاً للسير ، وقياما بالأخبار، واستنباطاً للمعاني، وثباتاً على الجدل، وصبراً في الخصام))[٥]، وكان رافداً قوياً لأبي حيان ينقل آراءه في تفسير القرآن الكريم، ففي سورة الحجرات (١١٣) قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، إذ يعمد التوحيدي إلى التصريح بأنّه أخذ هذا التفسير عن شيخه

=د. سالم ذنون ، ود. محمد عادل محمّد، جامعة تكريت، مجلد ٢٠ ، عدد٢ : ٦٣ ، والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي دراسة في ضوء تداوليات الخطاب، عذراء سعيد ، أطروحة دكتوراه ، ٢٠٢٠: ٥ .

(١) ينظر: كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي دراسة في ضوء تداوليات الخطاب: ٥ .

(٢) ينظر: معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢٤ .

(٣) ينظر: فلسفة الجمال والفن عند أبي حيان ، د. حسين الصدّيق، ط١، دار الرفاعي، حلب، سوريا، ٢٠٠٣: ٧٥ .

(٤) نسبة إلى مرورذ من مدن خراسان . ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ، تح: د. إحسان عباس: ١ / ٦٩.

(٥) نقلاً عن طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبو نصر السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناجي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية: ٣ / ١٣ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين، الشيخ عبد الله مصطفى المراغي، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر: ١ / ٢١٠ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المرورذي ثمّ يعرض لرأيه في تفسير هذه الآية فيقول: ((هكذا سمعته من أبي حامد القاضي شيخ أصحاب الشافعي، رحمه الله وكان يقول عند هذا: إنّ النّسب لا يُمدح به، ولا يُثاب عليه، وإنّما هو كالطول في الطويل، والقصر في القصير، والحُسْن في الحَسَن، والقُبح في القبيح، وإنّما المدح والذمّ والثواب والعقاب راجعة إلى الفعل ...))[١]، وكان التوحيدي ينهل من أستاذه أبي حامد بأكثر من طريقة ، ومنها السماع فنجد في كتاباته ألفاظاً تدل على ذلك كقوله: ((سمعتُ القاضي أبا حامد))[٢]، أو قوله: ((سمرنا عند القاضي أبي حامد))[٣]، وأحياناً يروي عنه أقواله على شاكلة قوله:

((وكان أبو حامد القاضي يقول))[٤]، ((وقال القاضي أبو حامد))[٥]، وطريقة أخرى يبادر التوحيد فيعرض سؤاله على شيخه كما في قوله: ((حدثتُ بهذا الحديث أبا حامد المرورذي فقال))[٦]، وقوله: ((عرضتُ هذا على أبي حامد المرورذي فلم يهشّ له ولم يقدح فيه))[٧]، وقد أخذ عنه التوحيدي كثيراً من المعارف في مختلف الفنون، وأخذ عنه الزهد ، وقرأ كتاب (أدب القاضي) فوعى منه أشياءً كثيرة حول الشهادة والعدالة والنّص والظاهر والباطن والتأويل والتفسير والفحوى والوجوب والجواز وغير ذلك[٨].

---

(١) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨: ١ / ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٢) أخلاق الوزيرين، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢: ٢٧٦ .

(٣) مقدمة كتاب المقابسات لأبي حيان ، تحقيق: حسن السندوي: ٢٥ .

(٤) البصائر والذخائر: ١ / ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٩٠ .

(٦) البصائر والذخائر: ٣ / ١٥٢ .

(٧) البصائر والذخائر: ١ / ٢٣٦ .

(٨) ينظر: أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب والنّقد، مجمد عبد الغني الشيخ، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣: ١٧٨ ـ ١٨١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ـــ **أبو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ)**[١]: وهو من أهمّ روافد أبي حيان وأكثرهم تأثيراً فيه، وكان عظيم القدر في نظره ، فهو شيخ الشيوخ ، وإمام الأئمة معرفة بالنّحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والحساب والهندسة[٢]، فسر كتاب سيبويه بغريبه وأمثاله وشواهده وأبياته ، فما جاراه فيه أحد ولا سبقه إلى تمامه إنسان[٣].

وكان أبو سعيد السيرافي يمثل المرجع الأهم في اللغة لأبي حيان التوحيدي، وكان الأخير يعرض على أستاذه ما يصعب عليه من مسائل نحوية غامضة تحتاج إلى تفسير وتفصيل، فعندما وجّه له أبو سليمان المنطقي[٤]، سؤالاً عن الطبيعة وقال: كيف هي عند أهل النّحو واللغة؟ أ هي فعلية بمعنى فاعلة، أم بمعنى مفعولة؟ هنا كره أبو حيان أن يرتجل الجواب واستمهله حتى يسأل شيخه أبا سعيد، فهو عالم العالَم وشيخ الدنيا، ومقنع أهل الأرض فوافق أبو سليمان وقال: إنّه كذلك ، وطالبه بتحصيلها من أبي سعيد[٥]، وهو هنا يثق بأستاذه ويعدّه الأفضل.

وكما أخذ أبو حيان عن شيخه السيرافي في علوم النّحو فقد أخذ منه أيضاً علوم الشريعة والكلام والفقه، وأفاد من أخلاقه في التقشّف والتوكل والتصوف والزهد[٦]، ويصوّر لنا التوحيدي ورعه وزهده وتقواه إذ يقول: ((ما رأيت أحداً كان أحفظ لجوامع الزهد نظماً ونثراً ، وما ورد في الشيب والشباب من شيخنا أبي سعيد، وذاك أنّه كان ديّناً ورعاً تقيّاً زاهداً عابدًا خاشعاً، له دأب بالنّهار من القراءة والخشوع، ورد بالليل

---

(١) سنعرض لترجمة السيرافي مع الرمّاني والسجستاني في الفصل الثالث من هذا البحث الذي يشمل شخصيات أدبية ونقدية .

(٢) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٣٣ .

(٣) ينظر: معجم الأدباء: ٢ / ٨٧٨ .

(٤) هو محمّد بن طاهر أعظم أساتذة التوحيدي في الفلسفة .

(٥) ينظر: المقابسات: ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٦) ينظر: أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب والنّقد: ١ / ١٧١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

من القيام والخضوع ...))[١]، ونقل عنه التوحيدي الشيء الكثير في كتبه ما يدل على ذلك .

ـ **الرمّاني:** عُرف عن علي ين عيسى المعروف بالرمّاني أنّه برز كعالم موسوعي من أهل المعرفة مفنناً في علوم كثيرة، ومنها الفقه والقرآن والنّحو واللغة والكلام[٢]، وكان التوحيدي تلميذاً له، وكثيراً ما يعظمه ويلقبه بالشيخ الصالح، ومن ذلك عندما ذكره في معرض الحديث عن المناظرة بين متّى بن يونس وأبي سعيد؛ إذ يقول: ((فأمّا علي بن عيسى الشيخ الصالح فإنّه رواها مشروحة))[٣].

أخذ أبو حيان عن أستاذه الرمّاني النّحو والمنطق واللغة والشريعة ، وتخرّج على يديه في علم الكلام[٤]، وقد تأثّر به ، ونقل عنه[٥]، وروى أخباره[٦]، وسمع منه في مجلسه[٧]، وحاوره[٨]، وقد أعجب بطريقته، وكان الرمّاني يمزج النّحو بالمنطق، ودافع عنه أمام البديهي ومن تبعه[٩].

ـ **أبو سليمان السجستاني (بعد سنة ٣٩١هـ):** برز كواحد من العلماء الذين عرفوا بالفضل وكان متقناً للعلوم الحكمية، مطّلعاً على دقائقها، وكانت له مكانة عظيمة، فقد أصبح الفيلسوف الثالث في القرن الرابع ، وتصدّر وأصبح رئيس مناطقة بغداد

---

(١) قراءة الكسائي من القراءات العشر المتواترة، أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢: ١٦٦ .

(٢) ينظر: تاريخ مدينة السلام: ١٣ / ٤٦٢ .

(٣) ينظر: المقابسات: ١٦٩ ، وينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٠٨ .

(٤) ينظر: أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ، زكريا إبراهيم، الدار المصرية للتأليف والترجمة: ٣٦ .

(٥) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٦) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٢١٤ .

(٧) ينظر: المقابسات: ١٨٧.

(٨) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٩) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ١٣٣ ، والشاهد النّحوي بين كتابَي معاني الحروف للرماني ورصف المباني في شروح حروف المالقي ، فدار حمدي رفيق ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، نابلس ، ٢٠٠٦: ٣ ـ ٤ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

في عصره، كما أنّ منزله كان مقيلاً لأهل العلوم القديمة[١]، وقد لازمه أبو حيان التوحيدي وقرأ عليه، وروى عنه، وكتاب المقابسات في أغلبه يتحدث عن آراء أبي سليمان، وكذلك له آراء مبثوثة في بقيّة مؤلفات التوحيدي، فهو ينقل عنه كثيراً كأن يقول: قال أبو سليمان، قلت لأبي سليمان، سألتُ أبا سليمان، سأل أبو سليمان، وحدثنا أبو سليمان ، ولأبي سليمان أثرٌ واضح في مؤلفات التوحيدي وفي شخصيته، فهو ((جاره ومعاشره ، ولصيقه وملازمه وقافي خطوه وأثره ، وحافظ غاية خبره))[٢]، ومن أصحابه المعتصمين به[٣]، وقد أخذ أبو حيان عن أستاذه السجستاني علوم اليونان من فلسفة ومنطق ، وقرأ عليه ببغداد سنة ٣٧١هـ كتاب النّفس لأرسطو[٤]، وكان أبو سليمان يملي على أبي حيان فنجد في مؤلفاته لفظة (أملى) وردت عند روايته لبعض أقوال أستاذه السجستاني ، منها: ((أملى علينا أبو سليمان))[٥]، وقوله: ((وإملاء عليَّ أيضاً الفرق بين الوحدة والنّقطة ...))[٦]، وقال: ((أملى عليّ أبو سليمان فيما أملى: السلب هو نفي شيء من شيء ...))[٧]، وكذلك قوله: ((وأملى أبو سليمان على جماعة كنت أحدهم ...))[٨]، وقال: ((أملى عليّ أبو سليمان أيضاً فقال ...))[٩]، وروى مذكراته مع الصيمري في حقيقة النّفس[١٠]، وذكر حديثه عن

(١) ينظر: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية: ٨٦ .
(٢) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٢٩ .
(٣) ينظر: تاريخ الحكماء: ٢٨٣ .
(٤) ينظر: المقابسات: ٦٤٦ .
(٥) المقابسات: ٢٧٨ .
(٦) المقابسات: ٢٧٩ .
(٧) المقابسات: ٢٨٤ .
(٨) المقابسات: ٢٨٦ .
(٩) المقابسات: ٢٩٠ .
(١٠) المقابسات: ٣٢١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

الهمج الرعاع الذين لا عقل لهم[١]، هكذا كان السجستاني من أهمّ مرجعيات التوحيدي .

هؤلاء أبرز من قرأ عليهم التوحيدي، وكانوا الروافد التي غذته بجميع المعارف التي برع فيها، وقد تتلمذ على شيوخ آخرين ونهل من علمهم وثقافتهم لكن بشكل أقل من الذين تقدّم ذكرهم، ومنهم يحيى بن عدي (٣٦٣هـ)، وهو من أبرز فلاسفة ذلك العصر، وكان تلميذاً لمتّى بن يونس القنائي، درس عليه التوحيدي علوم الفلسفة والمنطق[٢]، وفي التصوف درس جعفر الخلدي المتوفى (٣٤٨هـ)[٣]، كما درس الحديث الشريف على أبي بكر الشافعي (٣٤٥هـ) صاحب الغيلانيات[٤]، ودرس الفقه الشافعي على أبي الفرج المعافى بن زكريا النّهرواني (٣٠٥ ـ ٣٩٠هـ)، وكان الأعلم بفقه مذهب الطبري[٥]، وأفاد أبو حيان من أبي زكريا الصميري وأبي بكر القومسي، وأبي الحسن العامري الفيلسوف، وأبي عبد الله المرزباني محمّد بن عمران ، وأبي محمّد الأندلسي، وأبي الحسن بن القطان الفقيه الشافعي، ووهب بن يعيش الرقي الفيلسوف اليهودي، وثابت بن سنان ، وأبي القاسم عبيد الله بن الحسن (غلام زحل)[٦]، وألّف التوحيدي مع شيخه أبي علي أحمد بن محمّد بن يعقوب بن مسكويه (٤٢١هـ) كتاب (الهوامل والشوامل) ، وأخذ عنه مائة وثمانين مسألة[٧]، كما أخذ عنه بعض المسائل الفلسفية[٨].

---

(١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٢٠٥ .

(٢) ينظر: أبو حيان التوحيدي ، د. إبراهيم الكيلاني: ١٦ .

(٣) ينظر: تاريخ الأدب العربي في عصر الدول والإمارات ، د. شوقي ضيف: ٤٥٤ .

(٤) ينظر: تاريخ الأدب العربي في عصر الدول والإمارات: ٤٥٤ .

(٥) ينظر: أبو حيان التوحيدي ، د. إبراهيم الكيلاني: ١٥ .

(٦) ينظر: أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب: ١٩١ ـ ١٩٢ .

(٧) ينظر: أبو حيان التوحيدي ومؤلفاته المخطوطة والمطبوعة، د. أيمن فؤاد سيد، مجلة فصول، ١ يوليو، ١٩٩٥: ٢٨ .

(٨) ينظر: نزعة الأنسنة في الفكر العربي، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، ١٩٩٧: ١١٠ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وممّا تقدم نعرف أنّ التوحيدي تخرّج على أعلام القرن الرابع ، وأخذ عنهم أصول الفلسفة والمنطق والفقه والحديث واللغة والأدب والإلهيات والتصوف والكلام والطبيعيات(١)، وقد امتزجت هذه العلوم في نفسه فبرز كفيلسوف أديب ، وقد تفرد في أسلوبه وأظهر براعة حتى قيل فيه: فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة(٢)، ونتيجة هذا التمازج أصبح موسوعيّاً في علمه ومعارفه.

خامسا: **الوراقة وقراءاته**:

ومن مرجعيات أبي حيان التي رفدت ثقافته عمله كوّراق ، وهي مهنة ظهرت مع ازدهار حركة الترجمة ، وبعد انتشار صناعة الورق في بغداد(٣)؛ إذ أصبح الاهتمام بالكتابة وأدواتها من مستلزمات النّهوض الفكري(٤)، وقد عُرف التوحيدي بصحة النّقل وتقييد الخط ، وتزويق النّسخ، والسلامة من التصحيف والتحريف(٥)، وقد كان مشهوراً بكتبه ورسائله وطريقته في التعبير حتى أنّه عرّض نفسه للحسد(٦)، فقد قام أحد الكتاب البارزين وكان واسع الرزق وعريض الجاه وخاطب بعض المعجبين بأبي حيان فقال: ((يا قوم، ما اغتراركم بما يكتب هذا الرجل ويقول؟ أمّا كتبه فثقيلة وأمّا هذا الكلام فلا يجوز أن يكون له لرشاقته وحسنه))(٧)، وهو هنا يشير إلى رقعة لأبي حيان، والطاعنون أمّا حَسَدة لم يستطيعوا مشاركته ومنافسته أو أنّهم جهلوا حقيقته

---

(١) ينظر: أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب: ١٩٣ .

(٢) ينظر: معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢٤ .

(٣) ينظر: الوراقة والوراقون في الدولة العباسية وأثرها في الحضارة الإسلامية ، هدى فرج محمد القطعاني ، رسالة ماجستير ، جامعة بنغازي، ٢٠١٧: ١٦ .

(٤) ينظر: الوراقون في الموصل خلال العصور العباسية من القرن الرابع حتى نهاية القرن السابع الهجري ، م. د. مها سعيد حميد ، جامعة الموصل ، مجلة دراسات موصلية ، ٢٠١٧، العدد ٤٦ : ٢ .

(٥) ينظر: أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب والنّقد: ١ / ٢٠٨ .

(٦) ينظر: أبو حيان التوحيدي ، د. إحسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٦: ٦٥ .

(٧) البصائر والذخائر ، تح: وداد القاضي: ١ / ١٦٣ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وتأوّلوا كلامه[١]، والمهم أن نعرف أنّ الوراقة كانت لأبي حيان منبعٌ وثروة لغوية وإخبارية وأدبية كبيرة وقاعدة فكرية وثقافية ضخمة[٢]، على الرغم من أنّ أبا حيان كان يعتقد أنّه يمتلك موهبة ومنزلة أرفه من أن يعمل بمجرد نسخ الكتب للآخرين ، ولذلك وصفها بحرفة الشؤم[٣]، ولكنّه بلغ بعض كفايته من الرزق أنّه امتلك ما بين السورين ببغداد منزلاً وذهباً وثياباً وأثاثاً وجارية[٤].

وعلى الرغم من ترفّع التوحيدي عن مهنة الوراقة ورغبته بالتخلص منها فقد ساعدته على الاطّلاع على الثقافات وكانت من روافده المهمة ومنها جمع أضخم كتبه (البصائر والذخائر)[٥]، ونعتقد أنّ الوراقة من أهمّ العوامل التي ساعدت في انفتاح التوحيدي على جميع التيارات والمذاهب .

سادسا: مشافهة الأعراب:

إذا حاولنا استقصاء روافد أبي حيان ومرجعياته سنجد أنّه لم يترك طريقاً فيه من العلم والمعرفة إلّا وأخذ منه المعرفة ، وتزوّد منه العلم ، ومن أهمّ الروافد اللغويّة والأدبيّة والفكريّة التي غذّت التوحيدي بالأسلوب العربي الفطري الخالي من العجمة والألفاظ الدخيلة نزوله البادية واتصاله بالأعراب ليسمع منهم، يقول أبو حيان: ((وسمعتُ في البادية بفيد رجلاً من العرب يقول لآخر عند قاضيها أبي العباس المحبوب: أنا الضامن المخبورُ، والجَذَعُ المفرور فحفظت من غير معرفة، ثمّ سألت العلماء فوضح الجواب))[٦]. إذن، هو حفظ ذلك من دون فهمه ثمّ سأل شيوخه فأوضحوا له ما يصعب عليه فهمه.

---

(١) أمراء البيان، محمّد كرد علي: ١ / ٤٨٩ ـ ٤٩٠ .
(٢) ينظر: ملامح النّثر العباسي ، د. عمر الدقاق ، دار الشرق العربي ، بيروت: ٢٢٧ .
(٣) ينظر: أبو حيان التوحيدي الأديب الفيلسوف: ٢٦ .
(٤) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ١٦١ ـ ١٦٢ .
(٥) ينظر: أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب والنّقد: ٢٠٩ .
(٦) البصائر والذخائر ، تح: أحمد أمين: ٩٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وكان أبو حيان يورد أقوالاً وأشعاراً قالتها العرب في البادية، كقوله: ((ولقد صدق الأعرابيّ في قوله: كن كالضّب الأعور يعرف قدره ولا يفارق حُجْره))[١]، وقوله: سمعتُ الأعرابي ينشد، أنشد الأعرابيّ، ذكر أعرابيّ بعيراً، وصف أعرابيّ أجمه فقال، مدح أعرابيّ نفسه[٢]، كما أنّه كان يسمع أحاديث الأعراب عن الثقة من أصحابه كقوله: ((وقال أعرابيّ: حاجيتك، ما ذو ثلاثة آذان، يسبق الخيل بالرديان ... هكذا قال الثقّة))[٣]، وكتاب البصائر والذخائر يحتوي على كثير من هذه الأحاديث التي تدل على أنّ أبا حيّان كان ينهل من مصادر الثقافة العربية الصافية الأصيلة، ويروي لنا التوحيدي في الليلة العاشرة من كتابه (الإمتاع والمؤانسة) ما كان يسمعه و يجده في البادية فيقول: ((ثمّ قرأتُ عليه نوادر الحيوان وغرائب ما كنتُ سمعته ووجدته فزاد عجباً ...))[٤]، ففي هذه الليلة يذكر للوزير أصناف الحيوانات الأليفة والمتوحشة والطائرة وغير ذلك من غرائب ما كان يسمع ويشاهد ويعرف حتى جعل الوزير عَجِباً مندهشاً .

ـ نبذة عن مؤلفاته:

بذل عدد من الباحثين جهوداً كبيرة في جمع مؤلفات التوحيدي[٥]، ويعد الدكتور عبد الأمير الأعسم من أفضل هؤلاء الباحثين الذين كتبوا في هذا الموضوع، إذ قدم

---

(١) أخلاق الوزيرين: ٢٥٨ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر ، تح: أحمد أمين: ١٥ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٥٩ .

(٣) البصائر والذخائر: ١/ ٣٣ ـ ٣٤ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٥) يُنظر: مقدمة المقابسات للسندوبي: ٢٤ وما بعدها، أمراء البيان محمد كرد علي، أبو حيان التوحيدي سيرته وآثاره، عبد الرزاق محي الدين: ١٨٤-٢٥٦، وأبو حيان التوحيدي، إبراهيم الكيلاني: ٨٥ ، ١١٣، ونظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، د. وسيم إبراهيم، ط١، مطبعة جوهرة الشام، دار دمشق، ١٩٩٤: ٣١-٣٢، وأصداء المجتمع والعصر في أدب أبي حيان التوحيدي، نور الدين بلقاسم، ط١، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ليبيا ـ طرابلس، ١٩٨٤: ٣٠-٥١، وألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي، د. طيبة صالح الشذر، القاهرة، ١٩٨٩: ج ـ د، وخلاصة التوحيدي، جمال الغيطاني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٥ : ١٠٧ وما بعدها، من رسائل أبي حيان التوحيدي، د. عزت السيد أحمد، ط١، منشورات دار الرفاعي،=

Remove Watermark Wondershare PDFelement

دراسة عرّفت بمؤلفات أبي حيان وعالجت الثغرات لمن سبقه في هذا المجال وبيّنت الزائف والصحيح، كذلك قدم قائمة أبجدية لعنوانات مؤلفات التوحيدي كما قدم إحصائية بالدراسات والبحوث العربية والأجنبية التي كتبت عن أبي حيان(١).

وعدد ياقوت الحموي في معجمه آثار التوحيدي على الرّغم من أنّه لم يستوف جميع كتبه ورسائله إلّا أنّه صار عمدة لمن أراد ذكر هذه الآثار(٢)، التي لم تبق لنا يد الحدثان إلّا النزر القليل منها؛ لأنّ أبا حيان أحرق في أواخر حياته كتبه لقلة جدواها وخنا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته(٣)، وذهب السيوطي إلى ((إنّ النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه في حياته، وخرجت من قبل حرقها))(٤). علماً أنّ الذي تبقى منها من آثار أبي حيان يدلّ على أنّ حياته الفكرية كانت مزدهرة وأنّه ألف كتباً كثيرة(٥) في أوقات متفاوتة ومن كتبه:

١- البصائر والذخائر:

ويعدّ أضخم مؤلفات أبي حيان، ويرجح أنّه أوّل كتبه، وذكر بأسماء متعددة(٦)

=٢٠٠٣: ٦٣- ٨١، وأبو حيان التوحيدي مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة: ١٢، وهناك دراسات كثيرة لا مجال لذكرها.

(١) فيما تقدم أوضحنا دراساتٍ لبعض الباحثين العرب، ولمن يريد الاطلاع على الدراسات والبحوث الأجنبية، يُنظر: أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، د. عبد الأمير الأعسم، ط٣، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦ : ٧٢-١٠٦.

(٢) يُنظر: أبو حيان التوحيدي، د. إبراهيم الكيلاني: ٣٧ ، والامتاع والمؤانسة عرض وتحليل، حنان أحمد رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، ١٩٩٦: ٣٩ .

(٣) معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢٩ .

(٤) بغية الوعاة: ٢ / ١٩٠ .

(٥) يُنظر: قضايا المجتمع في أدب أبي حيان التوحيدي، آية محمد خلف، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، ٢٠١٦: ١٩.

(٦) أبو حيان التوحيدي سيرته وآثاره: ١٨٤-١٨٦.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

فسمّي البصائر[١] والنظائر[٢]، والبصائر والذخائر[٣]، وبصائر القدماء وبشائر الحكماء[٤]، وبصائر الحكماء وذخائر القدماء[٥]، وأخبار القدماء وذخائر الحكماء[٦]، وتحدث عنه التوحيدي، فقال: ((هذا الجزء الثاني من بصائر القدماء، وسرائر الحكماء، ونوادر الملحاء، وخواطر البلغاء))[٧].

وسلك أبو حيان في هذا الكتاب مسلك الجاحظ في أسلوبه وطريقته وتميز بالاستطراد وعدم التبويب[٨]، ويقع في عشرة أجزاء وهو ثمرة عمل خمسة عشر عاماً أودع فيه ما رآه وما سمعه وحفظه من المجالس والدروس التي كان يحضرها[٩].

٢-أخلاق الوزيرين:

ويسمى مثالب الوزيرين وذم الوزيرين وجاء في كشف الظنون (ثلب ويعدّ ((من أعنف نصوص الهجاء التي كتبت في العربية))[١١]، وذكره التوحيدي فقال: ((على أنّي عملت رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن العميد أودعتها نَفَسي العزيز، ولفظي الطويل والقصير، وهي في المسودة ولا جسارة لي على تحريرها))[١٢]. كتبه بعد ارتحاله إلى بلاط الصاحب بن عباد وخابت آماله في ابن العميد وابنه أيضاً

(١) البصائر والذخائر، تح: د. وداد القاضي: ٩/ ٢٢٩-٢٣٠ ، وطبقات الشافعية الكبرى: ٥/٢٨٦.
(٢) أبو حيان التوحيدي سيرته وآثاره: ١٨٤.
(٣) البصائر والذخائر، تح: د. وداد القاضي: ٩/٢٣٠.
(٤) كشف الظنون، حاجي خليفة، تحقيق: محمد شرف الدين، ورفعت بيلكة الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان: ١/٢٤٦ .
(٥) البصائر والذخائر، تح: وداد القاضي: ٩/٢٣٠.
(٦) أبو حيان التوحيدي ناقداً، أطروحة دكتوراه، بثينة سلمان محمد، كلية الآداب، جامعة اليرموك: ٢٩.
(٧) البصائر والذخائر، تح: وداد القاضي: ٢/٥.
(٨) أبو حيان التوحيدي ناقداً، بثينة سلمان محمد: ٢٩ .
(٩) ينظر: أبو حيان التوحيدي، د. إبراهيم الكيلاني: ٤١.
(١٠) ينظر: أبو حيان التوحيدي سيرته وآثاره: ١٩٠ .
(١١) خلاصة التوحيدي: ٤٧ .
(١٢) الإمتاع والمؤانسة: ١/٥٤.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المعروف بأبي الفتح[١]. وقد صور من خلال هذا الهجاء جوانب هامة ومثيرة للحياة الأدبية والفكرية والاجتماعية في القرن الرابع[٢].

٣-الإمتاع والمؤانسة :

يُعدّ هذا الكتاب من أثمن المصادر لدراسة أدب التوحيدي وفكره، وهو مجموع مسامرات سامر بها التوحيدي الوزير ((أبا عبد الله العارض)) ابن سعدان في أربعين ليلة، وكان الوزير في بدء كل ليلة يقترح على أبي حيان بعض المسائل الأدبية واللغوية والفلسفية أو العلمية، وهي مما يدور في خلد الوزير، وكان على التوحيدي ارتجال الجواب من دون أهبة واستعداد وقد درج الوزير نهاية كل جلسة على طلب ملحة وداع وهي عادة أبيات من الشعر أو حكمة مأثورة أو عِظة خلقية[٣]. وفيه يقول التوحيدي: ((قد والله نفثت كلّ ما كان في نفسي من جدّ وهزل، وغثّ وسمين، وشاحب ونضير، وفكاهة وطيب، وأدب واحتجاج، واعتذار واعتلال واستدلال، وأشياء من طريف الممالحة على ما رُسم لي، وطُلِب مني))[٤]، ويقع في ثلاث مجلدات حققه أحمد أمين وأحمد الزين، ووصفه القفطي بقوله: ((هو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة في فنون العلم ، فإنّه خاض كل بحر وغاص كل لجّة))[٥]، وأياً كان فالكتاب ممتع ومؤنس كاسمه كما وصفه الدكتور أحمد أمين[٦]، ويقع ضمن أدب المجالس[٧].

---

(١) ينظر: خلاصة التوحيدي: ٤٧.

(٢) يُنظر: أبو حيان التوحيدي، إبراهيم الكيلاني: ٤٣.

(٣) ينظر: أبو حيان التوحيدي، إبراهيم الكيلاني: ٣٧-٣٩ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة : ١٨٦/٢-١٨٧.

(٥) أبو حيان التوحيدي سيرته وآثاره: ٢١٤.

(٦) ينظر: مقدمة الإمتاع والمؤانسة، مقدمة المحقق: ف .

(٧) ينظر: البنية السردية في كتاب الامتاع والمؤانسة، ميساء سليمان الإبراهيم ، دمشق ، ٢٠١١: ٢١.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

٤-الصداقة والصديق:

كتب أبو حيان التوحيدي هذه الرسالة سنة (٣٧١هـ) وذكرها ياقوت وابن خلكان بعنوان (كتاب الصديق والصداقة)[١]، وكان سبب تأليف هذه الرسالة أنّ أبا حيان ذكر شيئاً منها لزيد بن رفاعة أبي الخير فنماه إلى ابن سعدان قبل تحمله أعباء الدولة فأمره بتدوينها فجمعها وأبطأ عن تحريرها فلما قتل ابن سعدان تركها، وفي رجب سنة (٤٠٠هـ) عثر على مسودتها فبيضها وكتب لها مقدمة وخاتمة[٢]، وهي تلتزم موضوعاً واحداً وليس وثبات ولفتات أو ليال كما في المقابسات والامتاع والمؤانسة[٣]. ومن هذه الرسالة جمع التوحيدي أكثر ما قيل في الصداقة والصديق شعراً ونثراً لأناس معروفين ومجهولين منذ العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري[٤]، وقد عبر التوحيدي من خلالها عن نوازعه الوجدانية والعاطفية من جهة، وعما رأى وسمع وشارك به من أحداث عصره ومشاكله بأسلوب فني منمق[٥].

٥- المقابسات:

يسمّيه ياقوت (المقابسة)[٦]، والمقابسات والمقايسات، استناداً إلى طبعة بومبي[٧]، وذهب الدكتور عبد الرزاق محي الدين إلى أنّ المقايسات تحريف[٨]، وذكره ابن خلكان ((المقابسات في مجلد أيضاً))[٩]، وهو المشهور، وقد صرّح أبو

---

(١) معجم الأدباء : ١٩٢٥/٥، ووفيات الأعيان: ١١٣/٥.

(٢) أبو حيان سيرته وآثاره: ١٩٨-١٩٩.

(٣) يُنظر: أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، محمد علي الصباح، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٠: ٩٤.

(٤) ينظر: أبو حيان التوحيدي سيرته وآثاره: ٢٠٥.

(٥) ينظر: الصداقة والصديق ، لأبي حيان التوحيدي، تح: إبراهيم الكيلاني: ١٥.

(٦) ينظر: معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢٥ .

(٧) يُنظر: أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات: ١١١.

(٨) ينظر: أبو حيان التوحيدي سيرته وآثاره: ٢١٩ .

(٩) وفيات الأعيان: / ١١٣.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

حيان به؛ إذ قال: ((تابعت، حاط الله بين[١] هذه المقابسات الثلاث لأنّها متواخية في بابها أعني أنّها في حديث اللغة والنحو والمنطق والنّظر))[٢]. وفيه ما يؤكد أنّ الجمع يشمل محتويات الكتاب[٣]، وقد سلك أبو حيان أسلوباً جديداً في عالم التأليف فقد سجل آراء معاصريه على طريقة الجدل والحوار، حتى اعتبره مرجليوث ((عبارة عن ثبت للمجادلات الفلسفية التي يقول أبو حيان أنّه استمعها بنفسه))[٤]، والكتاب يتألف من مائة وستة من المقابسات، وكل واحدة تبحث في موضوع مستقل، ولم تلتزم موضوعاً واحداً، وذكر فيه موضوعات كثيرة ومتباينة منها فلسفية كقضايا النفس والعقل، والزمان والمكان ومنها موضوعات لها صلة بالوقائع اليومية كحادثة انتحار جرت في بغداد[٥]، وقد جمع أبو حيان مادته من خلال السماع والمشاهدة منذ سنة (٣٦٠هـ) وحتى سنة (٣٩٠هـ)[٦]، وذهب الدكتور زكي مبارك إلى أنّ المقابسات لا تنفع المبتدئين إلّا قليلاً، ولكنه نافع كل انتفاع لمن وقفوا على معضلات الفلسفة الإسلامية[٧].

٦-الهوامل والشوامل:

ذكره أبو حيان في المقابسات[٨]، وهو عبارة عن أسئلة صاغها التوحيدي سماها (الهوامل) وأجوبة لها من مسكويه سماها (الشوامل) وقد صور لنا هذا الكتاب شخصية التوحيدي الفيلسوف الذي يتخذ من التساؤلات وسيلة لطرح موضوعات أدبية ولغوية وفلسفية وأخلاقية، وقد اشتهر منسوباً إلى أبي حيان بالرغم من أن نصيب

(١) ورد النص بلفظ مختلف في كتاب المقابسات، إذ كان (من) ، بدلاً عن (بين) .
(٢) نقلاً عن: أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات: ١١٢.
(٣) ينظر: أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات: ١١٢ .
(٤) أبو حيان التوحيدي سيرته وآثاره: ٢٣٠ .
(٥) ينظر: أبو حيان التوحيدي، إبراهيم الكيلاني: ٤٤-٤٥.
(٦) ينظر: أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات: ١١٥.
(٧) يُنظر: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، زكي مبارك: ١٦٧/٢ .
(٨) يُنظر: المقابسات: ١٤٦.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

مسكويه أكبر وأوفى في تأليفه[١]، ويحتوي على (١٧٥) مسألة في مختلف العلوم[٢]، حققه أحمد أمين وأحمد صقر في القاهرة (١٩٥١)[٣]، ويعد أنموذجاً متميزاً لظاهرة التأليف المشترك.

٧-الإشارات الإلهية :

ورد ذكره في معجم ياقوت وقال : ((إنّه جزءان))[٤]، وأسماه بروكلمان (الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية)[٥]، وإليه ذهب الدكتور عبد الرحمن بدوي على وفق مخطوطة معروفة في التصوف (١٣٣٤) بالمكتبة الظاهرية بدمشق[٦]، وقد تضمن هذا الكتاب أربع وخمسون رسالة في المواعظ والأدعية الصوفية البليغة[٧]، ألّفه التوحيدي في عمر الثمانين ويقول فيه: ((أنا نطقت بهذه الألغاز بعد سبعين سنة وقد تحطمت قناتي وتكمشت شواتي[٨]، وتفللت صَفاتي[٩]، واضمحلت صِفاتي، وبليت لُحمتي وسَداتي، وفقدت شهواتي ولذاتي))[١٠] .

٨-مؤلفات أخرى:

ولأبي حيان مؤلفات أخرى منها: الحج العقليّ إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي، وهو مفقود ذكره ياقوت، والمحاضرات والمناظرات، وردت مقتطفات منه في

---

(١) يُنظر: أبو حيان التوحيدي، إبراهيم الكيلاني: ٤١.

(٢) ينظر: الجوانب التاريخية في مصنفات أبي حيان التوحيدي، ثامر عبد علي، رسالة ماجستير، جامعة ديالى، كلية التربية: ٥٥.

(٣) ينظر: أبو حيان التوحيدي، إبراهيم الكيلاني: ٤١.

(٤) معجم الأدباء : ٥ / ١٩٢٥.

(٥) أبو حيان التوحيدي سيرته وآثاره: ٢٣٢.

(٦) مقدمة الإشارات الإلهي، تح: عبد الرحمن بدوي: (كه) .

(٧) ينظر: أبو حيان التوحيدي، تح: إبراهيم الكيلاني: ٤٨ .

(٨) شواتي، الشواة: جلدة الرأس: ينظر: الإشارات الإلهية: ٢٢٤ .

(٩) الصفاة: صخرة ملساء، يقال في المثال: ما تندى صَفاته: ينظر: الإشارات الإلهية: ٢٢٤.

(١٠) الإشارات الإلهية: ٢٢٦.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المسامرات والمحاضرات لابن عربي، وكتاب الاقناع ذكره صاحب كشف الظنون والتذكرة التوحيدية ذكره صاحب غرر الخصائص[١]، وكتاب الردّ على ابن جني في شعر المتنبي، وكتاب الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة وكتاب الرسالة البغدادية، وكتاب الرسالة في أخبار الصوفية، وكتاب الرسالة الصوفية وكتاب الرسالة إلى الحنين إلى الأوطان[٢]، وهناك ثلاث رسائل حققها الدكتور إبراهيم الكيلاني هي السقيفة تحدث فيها عن الإمامة ورسالة في الكتابة ورسالة في الحياة[٣]، وهناك مؤلفات لم تذكر وأخرى لم تصل وبعضها يدور حولها الشك[٤]. إذن إذن اتسم أبو حيان بحياة فكرية خصبة وغزارة في التأليف نستدل على ذلك مما تبقى من آثاره ومؤلفاته .

Wondershare PDFelement

(١) ينظر: أبو حيان التوحيدي، تح: إبراهيم الكيلاني: ٤٨-٤٩ .

(٢) يُنظر: معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢٥، ثبت مؤلفات التوحيدي.

(٣) ينظر: ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي، عني بتحقيقها ونشرها د. إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥١.

(٤) فصل القول في هذا الدكتور عبد الأمير الأعسم كما أوضحنا في موضعٍ سابق .

Remove Watermark
Wondershare PDFelement

الفصل الأول:
المرجعيّة الدينيّة

المبحث الأول: أثر القرآن الكريم في تشكيل ثقافة التوحيدي

المبحث الثاني: أثر الحديث النّبوي الشريف

المبحث الثالث: الديانات والكتب السماوية الأخرى

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المبحث الأول:

أثر القرآن الكريم في تشكيل ثقافة التوحيدي

مَن يطّلع على مؤلفات أبي حيان، ويتتبع آراءه وأقواله يجد أنّ ثقافته جاءت ذات مسحة دينية، كما أنّ تأثّره بالأسلوب القرآني يبدو واضحاً في مؤلفاته، لا سيما كتابه (البصائر والذخائر) الذي تضمّن أربعمائة وخمسين آية استشهد بها أبو حيان في مواضع مختلفة، وكتابه (الإشارات الإلهية) الذي أكثرَ فيه من الأدعية والمناجاة، وقد بدت فيه مفردات القرآن واضحة، فالقرآن الرافد الأول والأشمل للثقافة العربية الإسلامية .

وقد تأثّر أبو حيان بالقرآن الكريم منذ نعومة أظافره، ونستطيع أن نتعرف على هذا التأثّر من خلال حديث التوحيدي عن عهد الطفولة؛ إذ يقول: "إنّ عمي كان قاعداً في بعض العشيات في قطيعة الربيع فاجتزتُ له متوجّهاً إلى مجلس أبي الحسن ابن القطان الفقيه الشافعي، فقال له جلساؤه: إنّ ابن أخيك يا أبا العباس مجتهدٌ في طلب العلم، يغدو ويروح، ولقد سمعنا تلاوته للقرآن فاستجدناها، ولقد سمعنا منطقه فاستأنسنا به ..."[١]. وحديثه هذا يدل على أنّه حفظ القرآن في سنٍّ مبكرة، وتأثّر به وأجاد تلاوته، وممّا يدل على حفظه للقرآن الكريم واهتمامه به قوله: "يجب على الكاتب أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى لينتزع من آياته وأن يعرف كثيراً من السنة والأخبار والسير حافظاً لكثير من الرسائل والكتب ..."[٢].

---

(١) البصائر والذخائر: ٨ / ١٢٤ .

(٢) نقلاً عن مطالع البدور في منازل السرور، علاء الدين بن عبد الله الغرولي، ط١، مطبعة إدارة الوطن، ١٢٩٩هـ: ٢/ ١١٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ودافع أبو حيان عن كتاب الله ـ وكان شاباً حديث السن ـ حين سمع أبا سعيد البسطامي الذي يوصف بأنّه شديد التهور عظيم العجرفة "وقد قال له قائل: أيها الأستاذ ـ وكذا كان يُخاطب ـ إنّ فلاناً يقول: متى عرض كلام أستاذكم أبي سعيد على كتاب الله عز وجل خالفه ولم يوافقه، فقال جهلاً: كلام الله عز وجل ينبغي أن يعرض على كلامي! ومضى على ذلك، فلم أجد نكراً من أحدٍ حضر من أصحابه ولا من غيرهم، وكنتُ حينئذٍ وحيداً غريباً حديث السنّ فوقدتني الحمية لله (عز وجل) ولرسوله عند جهله، وكان اعتماده على الهذيان"[١]. وفي هذا النّص ما يدل على عدم صحّة ما ذهب إليه بعض المؤرخين من اتهام التوحيدي بالزندقة والكفر، أمثال الذهبي وغيره.

وكذلك دافع أبو حيان عن كتاب الله العزيز حين بلغه أنّ بعض الدهرية من الرؤساء وأصحاب السيف قالوا مرّةً لقوم: مصونكم خيرٌ من قرآنكم[٢]، فيرد عليهم أبو حيان مستشهداً بآيةٍ من الله القرآن الكريم، إذ يقول: "وهذا جهلٌ بالله العظيم، وجرأةٌ على حلمه الكريم ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ (فاطر: ٤٥)"[٣].

إذن، فالتوحيدي حفظ القرآن الكريم وتأثّر به ودافع عنه ودعا إلى ضرورة حفظه من قبل الأديب لمعرفة السنة، كما مرّ بنا، ونراه يصف كتاب الله العزيز في مقدمة كتابه (البصائر والذخائر) بقوله: "الذي حارت العقول الناصعة في رصفه، وكلّت الألسن البارعة عن وصفه، لأنّه المُطْمِع ظاهره في نفسه، الممتنع باطنه بنفسه، ... ظاهره أنيق، وباطنه عميق، ظاهره حُكم، وباطنه علم"[٤].

---

(١) البصائر والذخائر: ١ / ٢٠٦ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ /١٥١ .

(٣) البصائر والذخائر: ٤ / ١٥١ ..

(٤) البصائر والذخائر: ١ / ٥ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ونجد أبا حيان يدعو إلى التأمّل في معاني القرآن الكريم ومعرفة مراد الله سبحانه[١]، وهو في أدعيته ومناجاته يستوحي أغلب المعاني والتراكيب من كتاب الله العزيز، وقد اهتم أبو حيان بالقراءات القرآنية، وله فيها عناية واضحة[٢]، وقد أخذها عن أستاذه أبي حامد المروروذي، ومن ذلك ما رواه عنه من سورة [ق:١٩] قوله تعالى: ﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ الموتِ بِالْحَقِّ﴾ يقول التوحيدي: "ويقال: سكرة الحقّ بالموت، هكذا قرأتُه ... وكان أبو حامد المروروذي يقول: لعلّه قرأه هكذا لِما عمره من معالجة الموت"[٣].

ويروي لنا أبو حيان خبراً عن قتادة أنّ يونس بن حَيْوَة أوصاهم ((بالقرآن فإنّه نور الليل المُظلم، وهُدَى النّهار، فاعملوا به على ما كان من جَهدٍ وفاقة...))[٤].

وكان التفسير في القرن الرّابع في أوجّه، وظهر كثيرٌ من المفسرين، واتجه بعضهم إلى التفسير بالمأثور، في حين اعتمد البعض الآخر على العقل أكثر من اعتماده على النّقل، وظهر ما يعرف بالتفسير بالرّأي على أيدي المعتزلة، وهناك اتجاه ثالث في التفسير حاول أن يوفّق بين ما ورد في القرآن وبين العقل، في حين اتجه التفسير عند الصوفية للتأويل والتخريج كما هو مذهب الجنيد وسفيان الثوري، وكانت الآراء متشعبة والمذاهب مختلفة[٥]. ويظهر أنّ أبا حيان ـ بحكم عمله ـ قد

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ٢ / ٢٢٩ .

(٢) ينظر: مفهوم الأخلاق عند أبي حيان التوحيدي، د. مجيد مخلف طراد، ط١، دار ميزوبو تاميا، بغداد، ٢٠٠٠: ٣١ .

(٣) البصائر والذخائر: ٣ / ١٨ ، وينظر: مفهوم الأدب في مؤلفات أبي حيان التوحيدي، غالية أبو أسعد سلطان، رسالة ماجستير، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، ٢٠٠٠م: ٢٠٣ .

(٤) البصائر والذخائر: ٣ / ١٨ ، وينظر: في أشكال التعبير النثري، ياسر مخلص محمود، رسالة ماجستير، جامعة أهل البيت، كلية الآداب، ٢٠١٥ ـ ٢٠١٦: ٦٩ ـ ٧٠ .

(٥) ينظر: ظهر الإسلام، د. أحمد أمين، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت: ٢ / ٣٧ ـ ٤٥ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

اطّلع على هذه الاتجاهات، وقد اهتم بتفسير القرآن الكريم وبالكتب التي تناولته، وذكر منها كتاب (الأنوار) لأبي بكر بن مقسم، وفيه يقول: "ولابن مقسم في القرآن كتاب يسمّيه (الأنوار) يُقدم على كتبٍ كثيرة"[١]. إلّا أنّ هذا الكتاب لم يكن عند أبي حيان بمنزلة كتاب (نظم القرآن) للبلخي الذي قال عنه: ((أمّا أنا فلم أرَ في القرآن كتاباً أبعد مرمًى، ولا أشرف معانٍ من كتابٍ لأبي زيد البلخي))[٢].

وسمع أبو حيان ابن سمعون الصوفي يعلّق على آية من سورة طه (٣٩) وهي قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، فيقول: ((لو أنّ أرقّ النّاس لساناً، وألطفهم بياناً أراد أن يتوسط حقيقة هذا القول لم يستطع وعاد حسيراً، ونكَصَ بهيراً ..))[٣].

ويذكر لنا التوحيدي كتاباً في التفسير لأبي القاسم الكعبي يقول عنه: ((يزيد حجمه على كتاب أبي زيد"[٤]، وروى سؤالاً لابن عباد عن قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [سورة الرحمن: ٣٥]، ...))[٥]. وهو يورد الآيات القرآنية إمّا للاستشهاد كقوله: ((وقال بعض السلف: عليكم بالصبر فإنّ الله تعالى قال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِيْنَ﴾...))[٦]، وإمّا في قضية حجاجية كسؤال الدامغاني للصاحب عن قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ وتعليق ابن بابويه القمّي عليها[٧]، ويأتي بها أحياناً لربط حادثة تاريخية أو موقف معين، ومن

---

(١) البصائر والذخائر: ٨ / ٦٦ .

(٢) البصائر والذخائر: ٨ / ٦٦ .

(٣) الصداقة والصديق: ٢١٢ .

(٤) البصائر والذخائر: ٨ / ٦٦ .

(٥) أخلاق الوزيرين: ٢٥٣ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٢١ .

(٧) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٢٥٤ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ذلك قصة رواها عن جاريةٍ جاءت لمنصور بن مهران بمَرَقةٍ فهراقتْها عليه، فلمّا أحسّ بحرِّها نظر إليها، فقالت: يا معلّمَ الخَيْر اذكر قولَ الله. قال وما هو؟ قالت: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ قال: كَظَمْتُ. قالت: واذكر ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ قال: قد عفوْتُ. قالت: واذكُرْ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. قال: اذهبي فأنتِ حُرّة"[١].

ويوردها للترغيب والترهيب، ومن ذلك ذَكرَ قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ [الحج:٢] فلمّا عُرف المعنى حُمل على أنّ قوله (تراهم سكارى) من الهول وليسوا بسكارى من الشرب[٢]. وأمّا قوله: ﴿لَا يَمُوْتُ فِيْهَا وَلَا يَحْيَى﴾ أي إنّه لا يموت موت الراحة، ولا يحيا حياة المنفعة[٣].

ومن الآيات التي رواها أبو حيان في التفسير عن ابن عباد قوله لابن أبي هشام: "لا تقُلْ حرِجتْ نفسُه، إنّما الحَرَج للصدر، قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ ..."[٤]. وفسّر قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ [يونس: ٥٤] أي أظهروا، أي بدا ذلك في أسرّتِهم[٥]، وقوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] معلّمين، ومنهم مَن أراد بها مرسَلين[٦]. وفسّر التوحيدي قول الله (عز وجل): ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ ...﴾ أي إنّه مَن تعلمون[٧]، وأبو حيان في روايته لكلام الله (عز وجل) يعتمد على مرجعيات عدّة ويورد الآيات القرآنية إمّا عرضاً في ثنايا الفقرات، وإمّا في فقرات مستقلة، وأحياناً يرجع في هذه الفقرات إلى أحد العلماء لتوضيح الأمور الغامضة

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: ٢/ ١٢٩ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٩ / ١٢٧ ، وينظر: الإمتاع: ٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٩ / ١٢٧ .

(٤) أخلاق الوزيرين: ٤٦١ .

(٥) ينظر: البصائر والذخائر: ٨ / ١١٥ .

(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٨ / ١٧٥ .

(٧) ينظر: البصائر والذخائر: ٩ / ١٢٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

فيها، ومن ذلك ما أورده عن جعفر بن محمّد (عليهما السلام) عن معنى قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧] لئن شكرتم هدايتي لأزيدنّكم ولايتي، ولئن شكرتم ولايتي لأزيدنّكم قربي[١].

ومن العلماء الذين ذكرهم التوحيدي، وسمع منهم علي بن عيسى الرمّاني، وفيه يقول: "وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وجهان ..."[٢]، وكما روى عن أئمة المسلمين (عليهم السلام)، وكذلك الرمّاني والقمّي ذكر أيضاً علماء السنّة بل إنّ أكثر الآيات التي أوردها رواها عنهم، ومنهم أبو هريرة الذي اورد عنه تفسيراً لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] عذاب القبر[٣].

وذكر أبو حيان تفسيراً عن ابن عباس إذ يقول: "قال ابن عباس: تبكي على الرجل البقاع التي يصلي فيها، ويصعد عمله منها، فذلك قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ١٢٩]"[٤].

وروى التوحيدي أسئلةً وجهّت إلى البخاري، ومن ذلك قوله: "وسُئل يوماً عن قول الله عز وجل: ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ [سورة الشورى: ٢٤] كيف نظمُه وتمامُه في المعنى واللفظ؟..."[٥]. وذكر تفسيراً عن الحسن البصري للآية (١١٠) من سورة الإسراء[٦]، وكذلك عن الجنيد الصوفي الذي فسّر الآية (٤٥)

---

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ١٩٤ .

(٢) البصائر والذخائر: ٦ / ٢١٧ .

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ٩٧ .

(٤) البصائر والذخائر: ٦ / ١٢٠ .

(٥) أخلاق الوزيرين: ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٧ / ١٥ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

من سورة العنكبوت[١]، وعن أبي كعب الأنصاري عن ابن الطحان الضرير البصري عن جهم روى تفسيراً لقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [سورة الفرقان ٧٠]، فيوم القيامة يبدل الله سيئات المؤمنين حسنات، فيندمون على ما قصروا فيه من تناول اللذات وقضاء الأوطار بالشهوات[٢].

وعن الأخفش روى تفسيراً فقال: "قال الأخفش ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] يزعمون أنّها على الجماعات نحو: هذا عنقٌ من النّاس، يعنون الكثير"[٣]. أمّا السيرافي فلم نجد له كتاباً في التفسير إلّا أنّ أبا حيان كان يروي عنه، ومنه قوله: "سألتُ السيرافي عن قوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] ..."[٤]. وكذلك قوله تعالى: "سمعتُ السيرافي يقول:﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ..."[٥].

وعن يعقوب ابن السكيت فسّر أبو حيان الآية (١١) من سورة الأنفال[٦]، وذكر أكثر من تفسير عن سفيان بن عينيه، ومنه تفسيره لقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١][٧]، وروى التوحيدي رأياً لأبي النّفيس الرياضي في الآية الكريمة ذاتها، وكان مختلفاً مع سفيان الذي قال فيها: "إذا قلّ المطر قل الغوص

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ١٩٤ .

(٢) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ١٩٦ .

(٣) البصائر والذخائر: ٦ / ١٨٠ .

(٤) البصائر والذخائر: ٣ / ١٤٩ .

(٥) البصائر والذخائر: ٦ / ٢١٦ .

(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٢٤٣ .

(٧) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٢٤٤ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وعمَّتِ الحيتان ودوابّ البحر"[١]. فيما ذهب أبو النفيس إلى أنّ المراد منه: في النّفس والقلب، أي بمعنى في السر والعلانية[٢].

وروى التوحيدي مسائل ـ في معنى بعض الآيات ــ أوصلها الوليدي للبخاري عن جماعة من أهل نيسابور[٣]، وذكر شرحاً لآيةٍ من سورة البقرة احتج بها الحسن بن شاذان "وكان بيت القرآن والرواية"[٤].

وروى التوحيدي تفسيراً عن الواسطي لآيتين في معنى العارف والعامل[٥]، وذكر تفسيراً عن أبي الفرج البغدادي الصوفي لسورة طه الآية (٤٢)، وقد تناوله بالنّقد، وتحدث عن أخطائه[٦].

ونراه يورد تفسيراً عن ميمون فيقول: "قال ميمون بن مهران في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢] تعزية للمظلوم ووعيدٌ للظالم"[٧]. وعن يحيى بن كثير ذكر تفسير قول الله (عز وجل) ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] فقال السماع[٨]، وعن قتادة فسّر قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦] أي سؤالك إياي ما ليس لك به علم[٩]، وأورد تفسيراً عن المبرّد لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ

(١) البصائر والذخائر: ١ / ٢٤٤ .
(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٢٤٤ .
(٣) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٢٦٩ ـ ٢٧٢ .
(٤) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٢٧٩ .
(٥) ينظر: البصائر والذخائر: ٢ / ٢٠٨ .
(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٢ / ٢٣١ .
(٧) البصائر: ٤ / ٦٠ .
(٨) ينظر: البصائر: ٧ / ١٤٨ .
(٩) ينظر: البصائر: ٨ / ٣٥ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي عن المسألة[١]. وروى عن الفراء تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] أي يبقى ربّك[٢].

وقد اطّلع التوحيدي على كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، ونقل قوله في أنّ اسم الشيء هو الشيء، أي إنّ وجه الله عز وجل هو الله، واسم السلام هو السلام[٣]، وقد ذكر أبو حيان عنه تفسيراً لأكثر من آية منها: "قال أبو عبيدة في قوله: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ [الإسراء: ٣٧] أي لن تقطع الأرض، والخرق: القطع"[٤].

وعن المفجع روى أبو حيان تفسيراً لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧] والإغماض كما يراه المفجع هو الاقتصاد على [ما] دون الحق[٥].

ويعد ثعلب من أهم العلماء الذين أخذ عنهم التوحيدي تفسير القرآن وروى عنهم أخباراً ـ تنتمي إلى حقل الأثر الديني ـ في كتاباته ومن ذلك أورد عنه تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ [النّحل: ١١٦] "ردّه على الألسنة والكذب ردٌّ على ما قال"[٦].

وبجانب القراءات والتفسير روى أبو حيان في أسباب نزول الآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، نزلت هذه الآية في الثُّقلاء، ذكر ذلك التوحيدي عن الأحنف[١].

---

(١) ينظر: البصائر: ٨ / ١١٥ .

(٢) ينظر: البصائر: ٦ / ١٤١ .

(٣) ينظر: البصائر: ٦ / ١٤١.

(٤) ينظر: البصائر: ٩ / ١٤٢ .

(٥) ينظر: البصائر: ٩ / ١٨٥

(٦) البصائر: ٩ / ٢٢٣ .

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ٢ / ١٣٦ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وخاض التوحيدي في مسائل تأويل القرآن ومعرفة مراد الله سبحانه وتعالى إذ يقول: "وما وجه قوله عزّ وجل ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وإذا ضممته إلى قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] فإنّك إن حملت أحدَ القولين على الآخر لم تبرأ من تعسّفٍ أو تكلّفٍ، فقفنا على المعنى الموقوف به فيهما، وعرّفنا مُرادَ الله (عز وجل) منّا بهما، فالخَطْب قد أعْضلَ من أجل هاتين الآيتين حتى صار الباحثون عن الحق فيهما إلى الاختلاف الشديد، والشتات العتيد"[١]. وهنا يشير بوضوح إلى اختلاف العلماء وتشتت مذاهبهم.

وذكر أبو حيان عن الوليدي مسائل في التأويل، ومضى يكرر على التوالي قوله: "وما تأويل قوله"[٢]، ثمّ يذكر الآية الكريمة، ثمّ يذكر فيها الأقوال والأوجه[٣].

ونقل أبو حيان عن ابن المراغي تأويلاً لآيةٍ ثمّ تساءل عن "صحّة قول من تأول قول الله عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]. إنّ المراد به علي بن أبي طالب (عليه السلام)، والقائل بهذا مقدم في النّحو على طبقته في العلم، وهو ابن المراغي"[٤].

وأورد التوحيدي تفسيراً لبعض الآيات الكريمة بشكلٍ مباشر من دون ذكر المصدر، ومنها "قوله تعالى: ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ [آل عمران: ٣٧] أي من أين لكِ هذا"[١]، و"قوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٢٤٧] أي كيف يكون"[٢].

---

(١) ينظر: البصائر: ٢/ ٢٢٩ .

(٢) أخلاق الوزيرين: ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

(٣) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

(٤) البصائر: ٢ / ٢٣٠ .

(١) البصائر: ٦ / ١٢٧ .

(٢) البصائر: ٦ / ١٢٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ويعمد أبو حيان، أحياناً، إلى الاقتباس من القرآن الكريم، ويقوم بتضمين ما يقتبسه في أدعيته ومناجاته[١] التي تتشابه في حرارة النبرة، وصفاء النّية، والتسليم إلى الله تعالى[٢].

وكثيراً ما يقتبس جزءاً من الآية ويقوم بتضمينها في درج الكلام[٣]، على شاكلة قوله: "وكما وجَدنا السيّئات يحبطنَ الحسنات، كذلك وَجَدْنا الحسنات يُذْهبْنَ السيئات"[٤]. وهنا يقتبس أبو حيان جزءاً من الآية (١١٤) من سورة هود، وجاء اقتباسه رائعاً .

وأحياناً، يقتبس الآية الكريمة بأكملها كقوله: "وهذه الآخرة وهي باقية، والله تعالى يقول: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾"[٥]، وقد تأتي اقتباساته سيئة، وهذا قليل في كتاباته، ومن ذلك قوله: "وأنتم قومٌ تلقفون ما يأفِكُون[٦]، والله أعلم بما توعون"[١]. وأحياناً تأتي اقتباساته على التوالي[٢]، وهو في أغلب اقتباساته يجيد ويتميز ويختار عباراته بدقة وذكاء .

وهناك مسألة عقدية مهمة في تاريخ الأمة الإسلامية، وهي مسألة خلق القرآن، وقد أُثيرت أيام حكم الخليفة العباسي (المأمون)، ذكرها التوحيدي في مؤلفاته

(١) ينظر: الإشارات الإلهية: ٩٠ ، ٩٦ ، ١١٢، ١٣٥، ١٤١ .

(٢) ينظر: النثر الفني عند أبي حيان التوحيدي، د. فائز طه عمر: ١٧٢ .

(٣) أخلاق الوزيرين: ٦٧ ، ٨١، ٨٣، ٩٨، ، وقد اقتبس أبو حيان من الآية (٤٢) وليست الآية (٤٤) من سورة الرعد، كما ذكر المحقق محمد بن تاويت: ١٠٣، ٢٥٤، ٢٧٩، ٣١١، ٣١٢، اقتبس من الآية (١٤٢) وليست الآية (١٤١). ينظر: ٣٥٧ ، الآية (٥١) من سورة غافر، وقد ذكرها المحقق (٥١) من سورة المؤمن: ٥٠٧ .

(٤) أخلاق الوزيرين: ٢٧ .

(٥) أخلاق الوزيرين: ٨١ .

(٦) اقتبس من الآية (١١٦) سورة الأعراف، وكان اقتباساً سيئاً. ينظر: أخلاق الوزيرين: ٥٧ .

(١) اقتبس من الآية (٢٣) سورة الانشقاق، وكان اقتباساً سيئاً أيضاً . ينظر: أخلاق الوزيرين: ٥٧ .

(٢) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٢٣٩ ـ ٢٤٠، ٤٤٩ ـ ٤٥١، ٥٠٨ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وعرض لما ذهب إليه فقهاء المذاهب الإسلامية، وفصل القول في خلافهم، وهل أنّ القرآن مخلوقٌ أو غير مخلوق؟

ويروي لنا أبو حيان ما يعتقد به فقهاء المذهب الإمامي، ومنهم عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) عندما سأله المأمون عن القرآن، وما يقول فيه، فأجاب عبد الله: "نحن نرى الكلام في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلّف المجيب ما ليس عليه، ولا خالق إلّا الله عز وجل، وما دون الله تعالى فهو مخلوق، والقرآن كلام الله تعالى ..."[١].

ومن فقهاء هذا المذهب ممّن ذكر لهم التوحيدي حديثاً عن هذه المسألة الصاحب بن عباد؛ إذ يروي عنه حواراً دار بينه وبي أبي واقد الكرابيسي، وكان الصاحب يسأل والكرابيسي يجيب، ومن ذلك قول الصاحب له: "فما تقول في القرآن"[٢]، فيجيب أبو واقد ولكن ليس كما يريد الصاحب ليكرر الأخير سؤاله فيقول: "صدقت، ولكن أمخلوقٌ هو أم غير مخلوق؟"[٣].

ويظهر أنّ هذه المسألة أخذت اهتماماً كبيراً في ذلك الوقت، الأمر الذي فتح الباب أمام التكهنات، ممّا جعل فقهاء هذا المذهب يقولون إنّ الكلام في القرآن بدعة وفتنة يجب الابتعاد عنها، والأقرب إلى هذا الرأي ما ذهب إليه فقهاء المعتزلة، فقد قالوا: إنّ القرآن مخلوقٌ ومحدث، وإنّ الله القادر على كل شيء له القدرة على خلق النّبي الأكرم محمّد (ﷺ) قبل أن يُنزل عليه القرآن، وكذلك استندوا إلى أدلةٍ من القرآن الكريم، فهو آياتٌ دلّت على أحداث وقعت قبل نزوله "فغزوة بدر حدثت من قبل أن

(١) البصائر والذخائر: ٧ / ١٢٠ ـ ١٢١ .

(٢) أخلاق الوزيرين: ١٢٩ .

(٣) أخلاق الوزيرين: ١٢٩ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

يتنزل في شأنها قرآن يُتلى على طول الزمان، والمرأة التي جادلت الرسول (ﷺ) في زوجها نزل من بعد مجادلتها قرآن"[١].

ويروي لنا أبو حيان خبراً عن الكعبي عن جعفر بن محمّد المعتزلي أنّه قال: "سألتُ أبا الهذيل عمّن لم يقل من العامة القرآن مخلوق، أيكفر؟ قال: لا، قلتُ: فإن قال: السماء ليست مخلوقة، أيكفر؟ قال: نعم، قلتُ: وما الفرق؟ قال: لأنّ الأول مختلَفٌ فيه والثاني مجمَعٌ عليه"[٢].

وأورد التوحيدي ما ذهب إليه أحمد بن حنبل، وذلك في حديثه عن ابنه عبد الله، وكان أبو حيان قد سمع خبراً عن أستاذه المروروذي فرواه، إذ يقول: "سمعتُ أبا حامد يقول: قرأ عبد الله بن أحمد بن حَنْبل في الصلاة: اقْرَأْ باسْمِ ربِّكَ الذي خُلِقَ، فقيل له: أنتَ وأبوك على طرفَيّ نقيضٍ، زعم أبوك أنّ القرآن ليس بمخلوقٍ، وأنت تزعم أنّ الربَّ مخلوق"[٣].

وينتهي عهد المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ) الذي دعا لفكرة خلق القرآن وحدوثه بقوّة السلطان، ويخلفه المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ)، فيسير على سيرته، وكذلك الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ) سار على منهجهما، فلمّا مات الواثق آلت السلطة إلى المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ)، وكان موالياً لفقهاء المذهب الحنبلي[١].

(١) خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السنة، فخر الدين الرازي، تح: أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت: ١١.

(٢) البصائر والذخائر: ٤ / ٢١٥ ـ ٢١٦ .

(٣) البصائر: ٦ / ٥٨ .

(١) ينظر: بداية المعرفة، الشيخ حسن مكي العاملي، دار الزهراء، قم ، إيران: ٥١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ويبدو أنّ الخلاف كان محتدماً بين المعتزلة والحنابلة حول هذه المسألة، فانعكس ذلك على السلطة وأصبح الخليفة يوعز لوزرائه بأن يدعو الناس إلى الفكرة التي تدعمها هذه الفرقة أو تلك(١).

ومن طريقة عرض التوحيدي لآراء الفقهاء، وعلى الرغم من أنّه لم ينتصر لمذهبٍ معين إلّا أنّ ابتعاده عن أهل الحديث كما يسمّون أنفسهم، وميله إلى ما ذهب إليه المعتزلة والإمامية يبدو واضحاً .

Wondershare PDFelement

(١) ينظر: بداية المعرفة: ٥١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المبحث الثاني:

أثر الحديث النّبوي الشريف

يعدُّ الحديث الشريف من أهم روافد أبي حيان، وله الأثر الواضح في إغناء ثقافته الدينية، وقد عُني به التوحيدي كعنايته للقرآن الكريم، ويروي لنا هذا الاهتمام من خلال حديثه السابق عن عمّه في عهد الطفولة، وكان كثير الكتابة للحديث؛ إذ يقول عن نفسه: ((كتب الحديث الكثير، وسافر، وتصوّف ...))[١].

أخذ التوحيدي من الحديث الشريف ما يعزز موضوعاته على اختلاف هذه الموضوعات وتنوّعها[٢]، وكان يسمّيه (سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله))، وهو في نظره ((السبيل الواضح، والنّجم اللائح، والقائد النّاصح، والعلم المنصوب، والأَمَمُ المقصود، والغاية في البيان، والنّهاية في البرهان، والفزع عند الخصام، والقدوة لجميع الأنام))[٣].

وعندما يتحدث التوحيدي عن الحديث الشريف فإنّه يجعل منزلته بعد القرآن الكريم ((بهاءً وحسناً، ومنفعة وخيراً، وحكمة وبلاغة، وهو الكلام الذي إن فاته من القرآن عَيْنُهُ فلم يفتهُ أثره، وإنْ بعُدَ عنه في آيته لم يبعد في دلالته، وهو الكلام الذي شاهدُهُ فيه: نورُ الحقِّ يلوحُ عليه، وسناء الهدى يُقتبس منه))[١].

---

(١) البصائر: ٨ / ١٢٤ .

(٢) ينظر: موارد أبي حيان التوحيدي، أ. د. عبد الرزاق أحمد وادي، والباحث تيسير حسين محمد، جامعة سامراء/ كلية التربية: ٥٢ .

(٣) البصائر: ١ / ٦ .

(١) البصائر: ٧ / ٩ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وبجانب الحضور القوي للقرآن الكريم في نصوص التوحيدي، فإنّ الحديث الشريف هو الآخر ساهم بشكلٍ كبير في تشكيل النّص في كتاباته[١]، فتارة يورده منثوراً بين طيّات الفقرات، وأخرى مجموعة في فقرة واحدة، وثالثة يورده في فقرات متتالية، فمثال ما أورد بين طيّات الفقرات قوله: ((استأذن عبد الله بن عمر على الحجاج ليلاً، فقال الحجاج: إحدى حمقات أبي عبد الرّحمن، فدخل، فلمّا وصل إليه قال له الحجاج: ما جاء بك؟ قال: ذكرتُ قولَ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): مَن ماتَ ولم يُبايعْ إمامَ عَصْرِه وزَمانه ماتَ ميتةً جاهلية، فقال له: أ تتخلّف عن بيعة عليّ بن أبي طالب وتُبايع عبد الملك؟ بايعْ رِجْلي فإنّ يَدي مشغولة، ومدَّ إليه رِجْلهُ))[٢]. وهنا نقّصَهُ وأراد الحطّ من قدره.

ومثال ما اورد من أحاديث مجموعةٍ في فقرة واحدة قوله: ((قال صلى الله عليه وآله: أشرف الحديث كتاب الله، وأوثق العُرى تقوى الله، وخير الملل ملّةُ إبراهيم عليه السلام، وأحسنُ السُّنَنِ سنّةُ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ...))[٣].

وقد أورد أبو حيان الحديث الشريف في فقرات متتالية[١]، ودافع عنه، وانتصر لأصحابه، أنصار الأثر والرّواية، وفضّلهم على المتكلّمين، أصحاب الرّأي

---

(١) ينظر: شعرية الخطاب السردي عند أبي حيان التوحيدي، سمير سوالمية، أطروحة دكتوراه، جامعة الأخوة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٨ ـ ٢٠١٩: ٢٧٠ .

(٢) البصائر: ٧ / ١٥١ ، وكذلك أورد أحاديث بين طيّات الفقرات، ينظر البصائر: ١ / ٧٠ ـ ٧١، ٢١٢، و٢ / ١٧، و٣ / ٢٩، و٤/ ١٧٩، و٥/ ٧٣ ـ ٧٥، و٨/ ٣١، و٩ / ١٨٠ .

(٣) البصائر: ٧ / ١٠ ، وورد مجموعاً في فقرة أيضاً، ينظر: البصائر:١ / ١٦٦، و٢ / ٣٤، ١٧٧ ، و٥ / ٦٤ ، و٧/ ٨٠، و٨/ ١١٤، و٩/ ٨٤ .

(١) ينظر: البصائر: ١ / ٨٣ ـ ٨٤ ، و٧ / ٢٣٥، ٢٥٠ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

والقياس[١]، وكثيراً ما يطعن بالمتكلّمين ويتهمهم بالسفه وسوء الأدب[٢]، باستثناء أستاذه الرّمانيّ الذي مرّ ذكره.

وهو يورد كثيراً من الأحاديث الشريفة، إمّا للعِظة والترهيب والترغيب، كقوله: ((قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: لا مالَ أعودُ من العقل، ولا وحدة أوحشُ من العُجُب، ولا عقلَ كالتدبير، ولا كرمَ كالتقوى، ولا قرينَ كحُسن الخُلُق، ولا ميراث كالأدب ولا فائدة كالتوفيق، ولا تجارة كالعمل الصالح ...))[٣]. ويوردها أحياناً للزجر، ومن ذلك قوله: ((وقال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: حبُّ المال والشر أذهبُ لدين أحدكم من ذئبَيْن ضاريَيْن باتا في زريبة غنم إلى الصباح، فماذا يبقيان فيها؟))[٤].

وأبو حيان التوحيدي من العلماء الذي احتجّوا بالحديث الشريف وأوردوه كثيراً في كتاباتهم، كذلك نقل عن علماء قبله أنّهم كانوا يستشهدون به في المسائل اللغويّة والنّحوية، ومنه قوله: ((قال ثعلب: الاقتماع إدخال الرّجل رأسه إلى داخل، والاختناث إخراج رأسه إلى خارج، ومنه حديث النّبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أنّه نهى عن اختناث الأسقية))[٥]. وأورد حديثاً للاستشهاد عن قول النّاس في الإمام علي (عليه السلام) فقال: سُئلَ أحمد بن حنبل عن قول النّاس: عليٌّ قاسم الجنّة والنّار، قال هذا صحيح، لأنّ النّبي صلّى الله عليه وعلى آله قال لعليّ بن أبي طالب: لا يُحبّكَ إلّا مؤمنٌ ولا يُبغِضُكَ إلّا منافق، فالمؤمن في الجنّة والمنافق في النّار))[١].

---

(١) ينظر: أبو حيان التوحيدي سيرته ـ آثاره، عبد الرّزاق محي الدين: ١٤٧ .

(٢) ينظر: البصائر: ٣ / ٤٦ .

(٣) البصائر: ١ / ١١ .

(٤) البصائر: ١ / ١١ .

(٥) البصائر: ٤ / ١٧٩ .

(١) البصائر: ٨ / ٣٢ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وإذا دققنا النّظر في طريقة عرض التوحيدي لهكذا روايات في فضائل أهل البيت (عليهم السلام) نجد أنّه حاول إخفاء انتمائه الديني، وقد أشرنا إلى ذلك سلفاً .

وأورد أبو حيان كثيراً من الأحاديث النّبوية الشريفة في معانٍ مختلفة ومواضيع شتّى، منها قوله: ((قال جابر بن عبد الله: مرَّ رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم برجل في ظلّ شجرةٍ يرشُّ عليه الماء، فقال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: ما بال صاحبكم هذا؟ قالوا: صائم، قال: إنّه ليس من البرِّ الصَّوم في السفر، فعليكم برخصةِ الله فاقبلوها))[١].

أمّا في الجانب الاجتماعي وأحوال الرّعية والتكافل بين المسلمين فأورد عن أبي سعيد حديثاً قال به: ((قال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: مَن كان له ظهر فليعُدْ عَلَى مَن لا ظَهر له، ومَن كان له زادٌ فليَعُدْ على مَن لا زاد له حتى رأينا أنّه لا حقّ لأحدٍ منّا في الفضل))[٢].

وقد أورد حديثاً في فضل الصدقة فقال: ((ما نَقَصَ مالٌ من صدقةٍ، فتصدّقوا ...))[٣]. وسمع من ابن شاهين حديثاً في تجنّب الأشرار والحذر منهم، يقول أبو حيان: ((وسمعتُ ابن شاهين يروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: (استعينوا بالله من شرار النّاس، وكونوا من خيارهم على حذر)))[٤].

وفي أنّ قسماً من النّاس لا غيبة لهم، او غيبتهم أجرٌ أورد التوحيدي حديثاً يقول به: ((وقد وقع في الخبر عن النّبي (صلّى الله عليه [وآله]: اذكُرُوا الفاسقَ بما

---

(١) البصائر: ٦ / ١١٨ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ٥ .

(٣) الإمتاع: ٣ / ٥ .

(٤) الصداقة والصديق: ١٠٥ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

فيه كي تحذَرَهُ النّاسُ))[١]. وفي تفضيل المقصر الكريم على المجتهد البخيل ذكر حديثاً؛ إذ يقول: ((وقال عليه السلام: مقصّرٌ سخيٌ أحبُّ إلى الله عز وجل من مجتهد بخيل))[٢]. وروى حديثاً شريفاً في أنّ الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر[٣].

والحديث الشريف واضحُ الأثر في مؤلفات أبي حيان لا سيما في كتابيه (الإمتاع والمؤانسة)، و(البصائر والذخائر)، ففي كتاب الإمتاع خصص التوحيدي الليلة الثالثة والعشرين للُمعٍ من كلام رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[٤]، فيما نثر مجموعة من الأحاديث الشريفة في أثناء الكتاب[٥].

أمّا كتابه (البصائر والذخائر) فقد أورد فيه ثلاثمائة واثنين وسبعين حديثاً شريفاً، وقد ذكر في الجزء السابع منه شعبةً كبيرةً من الأحاديث الشريفة؛ إذ جاءت في أوله مجموعة أحاديث متناثرة، ثمّ عرض في آخره قرابة مائتي حديثٍ أوردها على التوالي، وكان شارحاً[٦]، مفسّراً [٧]، معلّقاً عليها[٨]، ذاكراً المناسبة[٩].

أمّا طريقة التوحيدي ومنهجه في رواية الحديث الشريف فقد أورد أغلب الأحاديث وأقوال الصحابة من دون أن يذكر السند، وكان غالباً ما يقول: ((قال

---

(١) أخلاق الوزيرين: ٤٤ .

(٢) البصائر: ٧ / ٢٨٤ .

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ٧١ .

(٤) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٩٢.

(٥) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٢٩ ـ ٣٠ ، ٥٤ ، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٩٢ ـ ١٠٣، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٤، ١٦٢، و٣/ ١٥، ١٦، ٣٠، ٤٠، ٤٦ ـ ٤٧، ٧١، ٧٢، ٧٩، ٨٣، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٨ .

(٦) ينظر: البصائر: ٧ / ٢١٠ ، الفقرة (٦٥٠) .

(٧) ينظر: البصائر: ٧ / ١٧ ، ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

(٨) ينظر: البصائر: ٧ / ٢٠٨ ، الفقرة (٦٤٩) .

(٩) ينظر: البصائر: ٧ / ٢١٣ ، الفقرة (٦٥٣) .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم))[١]، أو يقول: ((قال النّبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم))[٢]، وكذلك يقول: ((قال صلّى الله عليه وآله))[٣]، ويورد أحياناً الاحاديث الشريفة على التوالي، فيقول: ((وقال عليه السلام))[٤]، أو يقول: ((وقال عليه وآله السلام))[٥]. هكذا وردت أغلب طرق روايته للحديث الشريف بشكلٍ مباشر من دون سند، وقد صرّح لنا أبو حيان بأهم أسباب حذفه لسند الحديث الشريف، فقال: ((وإنّما أحذِفُ الإسناد لأنّ الغرض يقرُب والمراد يَسْهل، والإسناد يُطيل ويملُّ المستفيد، على أنّ الإسناد زينُ الحديث وعلامة السنّة وسبب الرّواية))[٦]. وهو في هذا النّص بعد أن يبيّن لنا هذه الأسباب يعود ليعترف بأهمّية سند الحديث الشريف، ويؤكّد أنّه سبب صحّة الرّواية وعلامة قبولها.

وقد يأتي بالسند فيذكر شخصاً واحداً من سلسلة رواة الحديث، ومنه قوله: ((وقال أبو ذر [رحمة الله عليه]: قال [لي] رسول الله ـ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ يا أبا ذر: إنّي أراكَ ضعيفاً، وإنّي أحبُّ لكَ ما أحبُّ لنفسي، لا تأمَّرَنَّ على اثنين، ولا تولَّينَّ مالَ يتيم))[٧].

(١) ينظر: البصائر: ١ / ١١، و٣ / ١٣ ، ٩١ .

(٢) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٩٨ ، و٣ / ٦ ، و٧ / ١٦ .

(٣) البصائر: ٧ / ٢٠٥ ، ٢٤٨ .

(٤) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٩٢ ، ٩٣، ٩٤، والبصائر: ٧ / ٢٥٠ ، ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩ .

(٥) ينظر: البصائر: ٧ / ٢٣٣، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٧٢ .

(٦) البصائر: ٢ / ٧٧ .

(٧) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٩٦ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وقد يذكر اثنين من الرّواة، ومنه قوله: ((قال أبان عن أنس، قال رسول الله صلّى الله وآله وسلّم: الشؤم في أربع: في الدار والدابة والسيف والمرأة، قالوا يا رسول الله، وما شؤم المرأة؟ قال: تكون غالية المهر سيئة الخُلُق لا تلد، قالوا ...))[١].

وقد يذكر السند كاملاً في بعض الأحيان، ومنه قوله: ((وقال النّبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فيما رواه الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال: الإمام ضامنٌ، والمؤذن مؤتمن، فأرشدَ الله الأئمّة، وغفر للمؤذّنين))[٢].

وهناك طريقة أخرى أوردها التوحيدي في ذكره لسلسلة الرّواة أو السند، فيعمد إلى ذكر الحديث الشريف وفي آخره يذكر سنده، ومن ذلك قوله: ((وقال النّبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: (كلّكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيّته ... هكذا رواه ابن عُتْبَة عن نافع ابن عمر))[٣]. وكذلك روى حديثاً عن معاذ بن جبل، وقال في آخر الحديث: ((روى هذا أبو حاتم الرّازي عن أحمد بن أبي الحواري))[٤]. ونراه يورد بعض الأحاديث مسندةً إلّا أنّه ليس واثقاً من هذا السند كما يبدو، ومنها قوله: ((وقال عليه وآله السلام غبارُ الجهاد ذريرةُ الجنّة، حدثنا بهذا الحديث ميسرة بن علي إمام جامع قزوين في سنة خمسين وثلاثمائة عن محمّد بن أيوب الرّازي، وسألتُ عنه ابن الجعابي فزوى وجهه كأنّه لم يره صحيحاً))[٥].

وتنوّعت روافد أبي حيان بتنوّع موضوعاته واختلافها، فقد درس الحديث الشريف في مرحلة مبكرة، فأخذه عن أبي بكر الشافعي كما مرّبنا في موضعٍ

---

(١) البصائر: والذخائر: ٧ / ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٢) البصائر: ١ / ٨٤ ـ ٨٥ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٩٨ .

(٤) البصائر: ٥ / ٩ .

(٥) البصائر: ٧ / ٢٥٦ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

سابق[١]، وسمع من ابن الخلقاني سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة[٢]، وروى أبو حيان الحديث الشريف عن أستاذه السيرافي، ومنه قوله (صلّى الله عليه وآله): ((زر غباً تزددْ حبّاً))[٣].

وقرأ التوحيدي الحديث الشريف وتفسيره على الشيخ الأصبهاني، وأخذ عنه جميع الأحاديث الشريفة التي أوردها في الجزء السابع من كتابه (البصائر والذخائر)، يقول أبو حيان: ((وقال صلّى الله عليه وآله: اطلبوا الخير عند حِسان الوجوه، قال لنا الشيخ الأصبهاني ـ وعليه قرأنا جميع ما اتصل في هذا الجزء من أمثال رسول الله صلّى الله عليه وآله))[٤]. وقد أورد التوحيدي بعض الأحاديث الشريفة بصيغة المبنيّ للمجهول، ومنها قوله: ((ورُوي أنّ النّبي صلّى الله وآله ...))[٥]. وكان أبو حيان يرجع في تفسير بعض الأحاديث وتأويلها إلى كتاب (التاريخ) للبخاري، ومنه قوله: ((روى البخاري في (التاريخ) انّ سعداً مولى أبي بكر روى انّ رجلاً شكا إلى النّبي صلّى الله عليه [وآله] صفوان بن المعطل، وقال: إنّه هجائي، فقال: دعوه، إنّه خبيث اللسان طيّب القلب فما تأويل: (خبيث اللسان وطيّب القلب)؟ فقال البخاري: حشوي فُشَري، ليس عليه معوّل، ولا لقوله متأوّل))[٦]. وأغلب هؤلاء وغيرهم من مرجعيّات أبي حيان لم يظهر لهم ذكر متصل بروايته للحديث الشريف، فأبو حيان، كما مرّ بنا، اهتم بنصوص الأحاديث الشريفة وأهمل سلسلة رواتها على أنّه بيّن في بعض أقواله روافد استقائه لكلام النّبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ومنها إعجابه

(١) ينظر: أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب: ١٩٢ .

(٢) ينظر: البصائر: ٧ / ٢١٨ .

(٣) ينظر: البصائر: ٧ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

(٤) البصائر: ٧ / ٢٣٣ .

(٥) الصداقة والصديق: ٤١ .

(٦) أخلاق الوزيرين: ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

بكتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد القاسم بن سلّام، وفيه يقول: ((ثمّ إنّ الله تعالى أنبت أبا عبيدٍ نباتاً حسناً، وكفله وتولّاه وفتح عليه باباً في تفسير غريب حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يسبقه إليه أحدٌ، والنّاس من بعده سلكوا طريقه))[١]، وكذلك إعجابه بسبق الجاحظ إلى جمع الحديث الشريف في كتابه (البيان والتبيين)، يقول أبو حيان: ((وقد سبق أبو عثمان إلى جمعه في البيان والتبيين وليس على ما يأتي به أبو عثمان مزيد، فإنّه الشيخ المقدّم والبليغ المعظّم))[٢].

ويبدو أنّ التوحيدي وضع بعض الأسس لقبول صحيح الحديث من منحوله، ومنها: ((قبول ما لا ينتفي من العقل، ويستمرُّ على حكم العدل، ويلائم أساسَ الشريعةِ ومبنى الدّين))[٣]، وكثيرٌ من الأحاديث الشريفة اقتبسها وأوردها عن صحابة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهم بالطبقة الأولى من الرّواة، فأورد عن الإمام عليّ بن أبي طالب[٤]، وابنه الحسن (عليهما السلام)[٥]، وكذلك عن أبي ذر[٦]، وابن مسعود[٧]، وعن ابن عباس[٨]، وجابر الأنصاري[٩]، وأورد أحاديث عن أنس بن

(١) البصائر: ٧ / ٢٤٦ .

(٢) البصائر: ٧ / ٢٠٥ .

(٣) البصائر: ٤ / ١٧ .

(٤) ينظر: البصائر: ١ / ١٤٩ ـ ١٥٠ ، و٨ / ٣١ ، و٩ / ٢٣ .

(٥) ينظر: البصائر: ١ / ١٤٧ ، الفقرة (٤٥٠) .

(٦) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٩٦، وينظر: البصائر: ١ / ٨٤ ، ٢١٢ .

(٧) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٢١١ ، و٢ / ٤٣ ، و٣ / ٢١ .

(٨) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٩٩ ، والبصائر: ٦ / ٢٠٧ ، ٢١٠ ، و٧ / ٢٢٦ ، و٩ / ١٨٩ ، ١٩٢ .

(٩) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ٤٠ ، والبصائر: ٥ / ٢٢٧ ، و٦ / ١١٨ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

مالك[١]، وأبي هريرة[٢]، وعن معاذ بن جبل[٣]، وقيس بن عاصم[٤]، وذكر أبو حيان أحاديث عن عمر بن الخطاب[٥]، وابنه عبد الله[٦]، وعن عائشة[٧]، وأسماء بنت أبي بكر[٨]، ونجده يذكر أحاديث شريفة عن رواة عاصروا الصحابة أو كانوا الأقرب إلى زمنهم، ومن ذلك ما أورده عن مجاهد عن ابن عباس[٩]، وذكر حديثاً عن عطاء بن أبي رباح فيما رواه له أبو بكر الشافعي[١٠]، وعن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود ذكر التوحيدي حديثاً شريفاً، جاء فيه: ((إنّ النّبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كَحَلَ عينَ عليّ بن أبي طالب بريقه من وجعٍ أصابه))[١١].

وروى التوحيدي حديثاً عن أبي عبيدة العسكري في تاريخه عن أبي وائل عن حذيفة[١٢]، ونقل حديثاً شريفاً عن الواقدي عن محمّد بن إسحاق عن الزهري عن أنس بن مالك[١٣]، وكذلك أورد حديثاً عن ابن سيرين[١٤]، وعن أبي السائب

(١) ينظر: البصائر: ٢ / ٤٤ ، و٦ / ٩٦ ـ ٩٧ ، و٧ / ٢٢٣ ، و٨ / ١٤٣ ، و٩ / ٧٠ .

(٢) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٩٦ ، ١٢٩ ، والبصائر: ٣ / ٢٠ ، و٦ / ١١٣ .

(٣) ينظر: البصائر: ٥ / ٩ .

(٤) ينظر: البصائر: ٨ / ١٤ .

(٥) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٦٦ ، والبصائر: ١ / ٨٧ ، ١١٤، ١٣٣ .

(٦) ينظر: البصائر: ٧ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، و٨ / ١٥١ .

(٧) ينظر: البصائر: ٦ / ١١٣ ، ٢٤٥، و٨ / ١٤٥ .

(٨) ينظر: البصائر: ٣ / ١٤٤ .

(٩) ينظر: البصائر: ١ / ٢١٠ .

(١٠) ينظر: البصائر: ٢ / ٧٦ .

(١١) ينظر: البصائر: ٣ / ٢١ .

(١٢) ينظر: البصائر: ٦ / ٢٣٦ .

(١٣) ينظر: البصائر: ٦ / ٢٤٠ .

(١٤) ينظر: البصائر: ٨ / ٣٠ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المخزومي ذكر حديثاً شريفاً[١]، وروى عن أبي سالم القاص حديثاً[٢]، وعن الحسن البصري أيضاً روى حديثاً شريفاً[٣]، وعن عُقبة بن عامر الجهنيّ روى حديثاً شريفاً[٤].

وكان أبو حيان يسمع الحديث الشريف من شيوخه في المجلس، فينقل عنهم، ومن ذلك قوله: ((سمعتُ القاضي أبا حامد يقول ...))[٥]، ويسأل شيخه ابن الجعابي عن الحديث الشريف فيقول: ((وعلى ذكر ابن الجعابي فإنّي سألته عن قوله عليه السلام لعمّار: يا عمّار تقتلك الفئة الباغية ...))[٦]، ونقل التوحيدي عن ابن المعتز حديثاً مسنداً[٧]، وأورد حديثاً عن الزهري[٨].

وإلى جانب ما ذكره من آيات وأقوال للنّبي (صلّى الله عليه وآله) فإنّ أبا حيان أتى بجملة من أقوال أهل البيت (عليهم السلام) والصحابة، ونقل عن السلف أقوالاً كثيرة، وذكر أخباراً عن الزهّاد والمتصوفين؛ ففي كتاب (البصائر) أورد سبعة وثمانين قولاً للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كما ذكر خمسة وخمسين قولاً عن ابن عباس وأربعة عشر قولاً عن ابن مسعود، وذكر أربعة وسبعين قولاً عن عمر بن الخطاب، كما ذكر ثمانية عشر قولاً عن عائشة .

---

(١) ينظر: البصائر: ٩ / ١٨٠ .

(٢) ينظر: البصائر: ٣ / ١٥٧ .

(٣) ينظر: البصائر: ٣ / ١٤٦ .

(٤) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٥١ .

(٥) الصائر: ٥ / ٧٣ ، و٧ / ٢١١ .

(٦) البصائر: ٧ / ٢٥٦ .

(٧) البصائر: ٩ /٣٠ .

(٨) ينظر: البصائر: ٩ / ١٥٢ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

فأتى بأخبار الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)[١]، وكثيراً ما يُطلق عليه لقب أمير المؤمنين[٢]، وذكر أخباراً للإمام الحسن[٣]، وأخيه الحسين[٤](عليهما السلام)، وأورد أخبار الإمام السجاد (عليه السلام)[٥]، وأخبار الإمام الباقر[٦]، وأخاه زيد بن عليّ[٧] (عليهما السلام)، وذكر كذلك أخباراً عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)[٨]، والإمام موسى الكاظم[٩]، وابنه عليّ الرّضا[١٠](عليهما السلام)، وأكثر هذه الأقوال وردت في كتابه (البصائر والذخائر) وهو يمثّل شخصية التوحيدي، الذي ألّفه على طريقة الجاحظ.

وروى أبو حيان عن السلف أقوالاً كثيرة، فمنها ما أورده من دون ذكر القائل، كأن يقول: ((قال بعض السلف))[١١]، أو قد يذكر صاحب القول في بداية الخبر الذي يرويه على شاكلة قوله: ((قال العتبي: من شرف كلام بعض السلف ...))[١٢]،

(١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٦٣ ، ٩٥ ، وينظر: البصائر: ١ / ٢٦ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٦٦، و٢ / ٢٥ ، ٦٠، ٦٣، ١١٨، و٣ ، ١٦٥، و٥ / ١٧٤، ٢٠٦، ٢١٠، و٦ / ٦١ ، ٧٠ ، و٧ / ١٢ ، ١٤، ٤٦، ٤٨، ١٦٤، و٨ / ٣١، ٧٧، و٩/ ١٦ ، ٢٣، ١١٦ .

(٢) ينظر: البصائر: ٢ / ١٤٩، و٣ / ٢٧ ، ١٣٨، و٧ / ١٤١، ١٤٢، ١٥٠، ١٨٣ .

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٦٣، ٦٤، والبصائر: ١ / ١٣١، و٧ / ٤٥ .

(٤) ينظر: البصائر: ١ / ٦٦، و٤ / ٦٢، ١٨٥، و٧/ ١٣٧، و٨ / ٦٧ .

(٥) ينظر: البصائر: ٤ / ٦٢ ، و٨ / ٦٧ .

(٦) ينظر: البصائر: ١/ ٥٧، و٣ / ١٧٠ ، و٤ / ١٣٣ .

(٧) ينظر: البصائر: ٣ / ١٧٧، و٦ / ١٢٥ .

(٨) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٦٣ ، ١٣٠، والبصائر: ٧ / ١٦٥ .

(٩) ينظر: البصائر: ٨ / ٦٧ .

(١٠) ينظر: البصائر: ٢ / ٨٩ ، و٧ / ١٧ ، ١٨ .

(١١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٦٧، ٦٩ ، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٧، والبصائر: ١ / ٧٢، ١٠١، ١٣٥، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٣، و٤ / ١٥، ٩٨، و٥/ ١٢، ٥٥ ، و٦ / ٢٢١، و٧ / ٤٢، و٨ / ٢٧ ، ٣٣، ٤٠، و٩ / ١٥٦، ١٦٤ .

(١٢) البصائر: ٢ / ٢١٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وقد ذكر أخبار الزهّاد، وكثيراً ما يقول: ((قال بعض الزهّاد))[١]، أو ((قال زاهد))[٢]، وقد نقل أبو حيان عن شيوخ التصوف في عصره، أمثال الجنيد الصوفي[٣]، والبسطامي[٤]، وابن القصاب الصوفي[٥]، وغيرهم الكثير، وقد أُعجب بهم التوحيدي ووصفهم بقوله: ((ما أحوجنا إلى عالمٍ منطيق يكشف لنا كلام هذه الطائفة، وسأسوق إليك من غرائب ألفاظ الصوفية، وبدائع كلام النسّاك، ومحاسن كلام أرباب المقالات، وطرائق ما لاح لذوي الآراء والديانات ...))[٦].

وأخذ أبو حيان تفسير الحديث الشريف عن ابن الجلّاء الزاهد بمكة سنة (٣٥٣هـ)، ومن ذلك سأله عن قوله (صلى الله عليه وآله: ((بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء من أمتّي))[٧].

إذن، فالحديث النّبوي الشريف له الأثر الواضح في رفد ثقافة أبي حيان منذ المرحلة الأولى لتعلّمه، وقد حفظه، وكان يُكثر من كتابته، ويعتبر مرجعه الثاني بعد القرآن الكريم، وقد تنوّعت مصادره كما رأينا، وأخذه عن كبار العلماء في ذلك العصر، واطّلع، كذلك، على كتب سابقيه في هذا المجال، من أمثال الجاحظ وغيره.

---

(١) ينظر: البصائر: ٣ / ١٢٩ ، و٤ / ٢٠٣، و٧ / ١٤٤، ٨ / ٣٣، ٩٤ .

(٢) ينظر: البصائر: ١ / ٤٩ .

(٣) ينظر: البصائر: ١ / ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢، و٢ / ١٦٠ .

(٤) ينظر: البصائر: ١ / ٢٠٥ .

(٥) ينظر: البصائر: ٣ / ٥٣ .

(٦) البصائر: ١ / ١٥٢ .

(٧) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٧٨ ـ ٧٩ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المبحث الثالث:

الديانات والكتب السماوية الأخرى

ذكر الله (سبحانه وتعالى) الأديان في كتابه الكريم، فهو خاتم الكتب السماوية، ومُنزّل لهداية البشرية بجميع مذاهبها وأديانها، ويدعو إلى الحق والابتعاد عن الباطل، وترك الجهالة والهوى، وقد وردت الاديان التي عليها النّاس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

لقد حاول التوحيدي على مدى حياته العلمية أن ينفتح على هذه الأديان التي هي الإسلام ـ الذي ينتمي إليه أبو حيان ـ واليهودية، والنّصرانية، والصابئة، والمجوسية، والوثنية، فهو لم يقصر نفسه على الثقافة العربية الإسلامية، وقد عرف هذه الأمم المشهورة، ودرس تاريخها، وذكر عنها بعض الأخبار، ومن ذلك ردّه على سؤالٍ للوزير ابن سعدان: أتفضل العرب على العجم أم العجم على العرب؟ فيجيبه أبو حيان: ((الأمم عند العلماء أربع: الرّوم، والعرب وفارس والهند، وثلاث من هؤلاء عجمٌ، وصعبٌ أن يُقال: العرب وحدها أفضلُ من هؤلاء الثلاثة، مع جوامع ما لها، وتفاريق ما عندها))[١].

ودرس التوحيدي على أستاذه أبي سليمان تاريخ هذه الامم وأديانها ومعتقداتها وفضائلها على شاكلة قوله: ((سمعته يقول: نزلت الحكمة على رؤوس الرّوم، وألسن العرب، وقلوب الفرس، وأيدي الصين))[٢]. وهو يتحدث عن لغات هذه الأمم

(١) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧٠ .

(٢) المقابسات: ٢٦٠ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وأحوالها، فيروي عن أبي سليمان أنّ لغة الهند غير لغة الرّوم، وكذلك الصناعة والعقيدة ومزاياهما وأوصافهما(١).

ونجده يعرض لأديان العرب، فيقول: ((وأمّا أديان العرب فإنّ النّصرانية كانت في ربيعة وغسّان وبعض قضاعة، واليهودية كانت في حِمْير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة، والمجوسية كانت في تميم منهم زرارة بن عُدُس وحاجب بن زُرارة، والأقرع بن حابس، وكانت الزندقة في قريش))(٢). وهذه القبائل العربية كانت على هذه الأديان في الجاهلية بجانب عبادة الأوثان التي عُرفت آنذاك، فقريش مثلاً أخذوا الزندقة من الحيرة(٣).

ويروي لنا أبو حيان عن أستاذه أبي سليمان حديثاً جرى عن أخوان الصفا، يذكر فيه أنّ أمّة موسى (عليه السلام) هي اليهود، وأمّه عيسى (عليه السلام) هي النّصارى(٤).

وقد اتصل التوحيدي بالنّصارى، وسبق القول إنّه تتلمذ على يد يحيى بن عدي النّصراني (٣٦٤هـ)، كما كان على صلة وثيقة بأبي علي عيسى بن زُرعة، وهو من كبار اليعاقبة المسيحين(٥)، ذكره أبو حيان في كتاباته، وروى عنه، ومن ذلك قوله: ((وحكى لنا ابن زُرعة النّصراني قال: قيل للمسيح: مال بال الرجلَين

(١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٢١١ ـ ٢١٢ .

(٢) البصائر: ٥ / ٤٤ .

(٣) ينظر: الحور العين لأبي سعيد نشوان الحميري (ت٥٧٣هـ)، تح: كمال مصطفى، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٤٨: ١٣٦ .

(٤) ينظر: المقابسات: ٤٩ .

(٥) ينظر: مقدمة الإشارات الإلهية، د. عبد الرحمن بدوي: ٤٠ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

يسمعان الحقَّ فيقبلهُ أحدهما ولا يقبله الآخر؟ فقال: مثلُ ذلك مَثَلُ الرّاعي الذي يصوّت بغنمه فتأتيه هذه الشاة بندائه، ولا تأتيه هذه))[١].

ومَن يقرأ كتب التوحيدي يجد الكثير من أقوال المسيح (عليه السلام) تارةً عن مصدر كما ذكرنا، ومنه قوله: ((قال عيسى بن مريم (عليه السلام) فيما حدثنا ابن الجمل الكاتب النّصراني لتلامذته: علامتكم التي تُعرفون بها أنّكم منّي، أن يَوَدَّ بعضُكم بعضاً))[٢]. وتارةً أخرى يرويها متحللةً من مصدرها فيقول: قال عيسى بن مريم (عليه السلام)[٣].

وقد درس التوحيدي على أبي الخير الحسن بن سوار النصراني، وأورد عنه أخباراً[٤]، وقال عنه: ((وأمّا ابن الخمار ففصيح، سَبْط الكلام، مديد النّفس طويل العنان، مرضيّ النّقل، كثير التدقيق ...))[٥].

واطّلع أبو حيان على الإنجيل، بل يعدّ رافداً مهمّاً له حتى أنّ أثره بدا واضحاً في مؤلفاته وخاصة كتابه (الإشارات)، يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي: ((وليس بعسير أن نثبت أنّ التوحيدي قرأ الكتاب المقدّس بعهدَيه القديم والجديد))[٦]. ويمكن ان نثبت ذلك من خلال ما صرّح به أبو حيان؛ إذ يقول: ((مكتوب في الإنجيل: الحجر الواحد المغصوب في الحائط عربون خراب))[٧]. ونراه ينقل من إنجيل (لوقا)

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ١٩٧ .

(٢) الصداقة والصديق: ١٣٣ .

(٣) ينظر: البصائر: ٣ / ٢٣ ، و٥ / ٥٦ ، و٦ / ٥٢ ، ١٢٥، و٨ / ٨٨ ، والصداقة والصديق: ١٣٣، ١٣٤.

(٤) ينظر: المقابسات: ١٦٠ ـ ١٦١ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٣٣ .

(٦) ينظر: مقدمة الإشارات الإلهية: لز .

(٧) البصائر والذخائر: ٧ / ١٢٥ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

قولاً لعيسى بن مريم (عليهما السلام)[١].ومنهم مَن رجح أن يكون التوحيدي قد تأثّر بمزامير داوود (عليه السلام)، وإليه ذهب الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي يرى أنّ تأثره بأسلوب مزامير داوود لا يقدح بأصالته[٢].

وقرأ أبو حيان التوراة، وروى لنا أخباراً منها، ومن ذلك ما رواه عن وهب بن منبّه قوله: ((مكتوب في التوراة: المال يفنى والبدن يَبْلى، والعمل يُحصى، والذنب لا يُنسى))[٣].

وكان للتوحيدي اتصالٌ بعلماء اليهود، أمثال وهب بن يعيش الرقي، فقد روى عنه مقابسة دارت بينهما ((في قولهم لِمَ صارت الكيفية تسري في المكيف إلى الأول والثاني))[٤]. وذكر له أخباراً مع أبي الخير في كتابه (الإمتاع والمؤانسة) بطلبٍ من الوزير؛ إذ يقول أبو حيان: ((وقلت: لقد مرّ له اليوم شيءٌ جرى بينه وبين أبي الخير اليهودي استُفيد منه . قال: وما ذاك؟ انثر علينا دُررَ هذه الطائفة ...))[٥]. وذكر أبو حيان ـ لوهب بن يعيش هذا ـ رسالةً في معرض الإجابة على سؤالٍ للوزير ابن سعدان كتبها للملك السعيد سنة سبعين[٦]. وذكر عن الصالحين ـ كما يسمّيهم ـ أخباراً لما شاء الله اليهودي مع الثوري في الحكمة وعلم النّجوم[٧]. ولعلّ أبا الخير اليهودي هذا هو صاحب التوحيدي الذي ذكره في المقابسة الأخيرة التي جرت في مجلس النوجاشي، وكان الحديث عن الصديق وحقيقة الصداقة، يقول أبو حيان:

---

(١) ينظر: الإشارات الإلهية: ١٨٠ .

(٢) ينظر: مقدمة الإشارات الإلهية: لح .

(٣) البصائر: ٤ / ٢٣٥ .

(٤) المقابسات: ١٥٧ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٢١٨ .

(٦) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٧) ينظر: المقابسات: ١٢٣ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

((فلمّا غمرنا هذا الشيخ بهذا الفن وطرحنا في هذا الوادي سكتُّ سكتةً أوجب علينا حسن الأدب التفرّق عنه. فما مرّت أيام حتى نظمنا ذلك المجلس وضمنا مثل ذلك الأنس، فقال له بعض أصحابنا، وأظنّه أبا الخير اليهودي ...))[١].

ويروي لنا التوحيدي مناظرةً جرت بين رئيس اليهود والصاحب بن عباد، وهي تصوّر لنا الجدال بين المسلمين واليهود في ذلك العصر، يقول أبو حيان عنها: ((ناظر ـ يقصد الصاحب ـ بالرّي اليهودي رأس الجالوت[٢] في إعجاز القرآن، فراجعه فيه طويلاً، وثابته قليلاً، وتنكّد عليه حتى احتدّ وكاد ينقدّ ...))[٣].

وروى كذلك عن أبي إسحاق كعب بن ماتع الحميري، ومن ذلك قوله: ((وقال كَعْبُ الأحبار لرجل أراد سفراً: إنّ لكلّ رفقةٍ كلباً فلا تكن كلب أصحابك))[٤].

وعرف التوحيدي الديانة الصابئية وذكرها في كتاباته، وقال عن الصابئيين: ((كانوا أكثر النّاس عنايةً بالأديان والبحث عنها، والتوصل إلى معرفة حقائقها، ليكونوا من دينهم على ثقة))[٥]. وسمع أبو حيان من علماء هذه الطائفة، وأخذ عنهم، ومن ذلك قوله: ((وسمعتُ أبا الحسن الحرّاني يقول: قرأتُ في كتبنا، يعني كتب الصابئيين: إذا أردتَ أن تُكثر النّحل في مكان، فضع نحلةً من ذهب واجعلها في سقف بيت النّحل، فإنّ النّحل يزيد ولا ينقص ولا يهرب))[٦].

---

(١) المقابسات: ٣٧٠ ـ ٣٧١ .

(٢) رأس الجالوت: رئيس اليهود. ينظر: تاريخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (٧٤٩هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٦: ١ / ٧٥ .

(٣) أخلاق الوزيرين: ٢٩٩ .

(٤) الصداقة والصديق: ٢٩٥ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٩١ .

(٦) المقابسات: ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ولأبي حيان صديقٌ من هذه الديانة، وهو إبراهيم بن هلال، أبو إسحاق الصابي وفيه يقول: ((طباعُه عراقية، وعادته محمودة، لا يثِبُ ولا يرسب، ولا يكلُّ ولا يكهُم[١]...))[٢]. وممّا رواه عنه مقابسة في أنّ الطبيعة تعمل في تخالف النّاس على المذاهب والمقالات والآراء والنّحل، ويستهلها بذكره؛ إذ يقول: ((سمعتُ أبا إسحاق الصابي الكاتب يقول لأبي الخطاب الصابي: اعلم أنّ المذاهب والمقالات والنّحل والآراء وجميع ما اختلف فيه النّاس وعليه، كدائرة في العقل ...))[٣]. وعلى نحو ما كان يسمع منه من أقوال وآراء كان يسأله ليحصل على الجواب، ومن ذلك قوله: ((سألتُ الصابيّ أبا إسحاق عنه فقال ...))[٤]، وأحياناً يصف ما يحدث له أثناء القراءة، فيقول: ((ورأيتُ أبا إسحاق الصابي وهو يعجَبُ من فَصْلٍ قرأه من كتاب وَرَد عليه، وهو: أشْعر قلبكَ يأس مجاوِز السبيل، مقصّرٍ عن الشّوط))[٥].

وإلى جانب ما روى عنه بالسماع والسؤال وطرائق أخرى كان يدوّن ما يقال فيه في المجالس التي يحضرها لطلب العلم، ومن ذلك ما حصل في مجلس أبي سعيد السيرافي؛ إذ يقول: ((وحضرتُ المجلس يوماً آخر مع أبي سعيد وقد غصّ بأعلام الدنيا، وبنود الآفاق، فجرى حديث أبي إسحاق الصابي، فقال ذو الكفايتين: ذاك رجلٌ له في كل طراز نسجٌ، وفي كل فضاء رهج ...))[٦]. وأحياناً يروي عنه أخباراً فيقول: ((وقال الصابي))[٧].

---

(١) يكهُم: يضعف. ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٦٧ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٦٧ .

(٣) المقابسات: ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٤) أخلاق الوزيرين: ٣١٥ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٤٥ .

(٦) أخلاق الوزيرين: ٤١٤ ـ ٤١٥ .

(٧) المقابسات: ٢٦٣ ـ ٢٦٥ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وأمّا المجوسية فقد ذكر التوحيدي في حديثه الذي مرّ بنا أنّها كانت في تميم. ومن هذه الديانة أبو سعيد بن آزدشير (٣٨٠هـ)[١]، وكانت له آراء في الإسلام إلّا أنّها تحوم حول ديانته المجوسية[٢]، وروى التوحيدي عن علماء هذه الديانة أقوالاً، منها قوله: ((قال ماني المجوسي ـ وكان ذا حظ وافر من الحكمة ...))[٣]. ويفهم من كلام التوحيدي أنّه كان يشيد بعلم هذا الرّجل ويعدّه من أهل الفضل والحكمة .

ونراه يورد أخباراً عن هذه الطائفة مع الوزراء والقادة، ومن ذلك ما رواه في فيروزان المجوسي مع الصاحب في كتاب (أخلاق الوزيرين)، إذ يقول: ((وقال يوماً ـ أي الصاحب ـ في دار الإمارة لفيروزان المجوسي، وكان الخرائطي حاضراً، في شيءٍ نابذه عليه ...))[٤]. وكان أبو حيان ينقل عن بعض الرّواة المجوس أقوالاً، ويشير في نهايتها إلى المصدر، ومنها قوله: ((هذا رواه لي بعضُ المجوس لبزر جمهر))[٥].

وذكر أبو حيان خبراً عن أبي العيناء يذكر فيه: ((كان في الرّي مجوسيٌّ موسرٌ فأسلم، حضر شهر رمضان فلم يُطق الصوم، فنزل إلى سرداب له وقعد يأكل، فسمع ابنُه حسّاً من السرداب، فاطّلع فيه وقال: مَن هذا؟ فقال الشيخ: أبوكَ الشقيُّ يأكلُ خُبزَ نفسه ويفزعُ في النّاس))[٦].

والتوحيدي لم يقصر ما أورد من اخبارٍ على هذه الديانات التي هي: النّصرانية واليهودية والصابئية والمجوسية، فقد ذكر أخباراً عن أمم قديمة، مثل الرّوم

(١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٤٣ .

(٢) ينظر: أصداء المجتمع والعصر في أدب أبي حيان التوحيدي، نور الدين بلقاسم: ٢٧٤ .

(٣) المقابسات: ١٦٥ .

(٤) أخلاق الوزيرين: ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٥) البصائر: ٨ / ٦٧ .

(٦) البصائر: ٦ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وملوكها وقادتها على شاكلة قوله: ((كتب ملك الرّوم إلى ملك فارس: كلُّ شيءٍ تقوله كذب، فكتب إليه: صدقت، أي: إنّي في تصديقك كاذب))[١]. وقد ذكر أبو حيان أخبار الرّسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) مع ملك الرّوم الذي أهدى به شعيراً من ذهب، فأرسل به الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى المشركين يكف به أذى رؤساهم[٢].

ويعدّ نظيف الرّومي من شيوخ أبي حيان الذي كان يحضر درسه ويسمع منه، وقد أشار إلى ذلك التوحيدي بقوله: ((سمعتُ بعض مشايخنا ببغداد، وغالب ظنّي أنّه نظيف الرّومي يقول ...))[٣].

وذكر التوحيدي في كتاباته عدداً من أنبياء الله الصالحين الذي أُرسلوا قبل مجيء النّبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وقد مرّبنا ما قاله عن موسى وعيسى (عليهما السلام)، وأنّه قرأ التوراة والإنجيل، وبالإضافة إلى ما ذكرناه فإنّه أورد من الأنبياء داوود وسليمان ويحيى وزكريا وإبراهيم (عليهم السلام)، ومنه قوله: ((وقال داوود ـ عليه السلام ـ في دعائه: يا رازق النّعّاب في عشّه))[٤]، ويورد حواراً بين يحيى وعيسى (عليهما السلام) يصوّر لما فيه ما يدور بينهما من حديث حول الوقوف أمام الله تعالى، فيقول: ((التقى يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام فتبسّم يحيى في وجه عيسى، وقطّب عيسى في وجه يحيى [فقال عيسى

(١) البصائر: ٧ / ٦٥ .

(٢) ينظر: البصائر: ٥ /١٦٥ .

(٣) المقابسات: ٣٤٥ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٢٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ليحيى]: أتبتسم كأنّك آمن، فقال له يحيى: أتعبس كأنّك قانطٌ، فأوحى الله: إنّما فعله يحيى أحبّ إليّ))[١].

وإلى جانب ما روى من هذه الأخبار بشكلٍ مباشر روى البعض منها، فذكر المصدر على شاكلة قوله: ((قال ابن سلّام: كان يُخبزُ في مطبخ سليمان ـ عليه السلام ـ في كل يومٍ ستُّمائة كُرّ[٢] حنطة، ويُذبحُ له في كلِّ غداةٍ ستة آلاف ثور وعشرون شاة، وكان يُطعِمُ النّاس ويجلس على مائدته بجانب اليتامى والمساكين وأبناء السبيل، يقول لنفسه: مسكينٌ بين مساكين))[٣].

أمّا بالنّسبة لليونان فلم يذكر التوحيدي نبيّاً مرسلاً لهم، بل روى عن شيخه أبي سليمان قولاً في ذلك؛ إذ يقول: ((وليس ليونان نبيٌّ يُعرف، ولا رسولٌ من قبل الله صادق، وإنّما كانوا يفزعون إلى حكمائهم في وضع ناموس يجمع مصالح حياتهم ونظام عيشهم ومنافع أحوالهم ...))[٤]، وكانوا يعملون بهذا النّاموس، ويتخذونه مرجعاً لهم، حتى إذا أبلاه الزمان وضعوا ناموساً جديداً بزيادةٍ على النّاموس القديم أو نقصان بحسب الأحوال الغالبة على النّاس[٥].

لقد أورد التوحيدي أقوالاً عن اليونان تدعم ما ذهب إليه، ومن ذلك قوله: ((ولمّا ظهر موسى (عليه السلام) بمصر قال سقراط: نحن معاشر اليونانيين أقوامٌ مهذّبون لا حاجة بنا إلى تهذيب غيرنا))[٦].

---

(١) الصداقة والصديق: ٢٠٢ ، وينظر: البصائر: ٧ / ١٢٧ .

(٢) الكر: ستون قفيزاً، وقيل: أربعون أردباً . ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ٢٩ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ٢٩ ـ ٣٠ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٢٢ .

(٥) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٢٢ .

(٦) البصائر: ٤ / ١٦٦ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وقد ذكر أبو حيان الأمّة الهندية، واطّلع على تاريخها، وعدّها إحدى الأمم الأربعة، كما مرّ بنا في الحديث عن الأمم المشهورة، وأتاحت له مهنته بالوراقة الاطّلاع على كتب الهند، ومعرفة ثقافتهم وعاداتهم، يقول: ((وفي كتب الهند: لا ظفر مع بغي، ولا صحة مع نهم، ولا ثناء مع كِبر، ولا صداقة مع غضب، ولا شرف مع سوء أدب ...))[١].

ومضى يصف طباعهم في السياسة وإدارة الحكم فيقول: ((ولا رئاسة مع غيرة وعُجب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات مُلكٍ مع تهاون وجهالة))[٢].

وقد ذكر أخباراً عن ملوك الهند[٣]، وحكمائهم[٤]، وروى عن علمائهم، ومن ذلك قوله: ((قال الهندي: أول البلاغة أن يكون الخطيبُ رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل الحركات، خفيّ اللحظِ، متخيّر اللفظ، لا يكلّم الملوك بكلام السُّوقة، ويكون في قوته التصرّف في كل طبقة))[٥]. وأحيانا يورد عنهم أقوالاً يستهلها بالقول: ((قال بعض الهند))[٦]. وإلى جانب الأمم التي مرّ ذكرها، فقد ذكر التوحيدي الصين، والترك، والزنج، وذلك في معرض الجواب على سؤالٍ لابن المقفّع في مجلسٍ لأعيان المصر حين قال: أيّ الأمم أعقل؟ وكان يقصد العرب[٧].

ولعلّ في كلّ ما قدمناه ما يصوّر لنا اهتمام التوحيدي بهذه الأديان التي لا يمكن للإنسان ان يخرج عن واحدٍ منها، فقرأ أبو حيان تاريخ هذه الأديان، وعرف

---

(١) البصائر: ٢ / ١٥١ .

(٢) البصائر: ٢ / ١٥١ .

(٣) ينظر: البصائر: ١ / ١٢٧ .

(٤) ينظر: البصائر: ٢ / ١٧٤ ، و٤ / ٤١ .

(٥) البصائر: ٢ / ٦٥ .

(٦) ينظر: البصائر: ٣ / ١٧٢ ، و٥ / ٢٠ .

(٧) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

لغاتها، ودرسها على يد كبار العلماء في عصره، أمثال أبي سليمان السجستاني وعليّ بن عيسى بن زُرعة، وابن الخمّار، وابن يعيش الرّقي، وأبي إسحاق الصابي، وغيرهم .

وإلى جانب اطّلاعه على القرآن الكريم والحديث الشريف، كذلك، اطّلع أبو حيان على التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية، وروى أخباراً عن أنبياء الله الصالحين، وكذلك اطّلع التوحيدي على تاريخ الأمم القديمة، كاليونان والرومان، وعرف عاداتهم وأديانهم، وذلك عن طريق ما ترجم من كتبهم إلى العربية.

وقد شكّلت هذه القراءة عاملاً مهمّاً في جعل أبي حيان على وعيٍ كبير بنتاجات العصور القديمة، وكذلك التي سبقت عصره، وأصبحت رافداً مهمّاً من روافد ثقافته، فبرز كمثقفٍ متنوّع المصادر، واسع المعرفة والاطّلاع.

Remove Watermark
Wondershare PDFelement

الفصل الثاني:

المرجعية الفلسفية

المبحث الأول: الفكر اليوناني

المبحث الثاني: الفكر الفارسي

المبحث الثالث: الفكر الاعتزالي

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المبحث الأول:

الفكـــر اليـــونانيّ

الذي يقرأ كتابات التوحيدي ويدقق النّظر في فكره يتضح له أنّه أثار الكثير من المسائل الفلسفية، فهو يطرح السؤال حتى في الموضوعات المألوفة الحاضرة يومياً[١]، وعُرف عن أبي حيان ولعه بالفلسفة والمنطق وعلوم اليونان، ويظهر أنّه شديد التأثّر بعلوم الأوائل، وله مكانة فلسفية كبيرة في الدراسات السابقة القديمة والحديثة، فقد وصفه ياقوت بفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، كما مرّ بنا سابقاً. وهو يتميز بالتنوّع والتعمّق والإبداع، ونجده يصوغ الفكرة الفلسفية بأسلوب أدبيّ فريد[٢].

أمّا في الدراسات الحديثة فقد وُصف بفيلسوف التوحيد، وفيلسوف التساؤل، وفيلسوف الإنسان، وفيلسوف التشاؤم، وفيلسوف الفكاهة[٣]. فقد عاش التوحيدي في القرن الرّابع الهجري الذي يُعد عصر العلوم والمعرفة والترجمة، التي عن طريقها اختلطت الثقافة العربية الأصيلة بالثقافات الواردة على العرب، وقد تقدّم هذا العصر من النّاحية العقلية. وامتزجت فيه الثقافات، وأصبح الفرس والهنود يتثقفون الثقافة العربية، بل وينتجون فيها، والسوريانيون والحرّانيون يرفدون البلاد بثقافة اليونان[٤].

---

(١) ينظر: الله والإنسان في فلسفة أبي حيان، حسن الملطاوي، مكتبة مدبولي، ١٩٨٩: ١٨ .

(٢) ينظر: نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي: ٣٧.

(٣) ينظر: النّزعة النّقدية عند أبي حيان التوحيدي، كلية البنات، جامعة عين شمس، رسالة ماجستير، ١٩٨٩م: ١٥٣ .

(٤) ينظر: ظهر الإسلام، د. أحمد أمين، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، لبنان: ٢ / ١١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وقد نشطت حركة الترجمة من اليونانية إلى العربية[١]، ويصور لنا التوحيدي مراحل هذه الترجمة فيقول: ((على أنّ الترجمة من لغة اليونان إلى العبرانية، والعبرانية إلى السريانية، ومن السريانية إلى العربية))[٢].

إنّ الفلسفة العربية استقت أهم قضاياها من فلسفة اليونان[٣]بعد أن صبغت بالصبغة العربية، فكثر الجدال، واشتدت الخصومة في مجالس العلماء، ومن ذلك المناظرة الشهيرة بين أبي سعيد السيرافي أستاذ التوحيدي ومتّى بن يونس القنائي في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، وقد انعقد هذا المجلس سنة (٣٢٦هـ)[٤]، عن المنطق اليوناني والنّحو العربي[٥]، وهي مناظرة حوارية حجاجية، كشفت لنا بدقة عن الصراع الفكري بين المناطقة الذين رفعوا من شأن المنطق، وذهبوا إلى عدم حاجته إلى النّحو من جهة، وبين علماء البلاغة العربية الأصيلة من جهة أخرى، فيروي لنا أبو حيان هجوم القنائي على النّحاة؛ إذ يقول متى: ((يكفيني من لغتكم هذه الاسم والفعل والحرف، فإنّي أتبلغ بهذا المقدار إلى أغراض قد هذّبتها لي يونان))[٦]، فيرد عليه السيرافي: ((أخطأت؛ لأنّك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها، وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف...))[٧].

---

(١) ينظر: أبو حيان التوحيدي ناقداً ، بثينة سلمان محمد: ٤٥ .

(٢) المقابسات: ٢٥٨ .

(٣) ينظر: أصول الفلسفة العربية، يوحنا قمير، دار المشرق، ط٦، بيروت، ١٩٩١: ١٣٦.

(٤) ذكر السندوبي تاريخ هذه المناظرة سنة (٣٢٠هـ)، وتبعه الدكتور شوقي ضيف وجماعة. ينظر: الأدب العربي، العصر العباسي الثاني: ٥٣٦ ، والصحيح ما أثبتناه عن كتاب الإمتاع والمؤانسة، فهو مذكور في المتن. ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١/ ١٠٨ .

(٥) ينظر: المقابسات: ٦٨ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١١٥ .

(٧) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١١٥ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ومن هذا النّص نعرف أهمية ارتباط المنطق باللغة، فمنطق اليونان لليونان وللغتهم، وهو منطق لا يلزم غيرهم[١]، وعندما يوافق متى في لزوم الحاجة إلى اللغة يفاجئه السيرافي بالقول: ((أنت إذاً لستَ تدعونا إلى علم المنطق، بل إلى تعلّم اللغة اليونانية! وأنت لا تعرف لفة يونان، فكيف صرتَ تدعونا إلى لغةٍ لا تفي بها؟ وقد عفت منذ زمان طويل وباد أهلها...))[٢]. ونحن عندما نذكر هذا الحوار لسنا بصدد الحديث عن متّى والسيرافي بقدر ما نريد أن نبيّن دفاع التوحيدي عن اللغة العربية عن طريق ما أورده على لسان أستاذه، وهو دفاعٌ يتكئ على أدلة مقبولة، على الرّغم من أنّه في بعض آرائه يرى بإمكان التكامل بين تطبيقات المنطق والنّحو، فالمنطق لغة، واللغة منطق[٣]، وهذا ما ذهب إليه بعض المحدثين الذين ينادون بحوار الثقافات، ومنهم الدكتور عفيف البهنسي الذي يرى أنّ التوحيدي استطاع أن يوضّح جانباً مهمّاً من موضوعات أثيرت في عصره، وهي مسألة اقتحام الدخيل في فكر يونان وعقلانيته على الأصالة العربية وقواعد نحوها[٤].

ويظهر أنّ أبا حيان لم يكن من المترجمين لكتب اليونان بدليل قوله: ((هذه مقابسة استفدتها من مواضع مختلفة هي أعيان كلام الأوائل بالترجمة المنقولة إلينا))[٥]، إلّا أنّه أخذ الكثير من الثقافة اليونانية، فكتُبه تعج بأقوال علماء اليونان وأخبار حكمائهم وملوكهم، وقد أخذ أغلبها عن أبي سليمان السجستاني أستاذه في

(١) ينظر: الفكر الجمالي عند التوحيدي، د. عفيف البهنسي: ٩٧ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١١١ .

(٣) ينظر: المقابسات: ١٦٩ .

(٤) الفكر الجمالي: ٩٧ .

(٥) المقابسات: ٣٣٠ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

الفلسفة، والمنطق، وعلم النّجوم[١]، ولأبي حيان أكثر من طريقة في كيفية تحصيل هذه العلوم عن أستاذه، منها:

الأولى: كان يحضر مجالسه، وينقل عنه أقواله في الفلسفة والمنطق، ومن ذلك قوله: ((هذه مقابسة دارت في مجلس أبي سليمان ...))[٢]. وحضر التوحيدي مجالس لأستاذه السجستاني في الأنس، وهي ((إن لم تكن في صدد الفلسفة فإنّها لا تخرج من جملتها، ولها فائدتها ...))[٣]، وكان يسمع في مجلس أبي سليمان من زملائه أخبار كبار فلاسفة اليونان ومتقدميهم، ومنه قوله: ((قُرئ على أبي سليمان من كلام ابندقليس...))[٤]. غير أنّه لم يقصر نفسه على مجالس أستاذه أبي سليمان السجستاني، بل كان يحضر مجالس أخرى تدرس فيها الفلسفة وعلوم اليونان، ومنها: مجلس يحيى بن عدي[٥]، ومجلس أبي بكر القومسي[٦]، ومجلس أبي زكريا الصميري[٧]، ومجلس أبي الحسن العامري[٨]، ومجلس علي بن عيسى[٩]، ومجلس أبي الحسن الحرّاني، يدلنا على الأخير قول أبي حيان: ((ونذكر في هذه حكماً سمعناها من الحرّاني أبي الحسن وغيره، فقد كانت المجالس لا تنصرم إلّا عن فوائد كثيرة فلسفية وغير فلسفية))[١٠].

---

(١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٦ .

(٢) المقابسات: ١٢٠ .

(٣) المقابسات: ٢٩٥ .

(٤) المقابسات: ٢٨٢ .

(٥) ينظر: المقابسات: ١٩٢ ـ ١٩٣ ، ٢٢٤ .

(٦) ينظر: المقابسات: ١٤٤، ٢٧٠، ٣٤٣ .

(٧) ينظر: المقابسات: ٣٢١ .

(٨) ينظر: المقابسات: ٣٠١ .

(٩) ينظر: المقابسات: ٣٥١ .

(١٠) ينظر: المقابسات: ٢٦٢ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ويقوم التوحيدي أحياناً بتدوين بعض النّصوص المتفرقة في مقابسة واحدة، ويقول: ((هذه مقابسة رسمنا فيها كلمات نافعة كانت متفرقة في ديوان الحفظ ولم ننسبها إلى شيخ واحدٍ لأنّها كانت تجري في مجالس مختلفة ...))[١]. ويتضح لنا من خلال هذا النّص كثرة المجالس الفكرية في ذلك العصر، الأمر الذي جعل من الصعب على أبي حيان أن ينسب النصوص إلى قائليها.

أمّا الطريقة الثانية فكانت السماع والسؤال على شاكلة قوله: ((سمعتُ أبا سليمان يقول: قال أفلاطون ...))[٢]، وكذا قوله: ((هذه مقابسة أثارها قولنا لأبي سليمان المنطقي: ما أحسن كلمات لبطليموس في الثمرة؟ ...))[٣]. نفهم من سؤال أبي حيان لأستاذه عن كتاب الثمرة ـ الذي أثار إعجابه ـ اطّلاعه على كثير من المصادر القديمة المترجمة عن اليونان، يقول أبو حيان: ((سألتُ أبا سليمان عن البلاغة ما هي، وقلتُ: أحببتُ ان أعرف قولاً على نهج هذه المطابقة لأنّ لهم كتاب الخطابة في عرض كتاب الفيلسوف))[٤]. وهنا يقصد بالفيلسوف أرسطو، فهو عندما يشير إلى كتاب النّفس له أيضاً ـ يسمّيه بالفيلسوف[٥]، وعرف له كتاب الجدل أيضاً[٦]، وكتاب الحيوان[٧]، وقد أشار إلى كتابه (السماع الطبيعي) ولم ينص على اسم أرسطاليس لشهرة الكتاب[٨].

---

(١) المقابسات: ٣٢٧ .

(٢) المقابسات: ٢٥٩، وينظر: قوله: ((قال أيضاً: قال أفلاطون)) في المقابسات: ٢٦٨ .

(٣) المقابسات: ٢٤٨ .

(٤) المقابسات: ٢٩٣ .

(٥) المقابسات: ٢٤٦ .

(٦) ينظر: المقابسات: ٢٢٤ .

(٧) ينظر: البصائر: ٩ / ٣٢ .

(٨) ينظر: المقابسات: ٢٩٢ ، مقابسة (٨٧) .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وامتاز التوحيدي بمخالطته أصحاب جميع المذاهب الفلسفية، فهو لا يتحيز لفيلسوفٍ معين من الذين درس عليهم سواء كان من الفلاسفة المسلمين أم من أصحاب الفلسفة اليونانية(١).

والطريقة الثالثة في تحصيله لهذه العلوم والحكم اليونانية عن أبي سليمان هي أنّ الأخير كان يملي على تلميذه التوحيدي ما يريده من رسائل وأخبار اليونان وأحاديث فلاسفتهم، فيكتبها عنه، ويقول في نهاية الرسالة: ((هذه رسالة أفادنيها أبو سليمان وزعم أنّها لأرسطاليس))(٢).

أمّا الطريقة الرّابعة فقد تفرّد بها أبو حيان عن غيره من رواد مجالس شيخه المنطقي؛ إذ كان يقرأ على أستاذه كتب اليونان بدليل قوله: ((قال أبو سليمان وانا أقرأ عليه كتاب النّفس للفيلسوف سنة ٣٧١هـ ...))(٣). فضلاً عن أبي سليمان السجستاني فقد درس الفلسفة والمنطق وعلوم اليونان على يحيى بن عدي المنطقي، وهو من تلاميذ متى بن يونس وأبي نصر الفارابي(٤)، وانتهت إلى يحيى رياسته المنطقيين في زمانه، وبالإضافة إلى التوحيدي فقد درس عليه السجستاني، والقومسي، والبديهي ، وكان الأخير يدعو زميله التوحيدي إلى حضور مجلس يحيى، يقول أبو حيان: ((سمعتُ البديهي يقول ـ وكان صحب يحيى بن عدي دهراً، وهو حملني بدعوته اللطيفة إلى مجلسه ...))(٥).

---

(١) ينظر: النّزعة النّقدية: ١٥٥ .

(٢) البصائر: ٩ / ٢١٥ .

(٣) المقابسات: ٢٤٦ .

(٤) ينظر: أبو حيان التوحيدي، د. إبراهيم الكيلاني: ١٦ .

(٥) المقابسات: ١٩٢ ـ ١٩٣ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وقد ذكر التوحيدي أخباراً كثيرة عن فلاسفة اليونان من الذين شاع ذكرهم في عصره أمثال سقراط وأفلاطون، وأرسطو، وبطليوس، وآبقراط، وديوجانس، وغيرهم[١]، وأغلب هذه الأخبار أوردها كعادته متحللة من المصدر على شاكلة قوله: ((قال سقراط))[٢]، وكذلك قوله: ((قال أفلاطون))[٣]، وقوله أيضاً: ((قال أرسطو طاليس))[٤].

وتنوّعت طرائق روايته المباشرة، واختلفت موضوعاتها، منها على سبيل المثال لا الحصر قال بعض اليونانيين[٥]، أو يقول: وقال فيلسوف يوناني[٦]، وقوله: يقال إنّ أفلاطون مات مبرسماً وأرسطوطاليس مات مجدوراً[٧]، وأحياناً يقوم بذكر المصدر، ومنه قوله: ((قال أرسطاطاليس في كتاب الحيوان))[٨]، ومن ذلك أيضاً: ((قلت جالينوس في منافع الأعضاء يذكر أموراً ...))[٩]. وقد نقل عن هؤلاء الفلاسفة من الحكم والأمثال ما يمثّل فهمه للفلسفة اليونانية من جهة، وأثرهم في فكره

---

(١) ومنهم فيثاغورس، وثيودورس، والإسكندر، وزينون، وجالينوس، وأرمانوس الملك، ودميانوس، وأبارينوس، وثيغانوس، وانكساغورس، كما ذكر اقليدس، وبلياناس، وغيرهم جملة من أهل العلم والفلسفة .

(٢) البصائر: ١ / ٦٥ ، و٢ / ١٧٢ ـ ١٧٣، و٣ / ٩٦، ١٣٩، و٤ / ١٦٦، و٦ / ١٩٥، والإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٣٦، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، والمقابسات: ٢٦٤ ـ ٢٦٥، والصداقة والصديق: ١٨٤، ١٩٣ .

(٣) البصائر: ١ / ١١٠ ، و٢ / ١٣١، و٦ / ١٩٥ ، ٢٤٨، و٨ / ١٠٦، و٩ / ١٦ ، ٨٧ ، وينظر: الإمتاع والمؤانسة:٢ / ٣٦، ٤٥، ٤٦، ٤٧ ، ٤٩، وينظر: المقابسات: ٢٥٩ ، ٢٦٤، ٢٦٨، وينظر: الصداقة والصديق: ١٨٤، ١٨٥ .

(٤) البصائر: ١ / ١٢٧، ٢١٩، و٢ / ٢٥، ٦٤، ٩٣، و٣ / ٣٦، و٨ / ١٨١، ١٨٣، و٩ / ١٨، ٣٢، وينظر: المقابسات: ١٩٧، وينظر: الصداقة والصديق: ١٩٣، ٢٨٦ .

(٥) ينظر: البصائر: ١ / ٥٩ .

(٦) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٣٥ .

(٧) ينظر: البصائر: ٢ / ١٣٦ .

(٨) البصائر: ٩ / ٣٢ .

(٩) المقابسات: ٣٥١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

من جهة أخرى[١]، وهو دائماً يحاول أن يرفع من شأنهم[٢]، وذكر بعض أخبار اليونان عن شيوخه، ومن ذلك قوله: ((وقال علي بن عيسى: قال أفلاطون))[٣]، وقال أيضاً: ((قال أرسطاطاليس ـ فيما ترجم من كلامه عيسى بن زرعة المنطقي ...))[٤]، أو يطلق عليهم تسمية الأوائل على شاكلة قوله: ((سمعتُ القومسي أبا بكر يقول: قال بعض الأوائل))[٥].

ويروي لنا التوحيدي استدلال شيوخه بأقوال أرسطوطاليس في مسائل تتعلق بالحجاج والجدل، ومنه ما رواه عن أبي سليمان عن الفرق بين طريقة المتكلمين وطريقة الفلاسفة؛ إذ يقول: ((وقد بيّن هذا الباب أرسطوطاليس في الكتاب الخامس، وهو الجدل، كل ما في الإمكان من التعليق به والاحتجاج منه مع التمويه والمغالطة ...))[٦]. ومضى التوحيدي يستأنس بأقوال فلاسفة اليونان في تعليقاته، ومن ذلك قوله في مقدمة كتاب (الهوامل والشوامل) عندما يتحدث عن الصديق موجّهاً كلامه إلى أستاذه مسكويه، فيقول: ((الصديق ما رسمه الحكماء حين قالوا أنت إلّا أنّه غيرك بالشخص))[٧]، ونسب التوحيدي هذا القول إلى أرسطو في كتاب (الصداقة والصديق)[٨].

(١) ينظر: مفهوم الأخلاق عند أبي حيان التوحيدي: ٤٣ .

(٢) ينظر: قضايا المجتمع في أدب أبي حيان التوحيدي، آية محمد خلف، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ٢٠١٦م: ٧٦.

(٣) المقابسات: ٢٦٤ .

(٤) المقابسات: ١٩٧ .

(٥) المقابسات: ٢٧٠ .

(٦) المقابسات: ٢٢٤ .

(٧) الهوامل والشوامل: ١ ـ ٢ .

(٨) ينظر: الصداقة والصديق: ٦٩ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وقد أورد أبو حيان هذه الأخبار متناثرة بين طيّات كتبه، ومنها ما ورد في المناظرة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي، ومتّى بن يونس القنائي، وقد مرّت بنا في حديثنا السابق[١]، ومنها ما جاء على شكل فقرة واحدة، ويوردها أحياناً على شكل فقرات متتالية[٢]، وذكر التوحيدي أخباراً لملوك اليونان، ومن ذلك قوله: ((قيل لديوجانس، وكان يونانياً: أ ملك الرّوم أفضل أم ملك الفُرس؟ فقال: مَنْ كان منهما أملكَ لهواه))[٣]. ويروي لنا عنهم قولاً رائعاً وفيه من الحكمة ما لا يستطيع أن يخفيه أحد، إذ يقول: ((قال ملك يونان: أمر الدنيا تحت شيئين، أحدهما تحت الآخر السيف والقلم، والسيف تحت القلم))[٤].

واحتوت كتب التوحيدي أخباراً كثيرة عن الاسكندر[٥] الملك، ومخاطباته مع كبار الفلاسفة كقوله: ((كتب أرسطاطاليس إلى الاسكندر رسالةً في السياسة، يقول في أولها: أمّا التعجب من مناقبك فقد نسخَهُ تواترها، فصارت كالشيء القديم الذي قد بُسئ به، لا كالحديث الذي يتعجب منه))[٦]. وهنا لا يكتفي أبو حيان بنقل هذا الخبر عنهم بل نراه يفسّر ما غمض منه، فيقول: ((يقال بسأتُ بالشيءِ وبُسئتُ إذا ألفته))[٧]، ولم يقتصر التوحيدي على ذكر علماء اليونان وفلاسفتهم وملوكهم بل أورد

---

(١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٠٨ .

(٢) ينظر: الصداقة والصديق: ١٨٤ ـ ١٨٥ ، والبصائر: ٣ /١٧٩ ـ ١٨٠، وثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي: ٤٢ ـ ٤٣ .

(٣) البصائر: ١ / ١٩٨ .

(٤) ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي: ٤٣ .

(٥) ينظر: البصائر: ١ / ٢١٩، و٢ / ١٦ ، ٩٣، و٣/ ١٤٠، ١٤١، و٦ / ٢٣٣، و٧ / ٣٤، و٨ / ١٩١، و٩ / ٢١٤، والصداقة والصديق:: ٥٩، ٧١، ١٩٩، ٢٧٣ .

(٦) البصائر: ٢ / ٦٤ .

(٧) البصائر: ٢ / ٦٤ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

أخباراً عن شعرائهم[١]، ومن ذلك قوله: ((حكى لنا أبو سليمان في هذه الأيام أنّ أوديوس ملك اليونان كتب إلى كنتس الشاعر أن يزوده بما عنده من كتب فلسفية ...))[٢].

إنّ مهنة التوحيدي بالوراقة فتحت له آفاقاً أخرى فضلا عن التي ذكرناها، فقد كان يتلقّف ما يقع بين يديه من علوم اليونان وأخبار فلاسفتهم عن طريق اطّلاعه على الكتب عند نسخها وتردده على المكتبات في سوق الورّاقين، وقد أشار إلى بعض هذه الكتب، ومن ذلك قوله: ((العود يونانيٌّ، صنعه أصحاب الهندسة على هيئة طبائع الإنسان، فإنِ اعتدلت أوتارُهُ على الأقدار الشريفة جانس الطباع فأطربَ، والطَّرَبُ ردُّ النّفس إلى الحال الطبيعية دفعةً، هذا كلّه من كتاب أدب النّديم لكشاجم))[٣].

ومن خلال الأثر الكبير لعلوم اليونان وأخبارهم في كتابات التوحيدي، وكذلك الحماسة التي يبديها في نقل هذه العلوم يتبيّن لنا بوضوح تأثّره بالعلوم العقلية على الرّغم من توجهاته الدينية، وهو لا يخفي هذا الإعجاب؛ إذ يصرّح به بقوله: ((هذه نوادر كلام اليونانيين، وقد مرَّ في هذا الكتاب ويمرُّ ما إذا جَمَعتهُ وأفردته، زادك حسنُهُ، وانثالت عليك فائدتُهُ ...))[٤].

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٦٤ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٥٣ ـ ١٥٤ . وقد تناولت الدكتورة أوراد محمد ما رواه التوحيدي من حكايات عن كنتس الشاعر بشيءٍ من التفصيل وحاولت التحدث عن الإشارات الجمالية لهذه النصوص، لا سيما حكايته مع الكراكي الذي أخذ بثأر كنتس. ينظر: ستراتيجيات القراءة السردية في التراث العربي الإمتاع والمؤانسة أنموذجاً، د. أوراد محمد، دار أمل الجديدة للطباعة والنشر: ٥٨ وما بعدها .

(٣) البصائر: ٣ / ١١٢ .

(٤) البصائر: ٣ / ١٨١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وبناءً على ما تقدّم نفهم أنّ أبا حيان كان مولعاً بعلوم اليونان، إذ روى لنا أخبارهم التي وصلت إليه عن طريق الترجمة، وأخذها عن كبار الفلاسفة في عصره، أمثال السجستاني، ويحيى بن عدي، وقد انعكست دراسة هذه العلوم على شخصية أبي حيان، وأصبح يمتلك ثقافةً موسوعيّة، وصار يمزج الحكمة بالأدب، ويبتعد عن التكلّف، يقول آدم متز: ((وأول ما نلاحظه أنّه كان عالماً بدقائق الأسلوب الرّائع، وقادراً عليه...))[١]. بل إنّ التوحيدي في نظر آدم متز العالم الأوحد بين كتّاب النّثر العربي قديماً وحديثاً؛ إذ يقول فيه: ((ولم يكتب في النّثر العربي بعد أبي حيان ما هو أبسط وأقوى وأشد تعبيراً عن مزاج صاحبه ممّا كتب أبو حيان ...))[٢]. لذلك عُدّ من أصحاب الأساليب.

لقد صنّف التوحيدي أشياءً من الفلسفة كثيرة ومتنوّعة، وأضاف لها أشياءً أخرى أخذها عن شيوخه، ومنها قضايا النّفس والعقل، والزمان، والمكان، والخليقة والمعاد، وعلاقة النّحو العربي بالمنطق اليوناني وغير ذلك[٣]. وهناك مسائل أوردها في مواضيع خلقية، منها ما يتعلّق بالفضيلة والرذيلة، والخيرات والشرور[٤]، والزهد وترك الدنيا[٥]، وفي الصديق وحقيق الصداقة[٦]، وهذه قضايا معروفة لدى علماء الفلسفة ومطروحة في التراث الفلسفي.

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت: ١ / ٤٦٥ .

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ٤٦٥ .

(٣) ينظر: أبو حيان التوحيدي، د. إبراهيم الكيلاني: ٤٥ .

(٤) ينظر: المقابسات: ٢٤٦ .

(٥) ينظر: المقابسات: ٢٩٥ .

(٦) ينظر: المقابسات: ٣٥٩ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ومرّ بنا دفاع التوحيدي عن اللغة عن طريق روايته للمناظرة التي جرت بين أستاذه السيرافي ومتّى، والتي وثّق من خلالها ما كان يدور في عصره من صراع بين القديم والجديد، وكان لعلوم اليونان أهمية كبيرة في مزاحمة العلوم العربية في ذلك العصر، وهناك مجموعة من المترجمين من السريانية إلى العربية حالوا إحياء الفلسفة اليونانية(١)، ((وزعموا أنّه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال، وصنفوا خمسين رسالةً في جميع أجزاء الفلسفة: علميِّها وعمليِّها، وأفردوا لها فهرستاً وسمّوها رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء، وكتموا أسماءهم وبثّوها في الوراقين ...))(٢)، كما حاولوا اتخاذ الفلسفة اليونانية السبيل الموصل إلى الحكمة والحقيقة والسعادة بجانب الشريعة الإسلامية، بمعنى أنّهم دعوا إلى التوفيق بين الفلسفة والشريعة(٣)، وقد ذهبوا في رسائلهم إلى أنّ النّبي والفيلسوف متساويان في الوصول إلى الغاية نفسها مع اختلاف الطريقة التي يسلكها كل منهما(٤).

لقد تصدّى التوحيدي لهذه الجماعة جنباً إلى جنب مع أستاذه السجستاني الذي يرى استحالة هذا الأمر(٥)، ويقول بتحرير الخطاب من الفلسفة؛ إذ هي مقتصرة على أصحابها لا يزاحمهم عليها ولا يماريهم فيها(٦).

---

(١) ينظر: تراث التوحيدي بين الأدب والفلسفة، د. عماد محمود أبو رحمة، ط١، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ٢٠١٣: ١٤٤ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٥ .

(٣) ينظر: تراث التوحيدي بين الأدب والفلسفة: ١٤٤ .

(٤) ينظر: تراث التوحيدي بين الأدب والفلسفة: ١٤٤ .

(٥) ينظر: الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان عرض وتحليل، حنان محمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك: ١٦٢.

(٦) ينظر: الصداقة والصديق: ٦٣ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وتوجه أبو حيان إلى نمط مدرسة الفارابي بأسلوب جديد من التفلسف العقلاني ليفصل الدين عن الفلسفة والوحي عن العقل رغم إيمانه بتكاملهما(١).

والفلسفة عنده كمال بشري يصل إليه الإنسان بواسطة العقل. أمّا الدين عند التوحيدي فكمال إلهي يمكن أن يصل إليه الإنسان بوساطة هدى الله تعالى، وكان يبحث المسائل على وفق طريقة الفلسفة الأرسطوطاليسية التي تمجّد العقل الإنساني(٢).

ولعلّ في كل ما قدمنا من أحاديث وأخبار وحوارات وأفكار وعلوم رواها التوحيدي ما يصوّر أثرها الكبير في كتاباته، وكذلك إعجابه الكبير بفلاسفة اليونان صوّر لنا ميوله للعلوم العقلية على الرّغم من نزعته الدينية .

واتضح لنا أيضاً أنّ للترجمة أهمية كبيرة في انتقال علوم اليونان إلى الفلاسفة العرب، ومنهم التوحيدي الذي درس على كبار العلماء في الفلسفة والمنطق وعلم النّجوم، ومنهم أستاذه الأول في هذه العلوم بلا منازع أبو سليمان المنطقي، وكذلك عرفنا أنّه أفاد من يحيى بن عدي (٣٦٤هـ) المنطقي في المجال .

لقد تفرّد أبو حيان بروايتين غاية في الأهمية، الأولى: المناظرة الشهيرة بين السيرافي والقنائي والتي صورت لنا فن المناظرات في القرن الرابع والصراع بين الأصيل والدخيل، والثانية: هي الرّواية التي تتصل بأخوان الصفا، وهي النّص الوحيد الذي عرّف بهذه الجماعة واعتمد عليه مَن كتبَ عنهم فيما بعد .

---

(١) ينظر: أدبية النّص السردي عند أبي حيان التوحيدي، د. حسن الملطاوي، مكتبة مدبولي، ١٩٨٩: ٨١ .

(٢) ينظر: فلسفة الجمال ومسائل الفن عند أبي حيان التوحيدي، حسين الصديق، دار القلم العربي، حلب ـ سوريا، ٢٠٠٣: ٧١ ـ ٧٢ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المبحث الثاني:

الفكـــــر الفارسي

بسبب طواعية اللغة العربية وسعتها اتخذ بعض الفلاسفة قديماً من البيان(*) وسيلةً لعدم الإفصاح، والاعتماد على التمويه ليبرهنوا على رجحان أفكارهم وانتصار مذاهبهم وإثبات رجاحة عقولهم؛ لذلك يُعد التمويه اللغوي قديم النّشأة، وهو من المهارات التي قلّما تخضع لقواعد ثابتة(١).

وقد لجأ أبو حيان إلى هذا الأسلوب في خطابه؛ بقصد إخفاء بعض الحقائق عن المتلقي، وكذلك أراد أن يتّقي شرّ السلطة، ويمرر بعض قناعاته وآرائه من دون أن يعي بذلك أحد، وقد تجسّد هذا الأسلوب بأبهى صوره في المفاضلة التي عقدها التوحيدي في كتابه (الإمتاع والمؤانسة) بين العرب والعجم، وتحديداً في الليلة السادسة منه؛ إذ يوجّه له الوزير ابن سعدان سؤالاً محرجاً، فيقول: ((أ تفضل العرب على العجم، أم العجم على العرب؟))(٢)، فلم يجبه التوحيدي بشكلٍ مباشر، بل تخلّص من الإجابة بأن أورد قولاً لابن المقفّع الذي أثبت الفضل للعرب، وابن المقفّع من عقلاء الفرس كما هو معروف، وقد مضى يفضل العرب بـ ((أنّهم أعقل الأمم لصحة الفطرة واعتدال البنية وصواب الفكر وذكاء الفهم))(٣). وهنا يحاول أبو حيان التظاهر بالحياد والموضوعية من خلال رفضه الإجابة بشكلٍ مباشر عن سؤال

(*)البيان هو العلم الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق متعددة في وضوح الدلالة عليه. ينظر: علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، ط٢، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة: ١١ ـ ١٢ .

(١) ينظر: التمويه اللغوي في التواصل الإنسانيّ دراسة لسانية للباحث م. د. سعد صبار عبد الباقي، جامعة الفلوجة، كلية العلوم الإسلامية، العدد عشرون: ١٠٨.

(٢) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧٠ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧٣ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

الوزير، فيصرّ الأخير على معرفة الإجابة من التوحيدي؛ لأنّه يريد رأيه لا رأي ابن المقفّع، فيقول: ((ما أحسن ما قال ابن المقفّع، وما أحسن ما قصصته، وما أتيتَ به هات الآن ما عندك من مسموعٍ ومستنبط))[١]، فيجيبه التوحيدي معتمداً على ذكاءٍ حاد وتخلّص رائع، يقول فيه: ((إن كان ما قابل هذا الرّجل البارع في أدبه المقدم بعقله كافياً فالزيادة عليه فضل مستغنى عنه وإعقابه بما هو مثله لا فائدة فيه))[٢]. ويظهر أنّ أبا حيان اكتفى بكلام هذا العالم الأصيل في الفرس العريق في العجم[٣]، فلا حاجة إلى إعقابه بما لا فائدة منه، وكأنّ التوحيدي يرد على من أراد تفضيل العجم بشهادة الفارسي على قومه .

ويروي لنا التوحيدي عن ابن المقفّع أقوالاً وحكماً، ومن ذلك قوله: ((قال ابن المقفّع: مَن أدخلَ نفسه فيما لا يعنيه ابتُلي فيه بما يُعييه))[٤].

ولم يكن التوحيدي بعيداً عن اجواء التداخل الثقافي في القرن الرابع الهجري، ومنها التمازج الفكري العربي والفارسي، وكان يحضر النّدوات الفلسفية التي كانت تسودها لغة الحوار الفكري من دون التقييد باختلاف عرقي أو معتقد ديني، ويصوّر لنا التوحيدي هذه المجالس والحوارات الفلسفية في كتابيه (المقابسات)[٥]، و(الإمتاع والمؤانسة)[٦].

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧٣ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧٣ .

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧٠ .

(٤) البصائر: ٧ / ٣٤ .

(٥) ينظر: المقابسات: ٢٤٨ مقابسة (٦٢) ، وص٢٥٧ مقابسة (٦٣)، وص ٢٥٩ مقابسة (٦٤)، وص٢٦٠ مقابسة (٦٥)، وص٢٦٢ مقابسة (٦٦).

(٦) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧١، ١٠٤ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وبالنّظر إلى ما ذكرناه عن ابن المقفّع قبل قليل فإنّ الحال يختلف مع رجل فارسي آخر ذكره التوحيدي يُدعى (الجيهاني)[١]، وكان متعصباً للفرس على العرب، وقد ألّف كتاباً أشار إليه أبو حيان يسب فيه العرب ويذكر عيوبهم بقوله: ((يأكلون اليرابيع والضباب والجرذان، ويتعاورون ويتساورون، ويتهاجون، ويتفاحشون، وكأنّهم قد سلخوا من فضائل البشر ولبسوا أهب الخنازير ...))[٢]. ويمضي الجيهاني بشتم العرب، وأنّه بسبب ما قاله عنهم ((كان كسرى يُسمي ملك العرب (سكان شاه) أي ملك الكلاب ...))[٣]. وهنا يقف التوحيدي مدافعاً عن العرب، وقد عجب من كلام الجيهاني فيهم، ومحاولته الحط من أقدارهم، فهو لا يعلم أنّه لو نزل ذلك القَفر وتلك الجزيرة الخاوية فإنّ كسرى ملك الفرس، وقيصر ملك الروم، ومعهم بَلْهوَر الهند، وخاقان الترك، ويقفور خراسان ((ما كانوا يعدُون هذه الأحوال لأنَّ من جاعَ أكل ما وجد، وطعِم ما لصِق، وشرِب ما قدر عليه، حبّاً للحياة، وطلباً للبقاء، وجزعاً من الموت، وهرباً من الفناء))[٤]. فالعرب لم يختاروا هذا العيش بإرادتهم، وهذا الفقر والعدم هو السبب وراء خشونة عيشهم وقلة قوتهم، ولو عاش ملك من العجم في صحراء العرب وعانى تلك الحياة ما كان حاله أفضل من حال العرب، ليتمكن من الحفاظ على الحياة، ويفر من الفناء .

ثمّ يختلف حال العرب فإذا جادت عليهم السماء تطيب حياتهم وتزدان الأرض، وتهدل الثمار، وتطّرد الأودية ويكثر اللبن والأقط، وتطيب المرابع وتلتقي القبائل على المحاضر، فيكرموا الضيف، ويفكوا الأسير، ويتنافسوا في أفعال

(١) جيهان: مدينة تقع بخراسان: ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧٨ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧٩ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧٩ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٨٠ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المعروف[١]، وعندما يفتخر الجيهاني على العرب بأنّ الله أنعم على العجم بسعةٍ من الرّزق ونعّمهم، وأسكنهم الجنان والأرياف، أمّا العرب فقد أشقاهم وعذّبهم في جزيرة حرجة، فيجيبه التوحيدي بأنّ مدار الأمر على العقل الذي مَن حُرمه فهو أنقص من كل فقير، وعلى الدين الذي مَن عَريَ منه فهو أسوء حالاً من كل موسر[٢].

ويمضي الجيهاني في تعصبه للفرس، فيتهم العرب بالتخلّف والجهل، فليس لهم ((كتاب إقليدس ولا المجسطيّ ولا الموسيقى، ولا كتاب الفلاحة، ولا الطب ولا العلاج ...))[٣]. وهذه الكتب كلّها للعجم، فيرد عليه أبو حيان أنّها لهم بالطباع ولغيرهم بالصناعة، وهذه الكتب ليست كلّها للفرس، فمنها لليونان، فليس له أن يفتخر بها أمام اليونان في مناظرة[٤].

ثمّ إنّ التوحيدي لم يكتفِ بالرّد على الجيهاني، فعمد إلى اثنين من شيوخه، وهما: أبو حامد المروروذي، وأبو الحسن الأنصاري، وقد بالغَ أبو حامد في ذم الفرس والطعن في معتقداتهم وأفكارهم وأخلاقهم جرّاء ما نسب إليهم من نكاح الأمّهات والأخوات والبنات، وهذا ((خُلُقٌ لا ترضاه البهيمة، ولا تطاوعه فيه الطبيعة))[٥].

ويرى المروروذي أنّ زرادشت لم يكن نبيّا ـ وهو الذي صدع قومه بقوة الملك ـ ولو كان نبيّا لذكره الله تعالى مع مَن ذكر من الأنبياء في كتابه الكريم، وقد سنّ بهم الرّسول (صلى الله عليه وآله) سنة أهل الكتاب؛ لأنّه لا كتاب لهم من عند الله

(١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٨٠ ـ ٨١ .

(٢) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٨٧ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٨٩ .

(٤) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٨٩ ـ ٩٠ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٩٠ ـ ٩١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

تعالى منزل على مبلِّغ عنه[١]، وأمّا العرب لو فعلوا هذا لكانوا أعذر؛ لشدّة شهوتهم، وطول فراغهم، فهم أكثر تهيّجاً، وأوثب على النّساء، وأساليبهم أجمل في النّظم والشعر[٢]، وهم على الرّغم من ذلك لم يستحسنوا هذا ولم يفعلوه لكرم أنفسهم، واعتدال طباعهم، وشدّة شكائمهم، وعفّة أرواحهم، وكان وأد البنات عندهم أطْرَدَ للقبائح التي استحسنها زرادشت وقبلها الفرس منه بجهلهم، وغلبة شهوتهم، وضعف تفكيرهم[٣].

أمّا أبو الحسن الأنصاري فذهب إلى أنّ ضعف عقول الفرس كان سبباً لتصديقهم زرادشت الذي حلل لهم الخبائث من المنكوحات، وأنّ الهند أوضح عذراً لأنّهم تقربوا به إلى بيوت الأصنام، ولم ينسبوا إلى الله تعالى شيئاً منه، ولم يجوّزوا الكذب على الله، ولم ينسبوه إلى أحدٍ من أنبيائه (عليهم السلام) بل ((رأوه صواباً بالوضع))[٤].

ثمّ يعقد مقارنة بين العقل الفارسي الذي قَبِلَ من زرادشت ما جاء به رغم جهله، والعقل العربي الذي قال اغتربوا ولا تُضْوُو[٥]. ونتيجة لهذه المبالغة من الجيهاني في ذم العرب ذهب بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأنّه صنيعة السلطة البويهية للتشكيك بالعرب وثقافتهم لصالح الثقافة الفارسية ورموزها[٦].

---

(١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٩١ .

(٢) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٩٢ .

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٩٢ ـ ٩٣ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٩٣ .

(٥) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٩٣ ـ ٩٤ .

(٦) ينظر: أبو حيان التوحيدي ناقدا، محمد همام، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، رسالة لنيل الدبلوم، ١٩٩٧_١٩٩٨م: ١٤٢ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

إنّ التوحيدي وإن حاجج الجيهاني من دون أن يتوارى خلف أحدٍ من الآخرين في دفاعه عن العرب نجده حذراً يخفي صوته وراء غيره، وينسب أقواله إلى الآخرين حين يسرف في ذمّه للفرس، ويبتعد عن الموضوعية، ومن ذلك قوله: ((قال أبو حامد: ما ظنّك بقومٍ يجهلون آثار الطبيعة، وأسرار الشريعة؟ ما أذلّهم الله باطلاً، ولا سلبهم ملكهم ظالماً، ولا ضربهم بالخزي والمهانة إلّا جزاءً على سيرتهم القبيحة، وكذبهم على الله بالجرأة والمكابرة وما الله بظلّامٍ للعبيد))[١].

وقد عوّدنا التوحيدي في كتاباته أن يكون موضوعيّاً بعيداً عن التجنّي والإساءة إلى العقل، وتجريد الخصم من جميع الفضائل، فهو وإن ألّف كتابه الشهير (مثالب الوزيرين) والذي حمل فيه على الصاحب بن عباد وابن العميد إلّا أنّه عاد في آخر الكتاب ليكشف عن القيمة الحقيقية لهذين الوزيرين[٢] الفارسيين، ويرى آدم متز أنّ أبا حيان كان أثلب أهل زمانه[٣]، ونجده إلى جانب ذمّه لهما يعمد إلى ذكر ما فيهما من محاسن لا يمكن التغاضي عنها فيروي لنا سبب تسمية ابن العميد بهذا الاسم لنباهة أبيه، وكذلك ينقل أنّه قيل للصاحب ابن الأمين لخيرٍ كثير كان فيه[٤]، ثمّ يعترف بأنّ ابن العميد كان مفضّلاً في الكتابة والأمين كان معظّماً في الديانة[٥]، وفي سؤالٍ لمسكويه وهو شيخه في الفلسفة نراه يجمع بين العرب والعجم في طبقة واحدة في مواقف الحروب وأيام الهياج في مسألة الانتساب إلى الآباء والأجداد، وغير ذلك من أيامٍ مشهورة، وأفعال مذكورة، ثمّ يمضي فيصفهما بالصفات نفسها،

(١) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٩٥ .

(٢) ينظر: الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي: ٤٦ .

(٣) ينظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع: ١ / ٤٤٧ .

(٤) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٨٠ ـ ٨١ .

(٥) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٨١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

فيجيبه مسكويه من دون أن يشخّص بأنّ ((الغضب في الإنسان يكون بالقوّة إلى أنْ يُخرِجَهُ إلى الفعل أمرٌ مُغضِب ...))[١].

وقد أورد أبو حيان بعض الرّوايات فاضلَ فيها بين الفارسي والعربي من دون أن يذكر مصدر هذه الرّوايات، ومن ذلك قوله: ((وقد قيل لرجلٍ منهم في يوم شاتٍ وهو يمشي في سَمِل[٢]: أما تجد البَرْدَ يا أخا العرب؟ فقال: أمشي الخَيْزَلي[٣]، ويكفيني حَسَبي))[٤].

في هذا النّص يصوّر لنا التوحيدي الرّجل العربي القوي الصبور، فهو يرتدي في الشتاء ثياباً بالية متفاخراً متثاقلاً في مشيته، وله القدرة على تحمّل الظروف القاسية، ولا يكتفي التوحيدي بمدح العرب في هذا الباب بل يصرّح بأنّ ((الفارسيّ لا يُحسِنُ هذا النَّمط، ولا يذوق هذا المعنى، ولا يحلم بهذه اللطيفة ...))[٥].

وقد انطلق أبو حيان في التعامل مع العلماء الفرس من الثقافة الإسلامية؛ كونها منفتحة على جميع الثقافات، ومنها الفارسية، ويُعد الفيلسوف الفارسيّ الأصل أبو سليمان السجستاني أستاذ التوحيدي الأول في الفلسفة والمنطق وعلم النّجوم وعلوم أخرى، وهو الفيلسوف الأكثر أثراً في كتاباته، فكتاب (المقابسات) يتحدث في أغلبه عن آرائه، وخاصة الفلسفية منها، وقد مرّ بنا ذكره.

وذهب الدكتور أحمد أمين إلى أنّ السجستاني لم يُنصف من تلاميذه ومعاصريه كما أنصفه التوحيدي، فقد ساهم أبو حيان في نشر ما لهذا العالم من

---

(١) الهوامل والشوامل، تح: أحمد أمين، والسيد أحمد صقر، مطبعة التأليف والترجمة والنّشر، ١٩٥١م: ٢٥٥ .

(٢) السمل: الثوب القديم البالي: ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٨٣ .

(٣) الخيزلي: مشية فيها تثاقل وانفكاك. ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٨٣ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٨٣ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٨٣ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وجاهة وحكمة وفكر وشُهرة، ويُعد أبو سليمان أنبغ فيلسوف في عصره، وكان واسطة عقد الفلاسفة من أقرانه وجامع شملهم، وكان مقصدهم في حل مشكلاتهم، وقائل الكلمة الفصل في مناظراتهم، يقول الدكتور أحمد أمين عنه: ((لم يكن أقل شأناً من ابن سينا وابن رشد وربما فاقهما في بعض النّواحي، ولكن الوجاهة والشهرة حظٌ لم يرزقهما أبو سليمان، فقلّ من يعرفهُ أو يترجم له أو يوفيه حقّه، ولولا ما وقع في أيدينا من نبذ هنا وهناك من كلام أبي حيان التوحيدي ما عرفناه))[١]. وهنا يشير الدكتور أحمد أمين إلى ما للتوحيدي من فضلٍ في شهرة هذا الرّجل، فلولاه ما عُرف ولا رويت أخبارُه، وهذا ما عرفناه عن أبي حيان من احترام شيوخه، والاعتراف بفضلهم، وإظهار محاسنهم ورواية آثارهم .

لقد كان لأبي سليمان الأثر البالغ في نشأة التوحيدي العلمية، ومن الذين أكسبوه المعرفة الموسوعية التي جعلته فيما بعد ركناً من أركان العلم والمعرفة في القرن الرّابع الهجري رغم الظلم والإجحاف الذي لحقه في ذلك العصر[٢]، ومع شخصيته المنكسرة راح يتسلح بالعلم والفلسفة، وأخذ بأسباب المعرفة ولم يستسلم لشقائه وبؤسه، ومضى يستخرج الدرر من داخله ليظهرها لنا في كتاباته بأسلوبٍ رائع يميل إلى طريقة الفلاسفة وأهل المنطق، وراح يمزج الفلسفة بالأدب بطريقة فنية تدل على جودة السبك وبراعة التأليف[٣].

---

(١) فيض الخاطر، د. أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، ٢٠١١: ٧ / ٢٨٣ .

(٢) ينظر: البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، رسالة ماجستير للباحثة آمال شيخ، جامعة المسيلة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٩ ـ ٢٠١٠: ١٥ .

(٣) ينظر: بلاغة الخطاب النثري عند أبي حيان التوحيدي، رسالة في الصداقة والصديق أنموذجاً، للباحثة جوهري سعاد، جامعة جيلاني ليابس، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ٢٠١٦ ـ ٢٠١٧: ٦١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

إذن، فأبو حيان لجأ إلى أسلوب التمويه بقصد تجنّب السلطة، وتمرير بعض آرائه من دون شعورها، وقد وقف مدافعاً عن العرب أمام هجوم العلماء الفرس تارةً متخفّياً خلف سابقيه من العلماء، أمثال ابن المقفّع، وأحياناً بشكل مباشر كردّه على الجيهاني، وحاول التوحيدي أن يكون محايداً في أغلب آرائه مستعيناً بآراء بعض شيوخه في ردّه على مَن فضّل الفرس على العرب، وكان أقرب إلى الموضوعية رغم طباعه الميالة إلى الثلب والحديث عن مساوئ الخصم.

لقد ساهم أبو حيان في الكشف عن أشهر فيلسوف في القرن الرّابع الهجري وهو شيخه أبو سليمان المنطقي السجستاني من خلال ما أورده عنه من نُبذ وأخبار، وكذلك من خلال وصفه له واعترافه بفضله وعلمه .

Wondershare PDFelement

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المبحث الثالث:

الفكـــر الاعتـــزالي

مَن يدقق النّظر في كتب التوحيدي، ويتأمّل اتجاهاته الدينية وآراءه يجد صعوبة في نسبته إلى فرقة إسلامية معيّنة أو مذهب معروف من المذاهب التي انتشرت في ذلك الوقت، ومرّ بنا أنّ أبا حيان كان منفتحاً على جميع المذاهب والتيارات، فهو يحمل ((روحاً مرنة ترفض التمذهب وتجزع من التقوقع))[١]، إلّا أنّ ياقوت الحموي نسبه إلى الفكر الاعتزالي، ويرى أنّه يتقن جميع العلوم على رأي المعتزلة[٢]، وتبعه من القدماء جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)[٣]، وتبعهم كذلك طاش كوبري زاده (٩٠١هـ ـ ٩٦٨هـ) الذي يرى أنّ التوحيدي كان ((معتزليّاً يسلك مسلك الجاحظ، شيخ الصوفية، فيلسوف الأدباء ...))[٤].

ومن المحدثين مَن ذهب إلى هذا الرّأي، منهم حسن السندوبي[٥]، والدكتور إبراهيم الكيلاني الذي ذهب إلى القول: إنّ التوحيدي ((بحكم اعتزاله قائلٌ بالتعطيل))[٦]الذي هو تنزيه الذات الإلهية عن الصفات، فمن ينسب إلى الله صفات فقد أشرك بوحدانيته، فذات الإله وصفاته شيءٌ واحد، فمَن ((اعترف بالوحدانية كما يقول التوحيدي ـ ثمّ شبّه فقد ارتجع ما قال، ونقض ما عقد، وأمّا مَن ذكر أكثر من

---

(١) أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، زكريا إبراهيم: ١٧٧ .

(٢) ينظر: معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢٤ .

(٣) ينظر: بغية الوعاة: ٢ / ١٩٠ .

(٤) مفتاح السعادة ومصباح السيادة، أحمد بن مصطفى طاش كوبري زاده، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٥م: ٢١٥ .

(٥) ينظر: المقابسات: ٩ ، مقدمة الأستاذ حسن السندوبي.

(٦) ينظر: أبو حيان التوحيدي، د. إبراهيم الكيلاني: ٥٦ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

واحدٍ، فقد ضلّ عن الحق كل الضلال، وأمّا مَن أشار إلى الذات فقط بعقله البريء السليم من غير تورية باسم، ولا تحلية برسم، مخلصاً مقدّساً، فقد وفى حق التوحيد ...))[١]. إذن فالتوحيدي ينفي الصفات الإلهية، ويدّعي أنّ إثباتها ينافي التوحيد، ويرى أصحاب هذا الرأي من القدماء والمحدثين أنّ التوحيدي يمكن أن يدرج في طبقة المعتزلة لا بسبب لقبه فقط، بل لكلامه الكثير عن العقل ودوره في كسب المعارف وكشف الأسرار الكونية[٢]، فكلامه في المقابسات ينصب على مفهوم العقل وما هي وظيفته، وما هي علاقته بغيره من الملكات، واحتكامه للعقل في بعض المواقف حتى في كتابه (الإشارات الإلهية) الذي تغلب عليه الوجدانيات والهواجس والأحاديث الشخصية[٣].

وذهب بعض الباحثين إلى أنّ أبا حيان لم يكن معتزليّاً، فيرى الدكتور محمّد عمارة أنّ تأثّر التوحيدي بالجاحظ ينحصر في الأسلوب لا في الأصول الخمسة للاعتزال[٤]، وقد أشكل على ما قاله طاش كوبري زاده في هذا الشأن، وعلى ربطه الاعتزال بالصوفية في حديثه الذي مرّ ذكره، كما انتقد ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم الكيلاني في أنّ ((التوحيدي يتفلسف على طريقة المعتزلة ميالاً إلى الجدل والأبحاث العقلية بخلاف الصاحب))[٥] الذي كان يبغض الفلسفة ويميل إلى العلوم الشرعية، وقد عدّه نموذجاً لمنهج لمنهاج الخلط[٦].

---

(١) نقلاً عن (أبو حيان التوحيدي)، د. إبراهيم الكيلاني: ٥٧ .

(٢) ينظر: أبو حيان التوحيدي ناقداً، محمّد همام: ٢٦٣ .

(٣) ينظر: أبو حيان التوحيدي ناقداً: ٢٦٣ .

(٤) ينظر: أبو حيان التوحيدي بين الزندقة والإبداع، د. محمد عمايرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧: ١٨ .

(٥) أبو حيان التوحيدي، د. إبراهيم الكيلاني: ٢٥ .

(٦) ينظر: أبو حيان التوحيدي بين الزندقة والإبداع: ١٨ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ويرى الدكتور إحسان عباس أنّ أبا حيان يُنسب إلى أهل السنة والجماعة، وقال عنه: إنّه يميل إلى أهل الحديث[١]، فيما قال عنه الدكتور عبد الرّزاق محي الدين: ((كان الرّجل سنيّاً يأخذ بظواهر الكتاب والسُنة))[٢]. وهو قريب من رأي الدكتور عباس .

ويرى بعض الباحثين أنّ التوحيدي كما لم يأخذ عن الجاحظ المذهب الكلامي رغم أنّه رائد لهذه المدرسة، كذلك لم يتأثّر بأقوال شيخه الرّماني الاعتزالية، وإنّما درس عليه الكلام لضرورة في تلك المرحلة، ولم يكن من المعتزلة كما نسبه بعض الدارسين من القدماء والمحدثين[٣].

ونحن نعتقد أنّ أبا حيان تتلمذ على بعض علماء الاعتزال إلّا أنّه لم يكن معتزلياً كما هو الحال مع الجاحظ المعتزلي، فمن نسبه إلى الاعتزال يظهر أنّه اعتمد على قول ياقوت أو لاشتهاره بأنّه جاحظي المسلك في تصانيفه[٤]. نعم تأثّر بالجاحظ بشكل كبير، وقد ألّف في تقريظه رسالةً كما أوضحنا، إلّا أنّ أبا عثمان كان رأساً في المعتزلة، أمّا التوحيدي فنراه يهاجم المعتزلة صراحةً فيقول: ((وأرى المعتزلة في دهرنا يتسارعون إلى التكفير كتسارع الورد إلى المنهل، وما أدري ما يبعثهم على ذلك إلّا سوء الدعة، وقلّة المراقبة، وأكثرهم قذفاً لخصمه بالتكفير أعلقهم بأسباب الفسق والهتك والله تعالى لهم، ولكل مَن سلك سبيلهم))[٥].

---

(١) ينظر: أبو حيان التوحيدي، د. إحسان عباس، ط٢، مطبعة جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٨٠: ٤٤ .

(٢) أبو حيان التوحيدي، سيرته ـ آثاره، عبد الرزاق محي الدين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: ٧١ ـ ٧٢ .

(٣) ينظر: أبو حيان التوحيدي ناقداً، محمد همّام: ٢٦٣ .

(٤) ينظر: معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢٤ .

(٥) البصائر: ٤ / ٢١٦ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وربما يكون التوحيدي متأثّراً بآراء أستاذيه السجستاني والمروروذي، فهما من أشد المعادين للمتكلمين الذين هم في نظر أبي سليمان يدّعون نصرة الدين وهم في غاية العداوة للإسلام والمسلمين[١]، وذكر أبو حيان أنّ أبا حامد كان كثير الطعن على المتكلّمين فقد ((لعبوا بدين الله عز وجل، وهتكوا حجابه، وكشفوا غطاءه، وأراقوا ماءه، وجلحوا الوجوه، وجرّوا القلوب، وبثّوا الشكوك، وكثروا المسائل، وأطالوا الألفاظ، ولبّسوا على النّاس))[٢].

ويمضي التوحيدي يهاجم أصحاب المذاهب الكلامية مفضّلاً عليهم أهل الحديث أنصار الأثر، فالقلب الخالي من الشبهة أسلم من الصدر المحشو بالظنون والرّيبة[٣]، وسمِع أبو حيان مرّةً أبا أسحق النصيبي، وهو من أفاضل المعتزلة المتكلمين يقول: ((ما أعجب أمر أهل الجنّة؟ قيل وكيف؟ قال: لأنّهم يبقون أبداً هناك لا عملَ لهم إلّا الأكل والشرب والنكاح؟ أما تضيق صدورهم؟ أما يكلّون؟ أما يربؤون بأنفسهم عن هذه الحال الخسيسة التي هي مشاكلة لحال البهيمة؟ أما يأنفون؟ أما يضجرون؟))[٤]. فينتفض التوحيدي ليرفض من دون تردد تناول المسائل الدينية بهذه الجرأة التي تفرّد بها المعتزلة عن بقية المذاهب الدينية، يقول أبو حيان: ((ولعمري إنّ من طلب طمأنينة النّفس، ويقين القلب، ونعمة البال، بطريقة أصحاب الجدل وأهل البلاء، حلّ به هذا البلاء، وأحاط به هذا الشقاء، والكلام كلّه جدل ودفاع، وحيلة وإيهام، وتشبيه وتمويه، وترقيق وتزويق، ومخاتلة وتورية، وقشر بل لُب، وأرض بلا ريع، وطريق بلا منار، وإسناد بلا متن ...))[٥].

---

(١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ١٨٨ ـ ١٨٩ .

(٢) البصائر: ٧ / ٦٣ .

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٤٢ .

(٤) المقابسات: ١٩٤ .

(٥) المقابسات: ١٩٤ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ولزم التوحيدي مجلس الصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ) مدة من الزمن عندما سافر الرّي، ووصفه بأنّ ((الغالب عليه كلام المتكلّمين المعتزلة، وكتابته مهجنة بطرائقهم))[١]. والمعروف أنّ أبا حيان أكثرَ من ذم الصاحب وألّف في أخلاقه كتاباً أودعه نفَسه الغزير ولفظه الطويل والقصير[٢]. والباقلاني، من أعلام المتكلّمين على المذهب الأشعري عندما سُئل عنه التوحيدي قال بيتاً على طريقة المثل[٣]:

فما شرّ الثلاثة أمّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبَحينا

ثمّ يقول فيه: ((يزعم أنّه ينصر السنّة ويُفحم المعتزلة وينشر الرّواية، وهو في أضعاف ذلك على مذهب الخرّميّة، وطرائق الملحدة))[٤]. وأبو عبد الله المرزباني شيخ التوحيدي، وكان الأخير يحضر مجلسه، ويروي عنه الشعر[٥]، عندما ينقل رأيه في شعر الغزل وعلاقته بالدين يصور لنا حاله بطريقة فيها معارضة وعدم رضا[٦].

أمّا الداركي، وكان من علماء الكلام أيضاً، بالغ أبو حيان في شتمه، والنّيل منه، وقال عنه: ((وقد علت رتبته في الكلام حتى لا مزيد عليها، إلّا أنّه مع ذلك نغِل[٧] الباطن، خبيث الخبئ، قليل اليقين ...))[٨].

وقد استثنى التوحيدي من هذا الهجوم شيخه علي بن عيسى الرّماني، وهو من علماء الاعتزال، بل أعجب به وامتدحه بقوله: ((وأمّا عليّ بن عيسى فعالي

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٥ .

(٢) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٥ .

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٤٣ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٤٣ .

(٥) ينظر: البصائر: ٢ / ٨٧ ، و٩ / ١٣١ .

(٦) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٧٧ ـ ١٨٧ .

(٧) النّغل: الفاسد السيء: ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٤٢ .

(٨) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٤١ ـ ١٤٢ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

الرّتبة في النّحو واللغة، والكلام والعروض والمنطق ...))[١]. وقد يكون هذا الإعجاب به لأنّه ((لم يسلك طريقَ واضعِ المنطق، بل أفرد صناعة وأظهر براعة))[٢]، وقد تأثّر بأقواله في الفلسفة، وروى بعضها، ومن ذلك قوله: ((قال عليّ بن عيسى: لا يجوز أن يكون التمكين من القُبح قبيحاً، ولو وجب ذلك لكان التمكين من الحُسن حسناً، فيكون حسناً قبيحاً، وهذا متناقض))[٣]، وكذلك سمع منه المنطق، وروى له أقوالاً فيه، ومنه قوله: ((سمعتُ عليّ بن عيسى يقول: قسمة التقدير في الممكن على أربعة أوجه ...))[٤]. ثمّ يتطوّع ليحاجج مَن يرون أنّ الرّمّاني ليس من أهل المنطق، أمثال البديهي الذي مرّ ذكره في الحديث عن شيوخه، فيقول: ((أصحابنا لا يرون له طبقةً في المنطق، وهو يتسع كما ترى))[٥].

إذن، تأثّر التوحيدي بأبي عثمان الجاحظ، وتلمذته على الرّماني المعتزلي أدت إلى أن ينسبه البعض إلى هذه الفرقة، وكذلك ميله إلى العلوم العقلية ودورها في كسب المعرفة، واحتكامه للعقل، وكلامه الكثير عنه شجّع بعض الدارسين على إدراجه في طبقة المعتزلة، ولم يكن معتزلياً، ولم نجده في كتبهم .

وجدير بالذكر أنّ هناك جماعةً من الدارسين قديماً وحديثاً نسَبته إلى المذهب الشافعي، ومنهم العلامة الفقيه الحافظ محي الدين بن شرف النّووي (٦٧٦هـ)، وكان من كبار فقهاء المذهب الشافعي؛ إذ يقول فيه: ((التوحيدي من أصحابنا

(١) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٣٣ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٣٣ .
(٣) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٢١٤ .
(٤) البصائر: ٦ / ١٨٣ ـ ١٨٤ .
(٥) البصائر: ٦ / ١٨٣ ـ ١٨٤ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المصنفين))[١]، وقال الذهبي (٧٤٨هـ): ((ويقال: كان من أعيان الشافعية))[٢]، وذهب بعض المحدثين إلى هذا الرّأي، فقد وصفه الدكتور عماد محمود أبو رحمة بأنّه شافعيّ المذهب[٣]، أمّا الدكتورة وداد القاضي فتقول عن التوحيدي: ((إذا كانت دراسة المرء لمذهب فقهي معيّن تعين انتماءه إليه فذلك يعني أنّ دراسة أبي حيان لمذهب الشافعي على كل من أستاذيه المروروذي والقفال تعيّن انتماءه إلى المذهب الشافعي من بين مذاهب أهل السنّة ...))[٤]. وما ذهبت إليه الدكتورة وداد القاضي لا ينطبق بشكلٍ أو بآخر على أبي حيان؛ لأنّنا نراه متعدد المرجعيات، ومتنوّع المنابع في تحصيله الديني، فإذا قلنا: إنّه تتلمذ على الشيخ القمّي وأبي الحسن الرّمّاني فهل يعني هذا أنّه شيعي المذهب، يقول الدكتور إبراهيم عبد العزيز زيد: ((أمّا على المستوى العقائدي فقد كان أبو حيان أقرب إلى أن يكون شيعيّ الهوى))[٥]. ونجده يمتدح علماء الشيعة، ويثني عليهم بكلام لا يصف به أحداً من علماء المذاهب الأخرى، وقد ذكرنا ما قاله في الشيخ الصدوق، ولنَنْظر ثناءه على ابن رباط الكوفي؛ إذ يقول فيه: ((وحكى لنا ابنُ ربّاطٍ الكوفي ـ وكان رئيس الشيعة ببغداد، ولم أرَ أنطقَ منه ـ قال: قيل لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ من أينَ جاء اختلاف النّاس في الحديث؟ فقال ...))[٦]، ونراه يذكر أئمّة الشيعة فيقول: (عليهم السلام)، وهكذا يقول فيهم الشيعة .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات: ٢ / ٢٢٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٧ / ١١٩ .

(٣) ينظر: تراث التوحيدي بين الأدب والفلسفة: ١٢٤ .

(٤) مجتمع القرن الرابع في مؤلّفات أبي حيان التوحيدي، وداد القاضي، رسالة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٩: ٣٩ .

(٥) ينظر: السرد في التراث العربي كتابات أبي حيان التوحيدي: ٢٩ ، والتوحيدي وقراءة جديدة في الإمتاع والمؤانسة، محمد الحبيب حمادي، صفاء للنشر والتوزيع والصحافة، تونس، ١٩٧٤: ١٥٧ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ١٩٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ونُسب التوحيدي إلى التصوّف، فقال ياقوت: إنّه شيخٌ في الصوفية[١]، ولعلّه تصوّف منذ صباه، أخبرنا بذلك في حديث عمّه الذي ذكرناه[٢].

وقد جمع في شخصيته بين التصوّف وثقافة العصر، وكان فيلسوفاً مع الفلاسفة، ومتكلّماً مع المتكلّمين، ولغويّاً مع اللغويين، وأديباً مع أهل الأدب، ومتصوّفاً مع المتصوفين، وغلب التصوّف على كتاباته في أواخر حياته[٣]، وكما اختلف الدارسون في مذهبه الفقهيّ، اختلفوا في تصوّفه، فذهب الدكتور إحسان عباس إلى أنّ التوحيدي كبقيّة الصوفية في القرن الرّابع مظهرهم بائسٌ، ومعدهم فارغة، حتى أنّه يرى مضيرة على مائدة الصاحب، فيمعن فيها، وما كان زهده إلّا شركاً يستدر به عطف النّاس، والزي البالي الذي ميّز به نفسه لم يكن إلّا أحبولة للعامة[٤].

فيما يرى الدكتور زكي مبارك أنّ التوحيدي لم يكن صوفياً بالمعنى المصطلح عليه عند أهل التصوّف، فقد كان مشغولاً بالأدب والمنطق والتوحيد، وكان ميّالاً إلى الهجاء والطيش، ولكنّه فشل في حياته المعاشية، فشعر بروح التصوف، وصار يدعو بما دعا به بعض النّسّاك[٥] .

(١) ينظر: معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢٤ .

(٢) قولهم في أبي حيان أنّه كتب الحديث الكثير، وسافر، وتصوّف. ينظر: البصائر: ٨ / ١٢٤ .

(٣) ينظر: مفهوم الأدب في مؤلفات أبي حيان التوحيدي: ١٥٧ ـ ١٥٨ .

(٤) ينظر: أبو حيان التوحيدي، د. إحسان عباس: ٢٢ ـ ٢٣ .

(٥) ينظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، د. زكي مبارك، دار سعد الدين للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢: ٢ / ٥٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

أمّا الأستاذ محي الدين صبحي فقد عجِب من سبب شقائه وشعوره بالحرمان مع أنّه اعتنق الزهد مذهباً له، واتخذ من التصوّف شعاراً، فكأنّه يريد أن يقول: إنّ التوحيدي يحاول إرضاء رغباته الدنيوية إلى جانب اهتماماته الفكرية والرّوحية(١).

وذهب فريقٌ آخر من الدارسين إلى القول بتصوّف التوحيدي، منهم الدكتور عبد الرّحمن بدوي الذي ربط تصوّف أبي حيان بعناصر ومؤثّرات أجنبية، وهي نظرية روّج لها عدد من المستشرقين ممّن زعم أنّ أصول تصوف التوحيدي مستقاة من أدبيات المسيحية والنّصرانية(٢).

ويرى الدكتور إبراهيم الكيلاني أنّ أبا حيان ((كان صوفياً، يؤمن بوحدة الوجود، وهي آخر مرحلة من مراحل التصوف ...))(٣). ومَن يتأملّ مذهب التوحيدي في التصوّف يلاحظ بوناً شاسعاً بينه وبين مذاهب غلاة الصوفية، ممّن اتهموا بالضلال والانحراف(٤).

أمّا في نظر العلامة الأستاذ محمّد عبد الغني الشيخ فإنّ تصوّف التوحيدي يختلف عن غيره من الصوفيين، فهو ((من نوع فريد ممتاز، تصوّف دارسٍ متعمّق ومؤمن، سليم العقيدة، ليس فيه خروج عن الدين أو المألوف، وليس فيه تقليد لصاحب طريقة، أو تعصّب لمذهب))(٥). ويرى أنّ الدليل على سلامة تصوّفه

(١) ينظر: نظرية النّقد العربي وتطورها إلى عصرنا، محي صبحي، الدار العربية للكتاب، تونس: ١٠٠ ـ ١٠١.

(٢) ينظر: أبو حيان التوحيدي ناقداً، محمد همام: ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

(٣) أبو حيان التوحيدي، د. إبراهيم الكيلاني: ٥٥ .

(٤) ينظر: أبو حيان التوحيدي ناقداً، محمد همام: ٢٩١ .

(٥) أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب والنّقد: ١ / ٤٠٩ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

والتزامه بقواعد الدين كتابه (الإشارات الإلهية)، فهو بريء من أوهام بعض المتصوّفة[١].

ونلاحظ الاختلاف الواضح بين هذه النّظرة ونظرة الدكتور إبراهيم الكيلاني، الذي حاول عقد مقارنة بين كتاب التوحيدي (الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي) وبين ما كتبه الحلّاج عن كيفية حج الفقراء من اختراعات نفسه[٢]. ويجب أن نعرف أنّ الكتاب الذي ذكره الدكتور الكيلاني هناك شكٌ في صحّة نسبته إلى التوحيدي، وقد يكون غير موجود أصلاً[٣]، بعكس دليل الأستاذ محمّد عبد الغني الذي بين أيدينا .

ويروي لنا أبو حيان أخباراً عن صلته ببعض علماء الصوفية أيام شبابه، ويظهر أنّه صحب ابن الجلّاء الزاهد إلى الحج سيراً سنة (٣٥٣هـ)[٤]، وكذلك عرف ابن سمعون الصوفي[٥]، وابن ضبعون الصوفي[٦]، وابن الجصاص الصوفي[٧]، وغيرهم من كبار الصوفية، وكان يلبس ثيابهم، ويتشبه بطباعهم، الأمر الذي جعل صديقه المهندس يعمد إلى توبيخه؛ إذ يقول له: ((أتظنّن بغرارتك وغمارتك، وذهابك في فسولتك التي اكتسبتها بمخالطة الصوفية والغرباء والمجتدّين الأدنياء الأرديا ء ...))[٨].

---

(١) ينظر: أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب والنّقد: ١ / ٤٠٩ .

(٢) ينظر: أبو حيان التوحيدي، د. إبراهيم الكيلاني: ٥٤ ـ ٥٥ .

(٣) ينظر: أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب: ١ / ٤٠٩ ـ ٤١٠ .

(٤) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٧٩ .

(٥) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٧٣ .

(٦) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ٧٦ .

(٧) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ٧٧ .

(٨) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وبالإضافة إلى كتاب (الإشارات الإلهية) و(الحج العقلي) فإنّ لأبي حيان مؤلفات أخرى في التصوف، منها (رسالة في أخبار الصوفية)، و(رياض العارفين)، و(الزلفى)[١].

إذن، فالتوحيدي شخصية مرنة منفتحة على جميع الاتجاهات الدينية، تتسم بالموسوعية والاعتدال، ولا يمكن أن يُختزل في فرقةٍ واحدة أو مذهب معيّن[٢]، إلّا أنّه بجانب هذا التنوّع يُظهر ميلاً واضحاً إلى المذهب الشافعي، ويتقمّص شخصية السنّي المحب لأهل البيت (عليهم السلام) الرّافض للمغالين من الشيعة ـ كما يراهم ـ فنراه يورد أخباراً عن الشافعي تبيّن استحسان النّاس لكلامه وأفضليته على أبي حنيفة[٣]، فهو في نظره ((بحراً ثجاجاً وسراجاً وهّاجاً، وكان من سَرَاةِ النّاس مع الشرف والسخاء والبيان والعفة والفقه العجيب ونصرة الحديث، مع الورع والديانة والستر، والأمانة والعفّة والنّزاهة ...))[٤]. ويروي لنا كذلك قولاً لشيخه أبي حامد المروروذي في التفضيل بين الشافعي وأبي حنيفة فينتصر للشافعيّ فلو تبِعَ النّاس كلّهم مذهب أبي حنيفة لن يبقى للشريعة نور ولا للسنة ظهور[٥]، أمّا الشافعي فقد ((أتى بالواضحة والجلية وبما ليس عليه غبار))[٦]، وإلّا فكيف كان يشيع ويُقبَل ويُنصر، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[٧].

---

(١) ينظر: أبو حيان التوحيدي ، د. إبراهيم الكيلاني: ٤٨ ـ ٤٩ .

(٢) ينظر: نقد الشعر عند أبي حيان التوحيدي، كامل يوسف محمود عتوم، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٢: ٢٧ .

(٣) البصائر: ٧ / ٦٢ ـ ٦٣ .

(٤) البصائر: ٧ / ٦١ .

(٥) ينظر: البصائر: ٧ / ٦٢ ـ ٦٣

(٦) البصائر: ٧ / ٦٢ ـ ٦٣ .

(٧) ينظر: البصائر: ٧ / ٦٣ .

Remove Watermark
Wondershare PDFelement

الفصل الثالث:
مرجعيّات أدبيّة ونقديّة

المبحث الأول: النظير العربي

المبحث الثاني: النّظير الآخر

المبحث الثالث: كتب أدبيّة ونقديّة

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المبحث الأول:

النّظـير العربي

ـ **الرماني (٣٨٤هـ):** هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الورّاق الإخشيدي، وقد غلبت عليه كنية الرماني، فأصبح يُعرف بها[١]، أصله من (سر من رأى)، وكان إماماً في العربية علّامة في الأدب في طبقة أبي علي الفارسي والسيرافي، وقد أخذ عن ابن السراج، وابن دريد، والزجاج[٢].

ويعد الرماني من أهمّ شيوخ التوحيدي، وقد تأثّر به وبطريقته التي رفضها أبو علي الفارسي والبديهي وجماعة، ويصور لنا أبو حيان هذا الاختلاف، فينقل لنا عن أستاذه الرّماني حدّ الإيجاز الذي ((هو تقليل الكلام من غير إخلال، كأنّه إقلال بلا إخلال))[٣]، ثمّ يورد عنه حدّ البلاغة فيقول: ((وهذا الشيخ حدَّ البلاغة فقال: هي ما أدّى المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ))[٤]. ثمّ بصرح برفض طريقته من قبل جماعة منهم البديهي فيقول: ((وأصحابنا يأبون طريقته وكان البديهي يقول فيه: ما رأيتُ على سني وتجوالي وحسن إنصافي لمن صبغ يده بالأدب ـ أحدا أعرى من الفضائل كلها ولا أشد ادعاءً لها من صاحب الحدود))[٥]، وهنا ينبري التوحيدي للدفاع أستاذه ـ الذي يراه ((عالي الرتبة في النّحو واللغة والكلام والعروض ...))[٦]ـ فيرد على البديهي الذي تأثر بمجالس الفلسفة فراح يهجو عالماً مثل الرماني من دون

---

(١) ينظر: تاريخ مدينة السلام، للخطيب البغدادي (٤٦٣هـ): ١٣ / ٤٦٢ ـ ٤٦٣، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤، وبغية الوعاة، للسيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٢/ ١٨٠ ـ ١٨١ .

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٦ / ٥٣٤ ، وبغية الوعاة: ١٨٠ .

(٣) البصائر والذخائر: ١ / ١٤٥.

(٤) البصائر والذخائر: ١ / ١٤٥.

(٥) البصائر والذخائر: ١ / ١٤٥.

(٦) الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ١٣٣ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ورعٍ ومعرفة، يقول أبو حيان: ((وكان البديهيُّ هذا شاعراً، وكان شهرزورياً وكان مغسول الشعر ما طنّ له بيت...))[١].

وروى أبو حيان عن أبي الحسن أقوالاً في الأدب، منها خبرٌ في كمال الرّجل؛ إذ يقول: ((أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى، أخبرنا ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمّه الأصمعي، قال عبد الله بن جعفر: كمال الرجل بخلال ثلاث: معاشرة أهل الرأي والفضيلة، ومداراة النّاس بالمخالقة الجميلة، واقتصاد من غير بخل في القبيلة ...))[٢].

ونراه يورد عن الرمّاني خبراً عن فأر فيه شيءٌ من الغرابة إذ يقول: ((قال علي بن عيسى: الطلاق الثّلاث البتّة إن كان يمنعهم من التحوّل عنه إلّا أنّهم يسرقون أطعمة النّاس يأكلونها في بيته لأمنهم فيه، لأنّه لا هرَّ هناك ولا أحد يأخذ شيئاً ولا يؤْذَوْنَ، وإنّ لهم لَمِسقاةً مملوءةً ماءً كلما حفَّتْ سُكبَ لهم فيها ماءٌ))[٣]، ويعلق التوحيدي على هذا الخبر مندهشاً من قول أستاذه الرّماني فيقول: ((جعلَ الخبرَ عن الفأر على التلمّح، كالخبر عن قومٍ عقلاء))[٤].

وذكر أبو حيان حديثاً دار في مجلس عز الدولة، وكان الحديث اجتماع العلماء لحثّ الأمير ليدافع عن الدولة والأرض والدين والنّساء، ويروي لنا خبر اندفاع الرمّاني إلى تحذير الأمير من عدم تدارك الصغير قبل أن يكبر، وقلّة النّاصر للدين والحافظ لبيضة المسلمين، وأن يأخذ الأمير بأيديهم بقوته، وحسن نيته، وعزة سلطانه

(١) البصائر والذخائر: ١ / ١٤٥ .

(٢) الصادقة والصديق: ٤٤.

(٣) الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ١٦ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ١٦ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وأوليائه وأعوانه[١]، وقد أورد أبو حيان شعراً عن أبي الحسن الرماني[٢]، الذي ترك أثراً مهمّاً في كتاباته، فهو يفضل أن يروي مناظرة السيرافي والقنائي بشرحه، على الرغم من أنّ أبا سعيد نفسه حدثه بلمعٍ منها، وهو هنا يريد أن يفيد من شرح أستاذه الرّمّاني[٣].

ـ **أبو عبد الله المرزباني:** هو محمّد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبد الله[٤]، الكاتب البغدادي العلّامة[٥]، قال عنه ياقوت: ((كان راوية صادق اللهجة واسع المعرفة بالرّوايات كثير السماع، روى عن البغوي وطبقته، وأكثر روايته بالإجازة، لكنّه يقول فيها: أخبرنا، وكان ثقة صدوقاً من خيار المعتزلة))[٦].

روى عنه أبو حيان، وكان يشير إليه بلقب (شيخنا)[٧]، ومن طريف ما أورد عنه حوارٌ بينه وبين أبي صالح الهاشمي، وكان المرزباني قد انتقد العباس بن الأحنف في قوله[٨]:

إذا رَدْتُ سُلُوّاً كان ناصركم ... قلبي وما أَنَا مِنْ قَلْبي بمنتصرِ
فَأَكْثروا وأقلّوا من إساءَتِكُم ... فَكُلُّ ذلكَ مَحْمُولٌ عَلى القَدَرِ
وضعتُ خدّي لأدنى مَن يطيف بِكُم ... حتى احتُقرتُ وما مثلي بمحتقِرِ

(١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١٥٥ ـ ١٥٦ .
(٢) ينظر: الصداقة والصديق: ٤٣ ، ٧٣، ١٤٧، ٢٩١.
(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١/ ١٠٨ .
(٤) ينظر: معجم الأدباء: ٦ / ٢٥٨٢ .
(٥) ينظر: الوافي بالوفيات: ٤ / ١٦٥ ـ ١٦٦ .
(٦) معجم الأدباء: ٦ / ٢٥٨٢.
(٧) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٧٧ .
(٨) ينظر الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٧٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

فلمّا سمع المرزباني هذا القول: ((جُنَّ واستغاث وشق الجيبَ وحولق[١]، وقال: يا قوم أما ترون إلى العباس بن الأحنف ما يكفيه أن يفجر حتى يكفر؟ متى كانت القبائح والفضائح والعيوب والذنوب محمولةً على القدر))[٢].

إذ يرى المرزباني في هذا القول ما يصل بالشاعر إلى الفجور، بل إلى الكفر؛ لأنّ القبائح والفضائح والعيوب والذنوب لا تحمل على القدر، وقد نهى الله عنها، فمتى قدّرها؟ والغزل لا يمكن أن يشيب بمجانة، والمجانة لا يمكن أن تقرن في ديانة[٣]، فيجيبه أبو صالح الهاشمي: ((هوّن عليك يا شيخ، فليس هذا كل ما تظن، القدر يأتي على كل شيء، ويتعلق بكل شيء، وهو سرّ الله المكتوم، كالعلم الذي يحيط بكل شيء))[٤]. ثمّ يدعوه لرفع التضايق والحرج، فالشاعر ((يهزل ويجدُّ، ويقرب ويبعد، ويصيب ويخطأ، ولا يؤاخذ بما يؤاخذ به الرّجل الديان، والعالم ذو البيان))[٥].

وإذا تأمّلنا هذا الحوار النّقدي بين المرزباني والهاشمي، ونظرنا إلى طريقة عرض التوحيدي لهذا الحوار في مجلس شيخه المرزباني نفهم أنّ أبا حيان يميل إلى رأي الهاشمي فيما يجوز للشاعر أو لا يجوز .

وأورد التوحيدي عن أبي عبد الله خبراً عن الصولي عن أبي العيناء أنّ ابن أبي داود كان يقول: ((لو أراد العباس بن بقوله:

المرء قد يُرزق أعداؤه منه ويشقى بالصديقِ الصديقُ

---

(١) قول (لا حول ولا قوة إلا بالله).

(٢) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٧٧ .

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٧٧ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٧٧ ـ ١٧٨ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

إصلاحاً بين قبيلتين من العرب، أو إقامةً لخطبة، أو إرسالاً لمثل وحكمة لكان أبلغ وأحسن))[١]. وقد روى أبو حيان عنه أخباراً أخرى[٢]، وأورد عنه شعراً[٣]، ولعلّ أبا حيان أفاد من مصنفاته الكثيرة، وآرائه النّقدية، فقد كان أثره واضحاً في كتاباته .

أبو محمّد الأندلسي: هو عبد الله بن حمّود الزبيدي الأندلسي من أصحاب أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي[٤]، رحل إلى الشرق مبكراً ولزم أبا سعيد السيرافي، وبعد وفاته لازم أبا علي الفارسي، وقد أُعجب بكلام الجاحظ، كما هو الحال مع أبي حيان، وإذا سمعه يقول: ((قد رضيت في الجنة بكتب الجاحظ عوضاً عن نعيمها))[٥]، وقد أعجب به التوحيدي[٦]، وروى عنه أخباراً، ومنها قوله: ((وقال الأندلسي: إنْ حَمَلَتْ أَثْقَلَتْ، وإن مَشَتْ أَبْعدتْ، وإنْ حَلَبَتْ أروَتْ، وإنْ نُحِرَتْ أُشْبعتْ))[٧].

وأورد أبو حيان خلافاً حدث في مجلس أبي سعيد السيرافي، وكان الأندلسي حاضراً، فاختلف الحاضرون في بلاغة الجاحظ، وأبي حنيفة الدنيوري صاحب كتاب (النّبات)، فوقع الرضا بحكم الأندلسي، فرفض أبو محمّد الحكم لهما أو عليهما، ولكن التوحيدي يصر أن يعرف رأيه فيهما فيقول: ((أبو حنيفة أكثر نداوة وأبو عثمان

---

(١) الصداقة والصديق: ١٧٥ .

(٢) ينظر: الصداقة والصديق: ١٥٤، ٢٥٤، ٢٧٦، وأخلاق الوزيرين: ٥٥ ، والإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٠٨ ، ١٣٤.

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٢ / ٨٧ ، والصداقة والصديق: ٢٩٠ .

(٤) ينظر: البصائر والذخائر: ٨ / ٢٠٠ .

(٥) معجم الأدباء: ٤ / ١٥١٧ .

(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٨ / .

(٧) الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ١٨ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

أكثر حلاوة، ومعاني أبي عثمان لائطة بالنّفس سهلة في السمع، ولفظ أبي حنيفة أعذب وأعرب وأدخل في أساليب العرب))[١].

وقد روى أبو حيان عن أبي محمّد شعراً، ومنه قوله:

وأنشدنا الأندلسي[٢]:

لي صديق هو عندي عوزٌ من سدادٍ لا سداد من عَوز

وأحياناً يقوم بإيراد البيت، ثمّ يعمد إلى شرحه والتعليق عليه، ومنه قوله: ((سمعتُ الأندلسي يقول: سمعتُ العماني يقول: سمعتُ الزجاج يقول في قول الشاعر:

تالله قد سَفِهَتْ أمّيّةُ رأْيَها فاسْتَجْهَلَتْ حلماؤها سُفهاؤها

معناه: تالله قد سفهت أميةُ رأيَها سُفهاؤها فأبدل سُفهاؤها من أُميّة ثمّ قال: واستجهلت حلماؤها أي صارت في جملة الجهال))[٣]، ويُفهم من كلام التوحيدي أنّه يريد: استخفت السفهاء حتى جهلت الحلماء .

ويروي لنا أبو حيان حواراً دار بينه وبين أستاذه الأندلسي عن بيت لبعض شعراء المغرب فيه أشياء لا حقيقة لها، والبيت هو[٤]:

الجودُ والغولُ والعنقاءُ ثالثةً أسماءُ أشياءَ لم تُخلَق ولم تكن

---

(١) المقابسات: ٥٨ .

(٢) ينظر: الصداقة والصديق: ٤٨ .

(٣) البصائر والذخائر: ٦ / ١٢٧ .

(٤) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٣٩٧، وذكر التوحيدي هذا البيت في البصائر والذخائر: ٨ / ٢٠٠ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وهنا يسأل التوحيدي عن هذا النّمط من الشعر إذا كان موجوداً عند المغاربة؟ فيجيبه أستاذه أبو محمّد: ((في المغرب مَن يقدِّم نثره على نثر إبراهيم بن العبّاس الصولي، ويُقدِّم نظمُه على نظم أبي تمّام))[١].

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أنّ أبا محمّد الأندلسي فتن بالجاحظ، وقد تبعه تلميذه في ذلك، ويتبين لنا أنّ التوحيدي أفاد منه الكثير لا سيما في مجال الأدب والنّقد.

ـ **قدامة بن جعفر(٣٣٧هـ):** أبو الفرج الكاتب المعروف، كان على دين النصارى، ثمّ أسلم على يد المكتفي بالله، وكان من أهل البلاغة والفصاحة[٢].

التقى به التوحيدي في مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وقت مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتّى بن يونس القنائي سنة (٣٢٦هـ)[٣]، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر، وله مصنفات كثيرة في علوم مختلفة [٤].

ومن المؤكّد أنّ أبا حيان قد اطّلع على مؤلفات هذا الرجل لاسيما كتابه (نقد النّثر)، فنراه يتحدث عنه بوصفه الأفضل بين كتّاب النّثر في زمانه؛ إذ يقول: ((وما رأيتُ أحداً تناهى في وصف النّثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه سنة عشرين وثلاثمائة، واختبرته فوجدته قد بالغَ وأحْسن،

(١) البصائر والذخائر: ٨ / ٢٠٠ .

(٢) ينظر: معجم الأدباء: ٥ / ٢٢٣٥ .

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٠٨ .

(٤) ينظر: معجم الأدباء: ٥ / ٢٢٣٥ ـ ٢٢٣٦ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وتفرّد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى ...))[١].

ويرى أبو حيان أنّ قدامة هو الثاني على مستوى نقد الشعر بعد النّاشئ الأكبر[٢]، ومن خلال حديث التوحيدي عن جهود قدامة في وصف النّثر ونقد الشعر نفهم أنّه قرأ مؤلفاته وتأثّر بكتاباته، وأفاد من آرائه النّقدية والبلاغية .

ـ **أبو محمّد المقدسي العروضيّ:** وهو من العلماء الذي عاصروا التوحيدي، وورد ذكره في كتاباته، ولم نصل إلى سيرته وتاريخ حياته في كتب التراجم، قال عنه أبو حيان: ((إمامٌ في شأنه))[٣]، ويعد من الشخصيات النّقدية التي تأثّر بها التوحيدي وأفاد منها في النّقد، وقد دار حديث بينهما في واحدة من أهمّ القضايا النّقدية آنذاك، وهي الموازنة بين الشاعرين الكبيرين أبي تمام والبحتري، يقول أبو حيان: ((حدثنا أبو محمّد العروضي عن أبي العباس المبرّد قال: سألني عُبيدُ الله بن سليمان عن أبي تمام والبحتري، فقلت: أبو تمام يعلو علوّاً رفيعاً، ويسقط سقوطاً قبيحاً، والبحتري أحسن الرجلين نمطاً، وأعذب لفظاً ...))[٤].

وذكر أبو حيان رسالةً أفادها من أبي محمّد العروضي لابن حمّاد في أبي علي بن مقلة يمزقه فيها ويحط من قدره، ويذكر خساسة أصله[٥]، وروى عنه أقوالاً في الأدب، ومن ذلك حديثه عن إنّ المودة هي الأصل[٦].

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٤٥ ـ ١٤٦ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٥ / ١٠٩ .

(٣) المقابسات: ١٢٠ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ١٨٦ .

(٥) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٦٧ .

(٦) ينظر: الصداقة والصديق: ٩٥ ـ ٩٦ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ابن قريعة (٣٦٧هـ): هو محمّد بن عبد الرحمن، أبو بكر بن قريعة القاضي البغدادي[١]، كان يجالس الوزير أبا محمّد المهلبي، وكان الفضلاء يداعبونه برسائل ومسائل هزلية فيجيب عنها بسرعة عجيبة من غير توقّف، وفد على عز الدولة فقربه الأخير وأدناه وأصبح نديماً له[٢].

وابن قريعة من الشخصيات الأدبية التي أعجب بها التوحيدي، ووصفه بأنّه ((كثير النّوادر، غزير الحفظ، فصيح اللسان))[٣]، وروى عنه أبو حيان مجموعة من النّوادر[٤]، ومنها قوله عن جحا: ((وقال له أبوه يوماً: احمل هذا الحب فقيّره، فذهب به فقيّره من خارج، فقال له أبوه: أسخَنَ الله عينيكَ، رأيتَ من قيّرَ الحِبّ من خارج؟ فقال جحا: إن لم ترضَ عافاكَ الله فاقلبه مثل الخفِّ حتى يصير القيرُ من داخل))[٥].

وابن قريعة واحد من ثلاثة قضاة ببغداد ذكرهم أبو حامد القاضي في حديث سمعه أبو حيان وفيه يصف ابن قريعة بأنّه: ((هزليُّ الظاهر جدّي الباطن))[٦]، ثمّ يعلق التوحيدي على رأي أستاذه المروروذي ـ الذي وصفه بالرئيس، وأنّ تعقّب كلام الرؤساء صعبٌ ـ فيقول: ((وأمّا جدُّ ابن قريعة في باطنه فما أغناه عن هزْله في ظاهره لأنّه وقّف الممتعضَ منه المتباعدَ عنه، وصار ناصره وعاذره لا يجدان في

---

(١) ينظر: الوافي بالوفيات: ٣ / ١٨٨ .

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات: ٣ / ١٨٨ .

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ١٠٠ .

(٤) ينظر: البصائر والذخائر: ٢/ ٤٩، ٥٠، و٤/ ١٠٠ ، ١٠٩ .

(٥) البصائر والذخائر: ٤ / ١٠٠ .

(٦) البصائر والذخائر: ٤ / ١٠١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

تهوين شأنه إلّا تلميحه واستظرافه))[١]. ولعلّ التوحيدي أفاد من هزْل ابن قريعة وأسلوبه الذي بدا واضحاً في كتابه (البصائر والذخائر).

ـ **النّاشئ الأصغر (٣٦٥هـ):** وهو من الشعراء الذين عاصرهم أبو حيان، وأخذ عنهم، ويعد من المتكلمين الشيعة[٢]، وكان يملي شعره في مسجد الكوفة الجامع سنة (٣٢٥هـ)، والنّاس يكتبون عنه، وكان المتنبي ـ وهو صبي لم يُعرف، ولم يلقّب بالمتنبي ـ يحضر مجلسه[٣].

وقد حضر أبو حيان مجلس النّاشئ، وسمع منه وأورد عنه أخباراً[٤]، وكذلك روى عنه شعراً، ومن ذلك ذكر له أبياتاً يقول في مطلعها[٥]:

لَأَقْتَحِمَنَّ الدهرَ منّي بِعَزْمَةٍ تُخَوّفُ أعدائي وتمنعُ جاري

وروى عنه أيضاً أبياتاً يقول في مطلعها[٦]:

عدمتُ من الحبيبةِ رَجْعَ كفٍّ إلى حلِّ المؤزر والنّطاقِ

إنّ اهتمام التوحيدي بهذا الشاعر وتضمين كتبه باختيارات من شعره يدل على أنّ أبا حيان قد تأثّر به وأفاد من شعره في رفد ثقافته الأدبية .

وهناك شخصيات أخذ عنها التوحيدي ظهر أثرها بصورة أقل، منهم: ابن كعب الأنصاري: وهو من الشخصيات النّقدية التي أخذ عنها أبو حيان، وذكرها في

---

(١) البصائر والذخائر: ٤ / ١٠١ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٢٠ .

(٣) ينظر: معجم الأدباء: ٤/ ١٧٨٨.

(٤) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٢٠ .

(٥) البصائر والذخائر: ٥ / ٤١٠ .

(٦) البصائر والذخائر: ٥ / ٤١٢ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

كتاباته، وأورد له آراءً نقدية[١]، وروى عنه أخباراً[٢]، وشعراً[٣]، وقال عنه: ((كان أديباً متكلماً جاحظياً حافظاً، وكان يذهب مذهب ابن الإخشيد))[٤].

وكان التوحيدي يحضر لابن كعب مناظرات أدبية في مجالس العلماء، من ذلك ما رواه عنه في مجلس الزهري قوله: ((من طال خطابه واشتد لفظه قلَّ صوابه وكثر غلطُه))[٥].

ومن أهمّ ما أورده أبو حيان عن ابن كعب الأنصاري رأيه في المفاضلة بين النّثر والنّظم، وكان ابن كعب يفضّل النّثر على النّظم[٦]، وعرْضُ التوحيدي لرأي هذا النّاقد في مثل هكذا قضية نقدية مهمّة يكشف لنا بوضوح عن درجته العلمية، ومكانته بين علماء عصره، كما أنّ وصف التوحيدي له يدل على أنّه تأثّر به وأفاد منه في رفد ثقافته النّقدية، وأخذ أبو حيان عن الحرّاني، وكان من الشعراء المترسلين البلغاء[٧]، ذكره التوحيدي في كتاباته[٨]، وأورد له أقوالاً في الأدب[٩]، ومنها خبرٌ في أوصاف الصديق، يقول أبو حيان: ((وقيل للحرّاني: بينك وبين سهْل بن هارون صداقة فانْعَتْهُ لنا كي نعرفَ فقال: هو كالخير، وازن العلم، واسعُ الحلمِ، إن فوخر لم

---

(١) ينظر: الصداقة والصديق: ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٢/ ٢٥ ـ ٢٦ ، و ٩ / ٢١٠ ، والصداقة والصديق: ١٣٢ ، والإمتاع: ١ / ١٠٨.

(٣) ينظر: الصداقة والصديق: ١٥١ .

(٤) البصائر والذخائر: ٢ / ٢٥ ـ ٢٦ .

(٥) البصائر: ٢ / ٥٠ .

(٦) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٣٥ .

(٧) ينظر: الفهرست، ابن النديم، تحقيق: أحد أساتذة الجامعة المصرية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان: ١٧٨ .

(٨) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٣٨ ، وأخلاق الوزيرين: ٧٢ .

(٩) ينظر: الصداقة والصديق: ٩٢ ، ١٤٨، ٢٤٨ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

يكذب، وإن مُوزِحَ لم يغضب، كالغيث أين وقع نفع، وكالشمس حيث أوْفَتْ أحيَتْ، وكالأرض ما حمّلتها حملت، وكالماء طهورٌ لملتمسه ...))[١].

وسمع أبو حيان من أبي عبد الله الطبري، ومن ذلك قوله: ((سمعتُ أبا عبد الله الطبري يقول: التقى في بعض بلاد الهند رجلان، فقال أحدهما للآخر ـ وكان غريباً ـ: ما أقدمك بلادنا؟ قال: جئتُ أطلبُ علمَ الوَهْم، قال له السائل ـ وكان أحكم ـ: فتوهّمْ أنّك قد أصبته وانصرفْ فأُفحِمَ))[٢].

ثمّ يعمد التوحيدي إلى الحديث عن هذا الرجل الأديب فيصفه بأنّه ((كثير النّوادر، فصيح اللسان))[٣]، وينتقل بعدها ليروي لنا تفاصيل من حياته وعلاقته بأبي الفضل ابن العميد، وما بينهما من رسائل مشهورة كتبها أبو الفضل وأجاب عليها أبو عبد الله الطبري ولم يعجز عن موازنته على الرغم من أنّ الكتابة لم تكن ديدنه، الأمر الذي جعل التوحيدي مندهشاً أمام إبداع الطبري الذي كان عجيب الكلام في كل فن يعتمد على الإبهام من دون الإفهام، ويحمل في كتاباته إشارات الصوفية[٤].

وروى أبو حيان عن أبي عبد الله النّمري كتاب أبي محمّد المهلبي إلى العباس ابن الحسين[٥]، ثمّ روى عن النّمري أيضاً إجابة العباس على كتابه[٦]، وسمع أبو حيان قول العوامي لعلي بن عيسى الوزير في الأخلاق العالية[٧]، وقد أورد كذلك

(١) ينظر: الصداقة والصديق: ٢٢٩ .
(٢) البصائر والذخائر: ٧ / ٧١ .
(٣) البصائر والذخائر: ٧ / ٧٢ .
(٤) ينظر: البصائر: ٧ / ٧٢ .
(٥) ينظر: الصداقة والصديق: ١٥٤ .
(٦) ينظر: الصداقة والصديق: ١٥٦ .
(٧) ينظر: الصداقة والصديق: ١٥٨ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

التوحيدي أخباراً سمعها عن ابن النّفيس الرياضي[١]، وذكر الزهري، وأورد عنه أخباراً[٢]، وسمع قول أبي عامر النّجدي في ((الصديق هو الصادق))[٣]، وروى عن برهان الصوفي قوله في الصديق: ((الفاجر والعابد))[٤].

وسمع أبو حيان رأياً لأبي دلف الخزرجي في شاعر[٥]، وروى أخبار العباس عن أبي السائب القاضي، وذكر عنه أبياتاً من الشعر أيضاً[٦]، وكذلك روى أخباراً وشعراً عن ابن سحرة[٧]، وأورد شعراً عن علي بن هارون سنة خمسين وثلاثمائة[٨].

وقد روى أبو حيان بيتاً عن العسجدي لشاعر وهو قوله[٩]:

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى عدواً له ما من صداقته بدُّ[١٠]

وأورد أبياتاً سمعها عن ابن مقسم النّحوي لمطيع بن إياس في صديق كان له يصفه بالنّميمة، يقول في مطلعها[١١]:

إنّ ممّا يزيدني فيك زهداً إنّني لا أراك تصدقُ حرفاً

---

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ٥/ ١٢١ .

(٢) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٠٨ ، والصداقة والصديق: ١١٩، والبصائر والذخائر: ٥ / ٦٥ .

(٣) ينظر: الصداقة والصديق: ١٣٦ .

(٤) الصداقة والصديق: ٧٢ .

(٥) الصداقة والصديق: ١٤٢ .

(٦) الصداقة والصديق: ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٧) الصداقة والصديق: ١٧٦ .

(٨) ينظر: الصداقة والصديق: ١٨٨ .

(٩) ينظر: الصداقة والصديق: ٢٥٨ .

(١٠) البيت للمتنبي من قصيدة مطلعها:

أقلّ فعالي بله أكثره مجدُ وذا الجدّ فيه نلتُ أم لم أنلْ جدُّ

(١١) ينظر: الصداقة والصديق: ٦٦ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وكذلك يروي التوحيدي عن ابن مقسم أبياتاً عن ثعلب مطلعها[1]:

وصلتكم جهدي وزدتُ على جهدي فلم أرَ فيكم مَن يدوم على العهدِ

ونعتقد أنّ التوحيدي لم يتأثر بأحد من العلماء العرب، كما تأثر بشيخه الرماني، فهو كثيراً ما يدافع عنه، وينظّر لأفكاره، ويدعم آراءه، أمّا بقية شيوخه من العرب فتأثّر بهم ولكن ليس كما هو الحال مع الرماني.

Wondershare PDFelement

(١) ينظر: الصداقة والصديق: ٦٦ ـ ٦٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المبحث الثاني

النّظير الآخر

أبو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ): هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان [١]، فارسي الأصل، ومولده بـ (سيراف) وإليها نُسب، ومنها ابتدأ بطلب العلم، وتفقه بـ (عمان) ثم عاد إلى (سيراف)، ومضى إلى بغداد، وولي بها القضاء، فخلف القاضي (ابن معروف)[٢]، درس عليه التوحيدي اللغة والشعر والعروض والقوافي علوم أخرى قد أشرنا إليها سلفاً[٣].

وقد تأثّر به أبو حيان أشدّ التأثّر وذكره كثيراً في مؤلفاته[٤]، وأفاد من آرائه في كثير من المسائل اللغوية والنّحوية والأدبية فهو يراه ((أجمع لشمل العلم، وأنظم لمذاهب العرب، وأدخل في كل باب، وأخرج من كل طريق...))[٥]، وذكر عنه أقوالاً كثيرة في الأدب[٦]، وتفرّد أبو حيان برواية المناظرة الشهيرة بين أستاذه السيرافي ومتّى بن يونس، والتي انتصر فيها أبو سعيد وأفحم متّى[٧]، وكان التوحيدي يدوّن ما ينشده أستاذه السيرافي من الشعر، ففي حديث التوحيدي عن أنّ الأعراب لا تتمادح

---

(١) ينظر: الفهرست: ٩٣ .

(٢) ينظر: الفهرست: ٩٣ .

(٣) كذلك درس عليه القرآن والفرائض والنّحو والكلام، والحساب والهندسة. ينظر: معجم الأدباء: ٢ / ٨٧٨ .

(٤) ينظر: البصائر والذخائر: ٢ / ٢٢١ ، و٤ / ٢٧ ، ٥٩ ، ٢٣٢ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٢٩ .

(٦) ينظر: الصداقة والصديق: ٣٩ ، ٥١ ، ٢٢٦ ، ٢٨٠ ، والبصائر والذخائر: ٥ / ١٣٧ ، ١٨٢، و٧ / ١٣٠ ، ١٣٥ ـ ١٣٦، و٨ / ٢٥ ، والإمتاع والمؤانسة: ١ / ٢٥ ، ٢٧ .

(٧) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٠٨ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

بتحقيق الوعيد، وإنّما تتمادح بإنجاز الموعود، وأورد بيتاً لأبي وجزة السعدي، وكان مادحاً بلسانه جارياً على فطرته[١]:

صدق إذا وعد الرجال وأوعدوا بأحبّ بادرة وأوفى موعد

وقال: أنشدني هذا البيت أبو سعيد السيرافي فقلتُ له: إنّ أبا وجزة إسلامي، قال: فما تصنع بقول بعض الأسديين وهو جاهلي وأنشد أبياتاً لهم[٢]، وهنا لا يكتفي أبو حيان بالتدوين لما ينشده أستاذه السيرافي بل يعلّق ويناقش وكأنّه يريد أن يُشكل على شيخه وهو في الحقيقة متمكن، ولديه القدرة على توجيه الأسئلة لأستاذه؛ كونه يمتلك ذكاءً حادّاً وفطنة عجيبة وثقافة واسعة، وكان يكثر من النّقل عن أبي سعيد ويروي عنه بطرائق متعددة، فأمّا بالتحدث معه كقوله: ((حدثني أبو سعيد بلمع من هذه القصة))[٣]، أو بالإجابة عن سؤاله كقوله: ((فسألت أبا سعيد عنها فقال))[٤]، وأمّا بالإخبار عنه كقوله: ((هكذا قال أبو سعيد السيرافي))[٥]، أو بالسماع كقوله: ((وسمعتُ أبا سعيد السيرافي يقول))[٦]، بل كان أبو حيان يدون حتى ما يقال في مجلس أستاذه السيرافي، يدلنا على ذلك قوله: ((سمعتُ في مجلس أبي سعيد شيخاً من أهل الأدب يقول: ومن الأفعال ما له وجهان ...))[٧]، وسأله ابن سعدان عن مسألة في النّحو فأجاب، فقال له الوزير: ((من أين لك الفتيا؟ فأجاب قرأته على أبي سعيد الإمام في شرحه كتاب سيبويه. قال: بردتَ غليلي، فإنّ الحجة في مثل هذا

---

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ١٧٨ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ١٧٩ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٠٨ .

(٤) المقابسات: ١٧٥ ، والبصائر: ٨ / ٢٠١ .

(٥) البصائر والذخائر: ٥ / ٩٥ .

(٦) البصائر: ١ / ١٧٥ .

(٧) البصائر: ١ / ١٧٩ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

متى لم تكن بأهلها كانت متلجلجة))[١]، كأنّ الوزير قد ترك الشك عندما علم أنّ مرجعه السيرافي وهو في جميع ما سمع وقرأ وثبت وتحدث وأجاب وأخبر كان يغرف من ذلك العلم ويدوّنه كما في قوله: ((فأمّا الملاوم، فالمعايب، ومنه ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ﴾[٢] هكذا حصلته عن أبي سعيد السيرافي، سماعاً، وقراءةً، ومسألةً، ومراجعةً))[٣]. ولعلّ أبا سعيد السيرافي كان المرجع الأبرز والأهم الذي أمد التوحيدي بأنواع العلوم والمعارف وأثّر في شخصيته تأثيراً مباشراً.

ـ **أبو سليمان السجستاني:** هو محمّد بن طاهر بن بهرام السجستاني[٤]، المنطقي (بعد سنة ٣٩١هـ)[٥]، قرأ على متّى بن يونس القنائي وكان متقناً لأغلب العلوم القديمة[٦]، وقد أعجب به التوحيدي ولازمه، وكان عارفاً بقدره وقيمته، فالوزير ابن سعدان عندما يريد أن يعرف قول أبي سليمان فيه أو رضاه عنه يبادر إلى التوحيدي فيسأله إذ يقول: ((أول ما أسألك عنه حديث أبي سليمان المنطقي، كيف كان كلامه فينا، وكيف كان رضاه عنّا ورجاؤه بنا))[٧]، وفي موقف آخر يطلب الوزير من أبي حيان أن يعرفه درجة أستاذه السجستاني في العلم ومحله من محل علماء عصره، فيشيد التوحيدي بشيخه معلناً بأنّه الأفضل بينهم؛ إذ يقول: ((أمّا شيخنا أبو سليمان فإنّه أدقهم نظراً، وأقعرهم غوصاً، وأصفاهم فكراً، وأظفرهم بالدرر، وأوقفهم على

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٢٢٢ .

(٢) القلم: ٣٠ .

(٣) البصائر: ١ / ٣٧ .

(٤) ينظر: الفهرست: ٣٦٩ ، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي (٥٦٥هـ): ٨٢، وتاريخ الحكماء للقفطي (٦٤٦هـ)، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ): ١ / ٣٢١ .

(٥) ينظر: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: ٨٥ .

(٦) ينظر: تاريخ الحكماء: ٢٨٢ .

(٧) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٢٩.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

الغرر))[١]. وقلنا فيما سبق إنّ أبا حيان أخذ عن شيخه الشيء الكثير، وكان دائم الحضور إلى مجلسه الذي يحضره كبار العلماء في بغداد آنذاك[٢]، وقد تأثّر به كثيراً فكان يراه ((يُتهادى كلامه، ويُتشاحُ على ما يُسمعُ منه))[٣]، وقد أورد عنه قضايا أدبية ونقدية، وممّا أورده عنه بيتٌ من الشعر بصيغة: كما قال الأول[٤]:

أشكو إلى اللهِ جهلاً قد منيتُ به بل ليس جهلاً ولكن علمَ مفتون

ويورد عن أبي سليمان بيتاً يصرّح فيه بأنّه يجهل قائله والبيت هو[٥]:

حنّ الغريب إلى أوطانه طرباً إنّ الغريب إلى الأوطان حنّانُ

ثمّ يورد بيتاً استشهد به أبو سليمان في المقابسة نفسها والصفحة نفسها؛ إذ يقول[٦]:

فإن تصبرا فالصبرُ خيرُ مغبّة وإن تجزعا فالأمر ما تريانِ

وإضافة إلى تدوين ما ينشده السجستاني فإنّ أبا حيان كان يعرض عليه ما يحفظ من الشعر لمعرفة رأيه، ومن ذلك بيتان لابن محارب الفيلسوف أنشدهما لنفسه وهما[٧]:

صدفتُ عَنِ الدنيا على حبّي الدنيا ولا بدَّ من دنيا لِمَنْ كان في الدنيا

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: ١/ ٣٣ .

(٢) ينظر: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: ٨٦ .

(٣) أخلاق الوزيرين: ٥٣٠ .

(٤) ينظر: المقابسات: ٢٠٩ .

(٥) ينظر: المقابسات: ٢٤٢ .

(٦) ينظر: المقابسات: ٢٤٢ .

(٧) ينظر: المقابسات: ٢٩٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وأدفعها عنّي بكفي ملالَة وأجذبها جذبَ المضارع بالأخرى

فيعلق أبو سليمان عليهما بالقول: ((هذا كلامٌ رقيق الحاشية، حسن الطالع، مقبول الصورة يدل على ذهن صافٍ، وقريحة شريفة، واختيار محمود، وذهن ناصع ورأي بارع))[١].

إذن، فرواية التوحيدي للشعر عن أبي سليمان تتجاوز مستوى الاستشهاد إلى عملية النّقد، ومن ذلك ما نقله عن أستاذه من أنّه استحسن للبديهي أبياتاً هي قوله[٢]:

لا تَحْسِدَنّ عَلَى تظاهر نِعْمَةٍ شخصاً تبيتُ لهُ المنونُ بِمَرْصَدِ

أوَ لَيْسَ بعدَ بلوغهِ آمالَهُ يُفضي إلى عدمٍ كأن لم يوجدِ؟

لو كنتُ أحسدُ ما تجاوز خاطري حسَدَ النّجوم على بَقاءِ سَرْمَدِي

ويطلب أبو سليمان من تلميذه أبي حيان أن ينشده شعراً لبعض الإلهيين، فينشده أبياتاً مطلعها[٣]:

لمّا تجاوز حسي وفات مَسّي ولمسي

ليعلق أبو سليمان بالقول: ((ما أحسن الأدب والحكمة إذا كان هذا من ثمرها؟))[٤].

---

(١) المقابسات: ٢٩٧ .

(٢) ينظر: المقابسات: ٢٩٨ .

(٣) ينظر: المقابسات: ٢٩٩ .

(٤) ينظر: المقابسات: ٢٩٩ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ويعد السجستاني من العلماء النّقاد الذين يمتلكون نظراً دقيقاً في الأدب والشعر، بدليل رواية أبي حيان نقلاً عنه أنّ يحيى بن عدي أنشد يوماً أبياتاً لخالد الكاتب وهي قوله:

إن يكن لا ذرى إلّا المخلا ... لستَ تدري إن كنتَ تدري أم لا
أو تكُنْ دارياً بذاك فهلّا ... كنتَ تدري أطال ليلك أم لا؟

فيسمع أبو سليمان هذين البيتين، وينقلب أصحابه بالضحك والتعجب، وقد رفض أبو سليمان أن ينشد هذه الأبيات لأبي حيان ومَن كان معه حتى ألحّوا عليه، يقول أبو حيان: ((ولم ينشدنا أبو سليمان هذه ليحيى بن عدي حتى ألححنا عليه، وكذلك إنّه قال: قد دلّ شعره على ركاكته في هذا الفن، والستر عليه أحسن بنا))[١]. إذن، لازمَ أبو حيان أستاذه السجستاني وأفاد من آرائه النّقدية، ومجالسه الأدبية.

وقد أورد أبو حيان قضية نقدية غاية في الأهمية، وهي مسألة المفاضلة بين النّظم والنّثر، فلمّا أراد الوزير أن يسمع كلاماً في مراتب هذا الفن عمد أبو حيان إلى عرض ما وعاه عن أرباب هذا الشأن وعلى رأسهم أستاذه الأول أبو سليمان السجستاني، فيبدأ برأيه ثمّ يعرض لبقية الآراء، ليختم بما يراه شيخه أبو سليمان[٢]، وقد أورد أبو حيان آراء أبي سليمان في البلاغة وضروبها[٣]، ويعد الرافد الأقوى لأبي حيان ـ بعد السيرافي ـ في الأدب والنّقد.

ـ **أبو الفضل بن العميد:** اسمه محمّد بن الحسين بن محمّد[٤]، وابن العميد لقب والده

---

(١) ينظر: المقابسات: ٢٩٨ .

(٢) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٣١ ـ ١٣٩ .

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٤٠ ـ ١٤٢ .

(٤) ينظر: يتيمة الدهر، أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ)، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٣م: ٣ / ١٨٣ ، والوافي بالوفيات: ٢ / ٢٨٢ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

على عادة أهل خراسان في التعظيم، وكان وزيراً لركن الدولة البويهي[١]، قال عنه الثعالبي: ((كان يقال بُدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ...))[٢]، وقال الصفدي: ((وأمّا في الأدب والترسل فلم يقاربه في ذلك أحدٌ في زمانه كان يسمّى الحافظ الثاني))[٣]. قصده أبو حيان وحضر مجلسه وروى عنه وكان يضفي عليه لقب الرئيس، ومن ذلك قوله: ((روى الرئيس ابن العميد في أمثال العرب إذا حثت على المواساة في الشيء القليل))[٤]، وكذلك قوله: ((وهذا من رسالة لبعض مَن انتجع بها الرئيسَ أبا الفضل ابن العميد ...))[٥]، ومرّ بنا أنّ أبا حيان ألف في نقده كتاباً ومعه الصاحب، إلّا أنّه أقر بمحاسنه وأوردها، ومنها سؤاله لأبي السلم نجبة بن علي الشاعر عن ابن العميد فيقول: ((أمّا ابن العميد ـ يعني أبا الفضل ـ فكان بحره لا يُنزف، وبرُّه لا ينسف، وغباره لا يُشق، ونسيمه لا يُنشَق ...))[٦].

وذكر التوحيدي عن ابن العميد أقوالاً في الأدب[٧]، وبعض التعليقات في النّقد، ومن ذلك ذكر له تعليقاً على حكاية قالها ابن أبي طاهر عن المنصور، يقول أبو حيان: ((سمع هذه الحكاية أبو الفضل بن العميد فقال: ما كان أحوج أبا جعفر عند هذا القول إلى مَن يَسْلَحُ بين يديه من أن يُشبهَ عمر ...))[٨]، ونقل أبو حيان

(١) ينظر: الوافي بالوفيات: ٢ / ٢٨٢ .

(٢) يتيمة الدهر: ٣ / ١٨٣ .

(٣) الوافي بالوفيات: ٢ / ٢٨٢ .

(٤) البصائر والذخائر: ٦ / ١٦٢ .

(٥) البصائر: ١ / ١٦٤ .

(٦) أخلاق الوزيرين: ٢٨١ .

(٧) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ٩٦ .

(٨) البصائر: ٢ / ١٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

من كتب ابن العميد إلى كتابه (البصائر)[١]، وروى عنه شعراً[٢]، ويظهر أنّ التوحيدي كان على اتصال به في بداية سفره، فعندما حُرم من عطائه ساءت العلاقة بينهما، فأصبح أبو حيان يوجه له النّقد اللاذع، وراح يفضل ولده عليه[٣]، ومضى يروي في بخله الروايات[٤]، وإنّه أول مَن أفسد الكلام ((لأنّه تخيّل مذهب الجاحظ وظنّ أنّه إن تَبِعه لَحِقه، وإن تلاه أدركه فوقع بعيداً من الجاحظ قريباً من نفسه ...))[٥].

ونفهم من كل ما تقدّم أنّ الصلة بين أبي حيان وأبي الفضل كانت قائمة بدليل أنّه روى عنه، ونقل من كتبه وأشاد به على لسان غيره إلّا أنّ هذه العلاقة انقطعت وتحولت إلى سخطٍ من قبل التوحيدي على ابن العميد الذي تجاهله ولم يحفل به .

ـ **الصاحب بن عباد:** هو أبو القاسم بن عباد[٦]، ولُقّب بالصاحب لأجل صحبته لأبي الفضل بن العميد[٧]، وكان يقال له كافي الكفاة[٨]، وهو من أهل قرية

(١) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ١٨ ، وأخلاق الوزيرين: ٣٤٣ ـ ٣٤٤ .

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٦٦ .

(٤) ينظر: المقابسات: ٩٠ ـ ٩١ .

(٥) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٦٦ .

(٦) ينظر: الفهرست: ١٩٤، ومعجم الأدباء: ٢ / ٦٦٢ .

(٧) ينظر: الوافي بالوفيات: ٢ / ٢٨٢ .

(٨) ينظر: معجم الأدباء: ٢ / ٦٦٢ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

(الطالقان) في (خراسان)[١]، وقال عنه ابن النّديم: ((أوحد زمانه وفريد عصره في البلاغة والفصاحة والشعر))[٢].

قصده التوحيدي وحضر مجلسه[٣]، وروى عنه، ومن ذلك قوله: ((وحدثنا ابن عبّاد يوماً قال: ما قطعني إلّا شابٌ وردَ علينا إصبهان من بغداد فقصدني فأذنت له ...))[٤]، وذكر أبو حيان أخباراً كثيرة عن الصاحب أغلبها في كتابه (أخلاق الوزيرين)، منها أخباره مع أبي طالب العلوي، وكيف كان يكرمه ويأمر له بالصلة والعطاء ويقدمه على بني أبيه وبني عمّه[٥]، ويذكر التوحيدي كذلك حكاية عن ابن ثابت البغدادي مع الصاحب رواها الأول في مجلس الأخير[٦]، ورى عنه أيضاً أقوالاً، منها مسألة الحث على الأكل أحسن، أم الإمساك؟، إذ يقول أبو حيان: ((وحكى ابن عبّاد في هذا الموضع أنّ بعض السلف قال: الطعام أهون من أن يُحَثُّ على تناوله))[٧]، وروى أبو حيان عن ابن عبّاد شعراً معلقاً عليه بالقول: ((وكان ابن عباد يقول كثيراً: ما مدحني شاعرٌ بأوجز وأملح من أبيات وافتْني من شاعرٍ ينتسب لسجستان، فإنّها تدل على قدرة صاحبها وغزارة قائلها وحسن تصرفه فيها، وهي[٨]:

يا مَن أعاد رميمَ الملك منشورا ... وضمّ بالرّأي أمراً كان منشوراً

أنت الوزير وإن لم تؤت منشورا ... والأمر بعدك إن لم يؤتمن شورى

---

(١) ينظر: معجم الأدباء: ٢ / ٦٦٢ .

(٢) الفهرست: ١٩٤ .

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ٢٠١.

(٤) أخلاق الوزيرين: ١٧٩ ـ ١٨٠ .

(٥) ينظر: أخلاق الوزيرين: ١٩٥ .

(٦) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٢٢٠ .

(٧) الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ١ ـ ٢ .

(٨) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٢٤٨ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ويعمد التوحيدي إلى عرض آراء النّقاد في هذا الكلام فيذكر تعليقاً لابن نباتة وللخالع أيضاً وابن جلبات على هذه الأبيات التي ليس فيها ما وجب له هذا الإعجاب كله، ...))[١].

وقد مضى أبو حيان يجمع كل ما يُرى وما يُقال في نقد الصاحب من علماء ذلك العصر، ومن ذلك ما رواه عن ابن ثابت البغدادي في مجلس الصاحب عن حكاية الخليل التي ساقها أبو حيان في ذلك الموضع[٢].

إذن، فأبو حيان أفاد من مجلس الصاحب، وإن كان ساخطاً عليه، وأغلب ما أورده عنه أو عن علماء فيه يدخل ضمن النّقد .

أبو الفتح ابن العميد: هو علي بن محمّد بن الحسين، ولقبه ذو الكفايتين[٣]، ومرّ الحديث عن أبيه أبي الفضل بن العميد، وُصف بالنجابة واللطافة والسخاء والمروءة، وكان ظريف التفصيل والجملة، حسن الترسل، متقدم في النّظم، حظه وافر من محاسن الآداب[٤].

عاش أبو حيان في كنفه لمدةٍ من الزمن، وسمع منه ثمّ ترك مجلسه، وفي ذلك يقول: ((وسمعتُ ذا الكفايتين ابن العميد يقول: إنشاء للعرفة صعبٌ، فلمّا ندرنا[٥] من مجلسه قال أبو إسحاق الصّابي: تربيتها أصعب من إنشائها))[١].

---

(١) أخلاق الوزيرين: ٢٤٩ .

(٢) أخلاق الوزيرين: ٢٢٠ .

(٣) ينظر: يتيمة الدهر: ٣ / ٢١٥ .

(٤) ينظر: يتيمة الدهر: ٣ / ٢١٥ .

(٥) ندرنا: أي خرجنا .

(١) الصداقة والصديق: ١٧١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ويبدو أنّ موقف أبي الفتح كان مختلفاً مع التوحيدي، وليس الحال بينهما كما هو مع أبي الفضل بن العميد، ويبدو أنّ موقف التوحيدي كان مختلفاً مع أبي الفتح من أبيه أبي الفضل ابن العميد، فنراه يصفه بقوله: ((وأمّا أبو الفتح ذو الكفايتين فإنّه كان شاباً ذكياً متحركاً حسن الشعر مليح الكتابة كثير المحاسن ...))[١]، ثمّ يختار أبو حيان من شعره، ومنه قوله[٢]:

إنّي متى أهذر قناتي تنتثر أوصالها أُنبوبةً أنبوبا
أدعو بعاليها العُلا فتجيبني وأقِي بحدِّ سنانها المرهوبا

وقد صرح أبو حيان بأنّ أبا الفتح الشاب أفضل من أبيه وأشعر منه، إذ يقول: ((وكان ابنه أبو الفتح أشعر منه، وأحسن خطاً، واستفاد بدخول بغداد شيئاً فات والده))[٣]. وأورد أبو حيان من شعره قصيدة مطلعها[٤]:

نهضت تثنّى في الكواعب كالبدر هادَتْه الكواكب

وقد التقى التوحيدي بشخصيات أدبية ونقدية من بلاد فارس، منهم ابن سعدان الذي ألّف معه كتاب (الإمتاع والمؤانسة) والذي يعدُ من أروع ما كُتب في الأدب العربي، وقد تضمّن هذا الكتاب قضايا أدبية ونقدية مهمّة صيغت بأسلوبٍ حواري مشوّق، وكان الراوي ـ وهو التوحيدي ـ ممسكاً بهذا الحوار، فكشف لنا بوضوح عن سعة ثقافة المؤلف ومقدرته الأدبية وجمال أسلوبه، ومثّل أنموذجاً لظاهرة التأليف المشترك في ذلك الوقت .

---

(١) أخلاق الوزيرين: ٤٠٦ .

(٢) أخلاق الوزيرين: ٤٠٦ .

(٣) أخلاق الوزيرين: ٣٤٤ .

(٤) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٤٠٦ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وروى أبو حيان عن ابن سعدان أخباراً يصف فيها أصحابه[١]، وذكر عنه كذلك أبياتاً من الشعر، منها قوله[٢]:

عدوٌ راح في ثوب الصديق ... شريك في الصّبوح وفي الغبوقِ
له وجهان: ظاهره ابنُ عمٍّ ... وباطنهُ ابن زانية عتيقِ
يسرّك ظاهراً ويسوء سرّاً ... كذاك تكون أبناءُ الطريق

ومن الذين التقى بهم التوحيدي صديقه أبو الوفاء المهندس الذي ساعده في الوصول إلى الوزير ابن سعدان، وله معه حوارٌ رائع في مقدمة كتابه (الإمتاع والمؤانسة)[٣]، وذكره في كتابه (الصداقة والصديق) فقال: ((وأمّا أبو الوفاء فهو والله ما يقعد به عن المؤانسة الطيبة، والمساعدة المطربة، والمفاكهة اللذيذة، والمواتاة الشهية ...))[٤]، وقد أورد عنه كلاماً كثيراً دار بينهما[٥]، ومن أهمّ ما روى عنه خبر انعقاد مجلس الأمير عز الدولة في الكوفة، وكان أبو الوفاء أول مَن تكلّم في مجلس الأمير، وبعد أن يروي أبو حيان ما دار في هذا المجلس يقول: ((قال لي أبو الوفاء ـ وهو الذي شرح لي المجلس من أوّله إلى آخره ـ ...))[٦].

وقد سمع التوحيدي تميميّاً من عسكر شيراز[٧]، وتحدث إلى ابن سيف الكاتب الراوية[٨]، وسأل أبو حيان أبا عبيد الكاتب النصراني عن ابن عباد، وكان ابن عبيد

---

(١) ينظر: الصداقة والصديق: ٧٥ .
(٢) ينظر: الصداقة والصديق: ٧٤ .
(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٢ ـ ١٤ .
(٤) الصداقة والصديق: ٧٧ .
(٥) ينظر: مقدمة الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٣ .
(٦) الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ١٥٩ .
(٧) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ١١١ .
(٨) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٢٨ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

((سهل البلاغة حلو اللفظ، حسن الاقتضاب، غريب الإشارة، مليح الفصل والوصل))[١]، وحكى ابن أسادة الأصفهاني لأبي حيان عن رجلٍ أعمى يطوف ويسأل[٢].

وروى أبو حيان كثيراً من الأخبار عن أبي الحسن أحمد بن جعفر البرمكي (جحظة)[٣]، وأورد عنه شعراً[٤]، وذكر أبو حيان عن يحيى بن خالد البرمكي أقوالاً وشعراً وبعض التوقيعات[٥]، ويورد عنه أحياناً القول ثمّ يعلّق ناقداً، ومن ذلك قوله: ((وقال يحيى بن خالد: ما رأينا العقل قطٌّ إلّا خادماً للجهل. ليته فسّر وذكر الوجه والعلّة، وما أكثر ما يرسلون الكلام إرسال الآمن من التتبع))[٦].

إذن، فالتوحيدي أفاد من علماء فارس بل إنّ السيرافي والسجستاني هما أكثر من أثّر به وبشخصيته الأدبية والنّقدية ورفده بأنواع العلوم والمعارف، وأفاد كذلك من أبي الفضل وأبي الفتح والصاحب، ومضى ساخطاً عليهم، يؤلف في نقدهم الكتب، فراح يورد الروايات عن علماء سبقوه مارسوا النّقد وألفوا فيه الرسائل، وهو بذلك يحاول أن يجد مبرراً لتأليفه كتاب (أخلاق الوزيرين).

وأفاد كذلك من شخصيات فارسية أخرى قليلة الأثر في كتاباته، ولم يتأثر بشخصية عربية ولا أعجمية كتأثّره بأبي سعيد وأبي سليمان اللذَين ذكرناهما آنفا؛ فهما اللذان شكّلا ملامح ثقافته، وسعة معارفه .

---

(١) ينظر: أخلاق الوزيرين: ١٣٣ .

(٢) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٣ / ٢٨ .

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٧٢، ٢٣٢ ، و٢ / ٤٥، ٤٦، و٤ / ٥٢، ٥٤، و٦ / ٧٥، ١٠٠. ينظر: ترجمته: وفيات الأعيان ١ / ١٣٣ ..

(٤) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٢٥، ٤٩، ٥٠، ٥٥، و٢ / ٤٥، ٤٧، ٥١، و٤ / ٥٢ .

(٥) ينظر: البصائر والذخائر: ٨ / ٥٢ ـ ٥٤ .

(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٨ / ٨٤ ـ ٨٥ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

المبحث الثالث:

كتب أدبيّة ونقديّة

ليس من السهل الإحاطة بجميع مصادر أبي حيّان الأدبيّة منها والنّقدية ، فأكثر ما يروى من الشعر والنّثر يورده من دون التزام بذكر المصدر ، كما أشرنا سابقًا، فهو عندما يورد شعرًا يرويه عن (شاعر)[١]، ولا نعلم مَن هذا الشاعر إلّا بالعودة إلى المصادر التاريخيّة أو الدواوين الشعرية ، وكذلك النّثر، فعندما يروى الخبر أو الحكاية أو المثل أو غير ذلك من الفنون النّثرية يتبع الطريقة نفسها، كأن يقول: (كاتب)[٢]، وأحيانا يذكر المرجع ، وقد يعمد إلى ذكر مصادره في مقدمة الكتاب[٣].

وشاع في زمن التوحيدي أدب المجالس، الذي يعتمد بشكل كبيرٍ على مفهومَي الحكاية والخبر[٤]، وكتاب (الإمتاع والمؤانسة) خير دليلٍ على هذا الأدب الذي مثّل ثقافة ذلك العصر.

ومن خلال تتبع مرجعيات التوحيدي الأدبية والنّقدية سنحاول المقارنة بين ما أورده التوحيدي، وما هو موجود في هذه المجاميع الأدبية التي رجع إليها بوصفها مصدراً، وسنحاول أن نعرف مواطن اللقاء بينهما بالاعتماد على حواشي التحقيق

---

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ١٧٦ ، و٢ / ٨٨ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، و٣ / ٦٤ ، ٨٤ ، و٧ / ١٤١ ، ١٤٢، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ٢٠٢ ، و٨ / ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٨٠ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٦ ، و٢ / ٣٨ ، ٥٣ ، ٧٢ ، و٣ / ٧٠ ، ٧١ ، ١٥٠ ، ١٥٥، ١٥٧ ، و٤ / ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١٦٦ ، ١٩٩ ، و٥ / ٤١ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ١٥١ .

(٣) ينظر: مقدمة البصائر والذخائر: ٣ ـ ٥ .

(٤) ينظر: البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة: ٢١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

والهامش؛ لمعرفة نقول التوحيدي من هذه الكتب، وكذلك يجب أن نذكر ما أشار إليه أبو حيان من هذه المصادر.

ـ كتب أدبية:

كان أبو حيان وفيًّا لأغلب شيوخه، سواء الذين التقى بهم وحضر مجالسهم ، وأخذ عنهم، وقد سبق ذكرهم، أم الذين قرأ لهم وتأثّر بهم ، وأعجب بآرائهم، وأشار إلى مؤلفاتهم.

وحاول التوحيدي الإفادة من مهنته في قراءاته لأمّهات كتب الأدب ، ومنها كتاب (النّوادر) لابن الأعرابي (٢٣١هـ)[١]، ويظهر أنّه اطّلع على كتاب (طبقات فحول الشّعراء)، وتأثّر بآراء ابن سلام بالشعر وأخبار الشعراء[٢]، إلّا أنّ أبا حيان لم يُعجب بأديب كأبي عثمان الجاحظ (٢٥٥هـ)[٣]، وكان مفتونًا به مولعًا بكتبه يقتفي أثره، ويسلك طريقته، ويسمّه واحد الدنيا[٤]، وقد صرّح في مقدمة كتابه (البصائر والذخائر) أنّه اعتمد جميع كتب الجاحظ كمصدر له في تأليفه ، فيقول: ((جمعتُ ذلك كلّه في هذه المدة الطويلة مع الشهوة التامّة والحرص المتضاعف والدأب الشديد، ولقاء النّاس وفلي البلاد من كتب شتّى حكيت عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكنانيّ، وكتبه هي الدر النّثير، والنّور المطير، وكلامه الخمر الصِّرف، والسحر الحلال))[٥]، وعلى رأس كتب الجاحظ الأدبيّة كتابه (البيان والتبيين)، ويعد من

---

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٣ ، و٣ / ١٠٦ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٥٩ ، و٢ / ١٨٢ ، و٣ / ٥١ ، ١٢٤ ، و٥ / ١٨٦ ، و٦ / ٢٨ ، و٩ / ٤٩.

(٣) ينظر: معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢٤ .

(٤) ينظر: أخلاق الوزيرَين: ٤٢ .

(٥) البصائر والذخائر: ١ / ٣ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

مصادر التوحيدي المهمّة؛ فقد نقل عنه الكثير من الأقوال[١] ، أمّا كتابه (الحيوان) فقد ظهر أثره واضحًا في كتابات أبي حيان ، فنسخه بطلبٍ من الوزير ابن سعدان، ونقل منه على شاكلة قوله: ((قال الجاحظ في كتاب الحيوان في الجزء الأول: الكتب توجد في كلّ اوان، وتُقرأ بكل مكان، على تفاوت ما بين الأعصار، وتباعد ما بين الأمصار))[٢]، ونقل كذلك من كتاب (المحاسن والأضداد)[٣]، وكتاب (البرصان والعرجان)[٤]، وذكر له (رسالة الحنين إلى الأوطان)[٥]، و(الرسالة العثمانية)[٦]، وذكر كتبًا لأبي عثمان لم تصل إلينا، ولم تذكر في المصادر، وهي (كتاب الإبل)[٧]، وكتاب (المُلَح)[٨]، وكتاب (النّحل)[٩]، ولعلّه اطّلع على كتاب (البخلاء)، فقد أورد نصوصًا ترجّح ذلك[١٠]، وأورد أبو حيان فصولًا أدبية كذلك من تأليف الجاحظ، كأن يقول: ((فصل لأبي عثمان))[١١]، أو يقول: ((فصل للجاحظ))[١٢]، أو يقول: ((قال أبو عثمان))[١٣].

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ١٤ ، ١٨ ، و٥ / ٥٦ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٥٢ ، و٧ / ١٤٣ ، ١٥٧ .

(٢) البصائر والذخائر: ٥ / ١٤٢ _ ١٤٥ ، و٦ / ١٤٣ .

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٩ / ٨٩ ـ ٩٠ .

(٤) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ١٨٩ .

(٥) ينظر: البصائر والذخائر: ٩ / ٨٩ ، ٩٠ .

(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ٢٤٤ .

(٧) ينظر: البصائر والذخائر: ٢ / ١٩ .

(٨) ينظر: البصائر والذخائر: ٥ / ٤٧ ، و٨ / ٥٩ .

(٩) ينظر: البصائر والذخائر: ٢ / ٨٣ .

(١٠) ينظر: البصائر والذخائر: ٩ / ١٠٤ ، فقرة (٣٣٩) .

(١١) ينظر: البصائر والذخائر: ٣ / ١٣٢ .

(١٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ١٨٨ .

(١٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ١٢٩ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ويعد كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة (٢٧٦هـ) من أهمّ المصادر التي استقى مادته منها، وقد نقل أبو حيان من هذا الكتاب الشيء الكثير[١]، ولم يقتصر التوحيدي على كتاب (العيون)، فقد اعتمد على كتب أخرى لابن قتيبة، ومن ذلك كتاب (الشعر والشعراء)[٢]، وكتاب (أدب الكاتب)[٣]، وكتاب (الأشربة)[٤]، وكتاب (ديوان المعاني)[٥]، وهناك كتاب منسوب إلى ابن قتيبة وهو (الإمامة والسياسة)[٦].

أمّا كتاب (مجالس ثعلب) فقد نقل عنه أبو حيان الكثير، حتى أنّ الباحث يواجه صعوبة إذا أراد أن يحصي نقوله[٧].

ويشير التوحيدي إلى اعتماده على كتاب (المنظوم والمنثور) لابن أبي الطاهر[٨]، وقد ذكر له كتابًا آخر نقل منه وهو كتاب (بغداد)[٩].

بعد ذلك يذكر لنا التوحيدي كتابًا آخر يظهر أنّه يشكّل مصدرًا مهمّا له ، وهو كتاب (الأوراق) للصوليّ[١٠]، ونقل منه أيضًا[١١]، وهناك كتاب اسمه (الوزراء

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ٥ / ٥٦ ـ ٦٠ .
(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ١٤١ .
(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٢١٢ .
(٤) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ٢٤٣ .
(٥) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٢٠٤ ، و٦ / ١٦٩ ، و٨ / ٥٥ .
(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ١٩٩ .
(٧) ينظر: البصائر والذخائر: ٩ / ٢١٨ ـ ٢٢٣ .
(٨) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٤ .
(٩) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٩٤ .
(١٠) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٤ .
(١١) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ٢٠٣ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

والكتّاب) لابن عبدوس الجهشياري ذكره التوحيدي في معرض حديثه عن مصادر دراسته[١]، ونقل منه أيضًا[٢].

ثمّ ينتهي التوحيدي من عد المصادر الأدبية بكتاب لقدامة بن جعفر اسمه (الحيوانات)[٣]، وذكر أبو حيان قصصًا طريفة عن الكلاب والأفاعي والثعالب وغيرها من الحيوانات في كتابَيه (الإمتاع والمؤانسة)[٤]، و(البصائر والذخائر)[٥]، ولا نعرف ما إذا كانت هذه القصص تعود إلى هذا الكتاب أم لا .

ونقل التوحيدي من كتاب (معاني الشعر) للأشناندي[٦]، وكتاب (عيار الشعر) لابن طباطبا العلويّ[٧]، الذي يعد من مصادر أبي حيان المهمّة ، وسنعود إليه في حديثنا عن كتب النّقد.

وذكر التوحيدي كتاب ابن النّديم، وأورد عنه الشيء الكثير[٨]، ونقل من كتاب (كليلة ودمنة) كلامًا[٩]، ولم يغفل كتب ابن المقفّع وذكره في كتاباته[١٠]، وقد مرّ بنا

---

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٤ ـ ٥ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٨ / ٥٢ .

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٥ .

(٤) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٥٩ ـ ١٩٥ .

(٥) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٢٣٤ ، و٩ / ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١١١ .

(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٢١٥ ، وروى عنه أقوالًا ، منها ينظر البصائر والذخائر: ١ / ١٤١ فقرة ٤٣١ ، وفقرة ٤٣٣ .

(٧) ينظر: البصائر والذخائر: ٥ / ١٠٨ .

(٨) ينظر: البصائر والذخائر: ٣ / ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، و٣ / ١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٣٠ ، و٤ / ١٨، ٢٣ ، ٢٤.

(٩) ينظر: الصداقة والصديق: ٥٤ .

(١٠) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٢٤٦ ، و٦ / ١٦٩ ، و٧ / ٣٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، وينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٢٣ ، وينظر: الصداقة والصديق: ٤١ ، ١٧٨ ، ٣٦٤ ، وينظر: أخلاق الوزيرين: ٧١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

حديثه عن كتاب (اليتيمة) لابن المقفّع[١].

ومن الواضح اعتماد التوحيدي على مجموعة ضخمة من رسائل الكتّاب كرسائل العتابي[٢]، وعبد الحميد[٣]، وأبي العيناء[٤]، وجعفر بن محمّد بن ثوابة[٥]، ونقل أيضًا من رسائل ابن أبي الدنيا[٦]، وأبي القاسم الإسكافي[٧]، وأورد في كتاباته كثيرًا من الفنون النّثرية، فعندما نطّلع على مؤلفاته نجد أنّها تضمّنت أخبارًا كثيرة[٨].

وكذلك تحتوي على حكايات[٩]، وتوقيعات[١٠]، ومناظرات[١١]، وأمثال[١٢]، ونوادر[١٣]، وخواتم[١٤]، وأقوال مأثورة[١٥]، وجوابات مسكتة[١٦]، ونتف[١٧]، وملح[١٨]،

---

(١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧٠ ـ ٧١ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ١٣٨ .

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ١٣٨ ، ١٦٧ .

(٤) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٧٧ .

(٥) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ١٣٦ .

(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٢٤٢ .

(٧) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ١٧٠ ـ ١٧١ .

(٨) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ .

(٩) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ٢ ـ ٤٩ ، وكذلك أغلب الليالي في الإمتاع .

(١٠) ينظر: البصائر والذخائر: ٢ / ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٧٠ ، و٦ / ١٥٨ ، ٢٠٤ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ، و٨ / ٢٦.

(١١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٠٨ ، ١٣٧ .

(١٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ١٦٢ ـ ١٦٧ .

(١٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٢ / ٤٩ ، و٤ / ١٠٠ ، و٩ / ٩٥ .

(١٤) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٩٦ .

(١٥) ينظر: البصائر والذخائر: ٧ / ١٩٥ .

(١٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ١٥٠ ، ١٧٧ ، ٢٢٧ ، و٧ / ٧١ .

(١٧) ينظر: البصائر والذخائر: ٩ / ٥٠ .

(١٨) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٧٠ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ووصايا[١]، وأغاني[٢]، وحكم[٣]، وفنون أدبية أخرى .

كما نقل أبو حيان من كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني[٤]، وكتاب (أدب الكتّاب) للصولي[٥]، وكتاب (البديع) لابن المعتز[٦]، وكذلك كتاب (المؤتلف والمختلف) للآمدي[٧]، وذكر كتابًا لابن المراغي اسمه (البهجة)[٨]، ونقل من كتاب (الأخبار الموفقيات) للزبير بن بكار[٩]، وكتاب (الزهرة) لمحمّد بن داود الأصفهاني[١٠]، ونقل أيضًا عن كتاب (العقد) لابن عبد ربه[١١]، وكذلك نقل عن كتابين لأحمد بن الطيب السرخسي، وهما كتاب (الأخلاق)[١٢]، كتاب (مراح الروح)[١٣]، وذكر أبو حيان كتابًا اسمه (الشّدة)، وقد قرأه على أبي سعيد السيرافي[١٤]، وكذلك أورد كتابًا اسمه (المصون)، وقال عنه إنّه: ((يحوي آدابا حسنة وألفاظًا حلوة))[١٥].

(١) ينظر: الصداقة والصديق: ١١١ .

(٢) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٦٥ ـ ١٨٣ .

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٧ / ١٥٧ .

(٤) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٨٣ ، و٥ / ١٢٦ ، ١١٨ ، و٨ / ١٩ .

(٥) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٢٩ ، و٩ / ١٩ ، ٢٠ .

(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ١٩٩ .

(٧) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٩٠ .

(٨) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٩) ينظر: البصائر والذخائر: ٥ / ٢٣ ، و٩ / ٢٦ .

(١٠) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٢١١ ، و٦ / ٤٣ .

(١١) ينظر: البصائر والذخائر: ٥ / ٩٩ ، ١٠١ ، ١١٣ ، ١١٤ .

(١٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٩ / ١٩٧ .

(١٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٢٠٦ ، و٦ / ١٠٦ .

(١٤) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ٥٢ ، ٥٣ .

(١٥) البصائر والذخائر: ٧ / ٣١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

أمّا كتب النّوادر فبالإضافة إلى نوادر ابن الأعرابي ـ الذي سلف ذكره ـ فقد ذكر التوحيدي نوادر الأموي وكان يحتفظ بنسخة منه بخط ابن الكوفي[١]، ونقل من نوادر القضاة للمدائني[٢].

واعتمد أبو حيان على كتب المجالس، كمجالس ثعلب الذي ذكرناه سلفًا، وهناك مواطن لقاء بين كتب الطبقات وكتاب (البصائر) لأبي حيان، وهذا يدل على أنّه كان يعتمد على بعض هذه الكتب، ومنها كتاب (طبقات فصول الشعراء) لابن سلام الجمحي[٣]، و(طبقات ابن المعتز)[٤]، و(معجم الشعراء) للمرزبانيّ[٥]، ونعتقد أنّه رجع إلى بعض كتب التاريخ، مثل كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذري[٦]، وكتاب (مروج الذهب) للمسعودي[٧]، ونراه يصرّح بأنّه استعمل تاريخ القطربلي في كتابه (البصائر)؛ إذ يقول: ((قال القطربلي في كتابه))[٨]، ويرجح أنّه رجع إلى كتابَي ابن أبي عون، وهما (التشبيهات)[٩]، و(الأجوبة المسكتة)[١٠]، فقد نقل عنهما، على الرغم من أنّه لم يذكرهما، وهناك ثلاثة مؤلفات ـ يبدو أنّها كانت مسودات ـ اطّلع عليها التوحيدي وأعجب بها، الأول من تأليف عبد الله بن المعتز، ونقل عنه الكثير،

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ١٠٦ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٩ / ٩٥ .

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٩٠ .

(٤) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ١٤١ .

(٥) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٢٠٧ .

(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ١٧ ، ٣٣ ، و٤ / ١٨٠ .

(٧) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ٤٥ .

(٨) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ١٩٠ .

(٩) ينظر: البصائر والذخائر: ٥ / ٣٣ ـ ٣٩ .

(١٠) ينظر: البصائر والذخائر: ٨ / ٢٢ ، و٩ / ١١٠ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ويسمّيه (عبد الله) وفي أغلب الأحيان يكتفي بكلمة ((قال))[١]، أو يشير إلى أنّ النّقل عن خطه فيقول: ((قال عبد الله بخطّه))[٢]، وفي نهاية ما نقله عنه يقول: ((انتهى ما حكيناه عن ابن المعتز))[٣]، ثمّ يعود من جديد لينقل عن كتاب ابن المعتز في الجزء التاسع بالطريقة نفسها التي اتبعها في الجزء السادس، ثمّ يختم ما نقله بقوله: ((إلى هاهنا نقلتُ من كتاب ابن المعتز))[٤].

أمّا الكتاب الثاني فهو مسودة لابن العميد ذكر اسمها أبو حيان هي كتاب (الخَلْق والخُلُق)، توفيَ سنة (٣٦٠هـ) وهو في المسودة، اطّلع التوحيدي على ورقات منه، ونقل منهما حروفًا أخذها عن أبي طاهر الورّاق[٥].

وقد نقل أبو حيان من هذه المسودة مجموعة من أمثال العرب؛ إذ حثت على المواساة في الشيء القليل[٦]، وعددها تسعة وخمسون مثلًا، ويشير في نهايتها إلى أنّه أخذها عن هذه المسودة بقوله: ((إلى هاهنا هو ما نقلته من مسودة ابن العميد))[٧].

وبالإضافة إلى الأمثال نقل منها أبياتًا، وصرّح بأنّه أخذها عن هذه المسودة بقوله: ((وكان فيها أيضًا أبيات، وهي في تشبيه الذوائب بالكَرْم والعناقيد))[٨]، وأورد

---

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ٧١ ـ ٧٥ ، ٧٩ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ٧٤ .

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ٨٠ .

(٤) ينظر: البصائر والذخائر: ٩ / ٥٠ .

(٥) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ١٦٢ ـ ١٦٧ .

(٧) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ١٦٧ .

(٨) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ١٦٧ ـ ١٦٩ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

التوحيدي عن ابن العميد أخبارًا أخرى لا نعرف إن كانت تنتمي إلى هذه المسودة أم لا[١].

والكتاب الثالث نعتقد أنّه مسودة لأبي سعيد السيرافي تدلنا على ذلك قرائن أوردها التوحيدي أثناء نقله من هذه المسودة، ففي الجزء السابع من كتابه (البصائر والذخائر) يورد خبرًا يقول في بدايته: ((نقلت من خط أبي سعيد السيرافي ...))[٢]، ويقول في تعليق له على حديث أحد آل صوحان في نهاية خطبة لعبد الملك بن مروان: ((هكذا وجدتُ بخط السيرافي، وما رأيت له إسنادًا))[٣]، ويورد أبو حيان قولًا نصّه: ((يقال كل شيء إذا كثُر رَخَص إلّا العقل، فإنّه إذا كثُر غلا هذه من جيد الكلام، هكذا كان بخط أبي سعيد فنقلته على هيئته))[٤]، ثمّ ينقل خبرًا مشهورًا فيقول في نهايته: ((هكذا وجدتُ بخط السّيرافي، والخبر مشهور، إلّا أنّني أنستُ بخطه))[٥]، ويتضح من قوله هاهنا أنّه يثق بالسيرافي أكثر من غيره، كما ذكرنا سابقًا، وكذلك يروي خبرًا فيقول في آخره: ((كذا كان بخط السيرافي))[٦].

ويروي أبو حيان قولًا فيه عبارة نابية فيقول: ((هكذا كانت هذه اللفظة بخط السيرافي، ونقلتها كما وجدتها، ولولا أنّني وجدتها بخط هذا الرّجل ما تجاوزت روايتها))[٧]، وهذا النّص يصوّر لنا حرص التوحيدي وأمانته في النّقل والرواية .

---

(١) ينظر: الصداقة والصديق: ١٧١ ، والبصائر والذخائر: ٦ / ١٨ ، ٩٦ .

(٢) البصائر والذخائر: ٧ / ١١٣ .

(٣) البصائر والذخائر: ٧ / ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٤) البصائر والذخائر: ٧ / ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٥) البصائر والذخائر: ٧ / ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٦) البصائر والذخائر: ٧ / ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٧) البصائر والذخائر: ٧ / ١٣٩ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وفي آخر نقوله من خط السيرافي يروي دعاءً ليحيى بن معاذ، ويقول في آخره: ((هذا آخر ما نقلته من خط السيرافي، ولم أُضِف إليه شيئًا من مواضع أُخر، وحكيت خطه وشكله...))[١].

أمّا الشعر فيظهر أنّ أبا حيان اعتمد على مجموعة كبيرة من دواوين الشعراء، كثير منها لم يصل إلينا، فقد أورد أبياتًا كثيرة من دون ذكر المصدر أو الكتاب التاريخي الذي أخذها عنه[٢]، أمّا ما ذكره من دواوين فمنها ديوان امرئ القيس برواية السكري[٣]، وذكر ديوانًا لرؤبة؛ إذ يقول: ((هكذا رأيته في كتابٍ عتيق فيه أراجيز رؤبة بتفسير أبي عمرو، ولا أدري مَن أبو عمرو ولعلّه المازني أو الشيباني))[٤]، وأورد أبياتًا للطرميّ ثمّ يذكر له ديوانًا فيقول: ((للطرمي ديوانٌ كبير، كان في أيام المعتمد، وله ترخيم طريف، وسمع المعتمد شعره فنال به هباته، وأمر فكتب ديوانه بالذهب، وديوانه مشهور، وإنّما دللتُ في هذا المكان عليه تعجّبًا منه))[٥]، وإذا تصفحنا كتب التوحيدي لاحظنا تنوعًا في اختياراته الشعرية؛ فقد أورد أشعارًا جاهلية، وإسلامية، منها ما قيل في عصر صدر الإسلام، ومنها أموية، وأورد كذلك أشعارًا عباسية، وكان يوردها أمّا للاستشهاد أو للرواية، وأحيانًا يوردها للمناسبة وتأكيد الكلام، كما نقل التوحيدي الشعر عن مجموعات شعرية، مثل نقائض جرير

---

(١) البصائر والذخائر: ٧ / ١٥٧ .

(٢) ينظر: الصداقة والصديق: ٤٣ ، ٧٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٩.

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ١٠٥ .

(٤) البصائر والذخائر: ٤ / ٢٢٩ .

(٥) البصائر والذخائر: ٤ / ٢٣٥ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

والفرزدق[١]، وحماسة أبي تمام[٢]، ووحشيات أبي تمام وحماسة البحتري[٣]، وكذلك نقل كثيرًا من الأشعار عن شيوخه، مثل الأندلسي[٤]، والسيرافي[٥]، وقرأ بعض الشعر على أبي سعيد[٦].

تحدّث التوحيدي عن النّقد الأدبي، لكنّه لم يفرد له كتابًا، وكان يعتزم إنشاء رسالة فيه سمّاها (الكلام على الكلام)[٧]، وإذا دققنا النّظر في آرائه النّقدية المتناثرة في مؤلفاته يتبين لنا أنّه يهتم بالقيم الجمالية للنّص الأدبي سواء كان نثرًا أم شعرًا.

وسبق أن ذكرنا أنّه قرأ كتب الجاحظ، وتأثر به؛ بوصفه أديبًا، وإذا نظرنا لأبي عثمان بوصفه ناقدًا، سنجد أنّ أبا حيان متأثّرًا بآرائه النّقدية، بل إنّ الجاحظ أسهم في تكوين الفكر النّقدي لأبي حيان التوحيدي؛ ففكرة تأليف كتابه (البصائر والذخائر) أخذها عن (البيان والتبيين)[٨].

ويورد قولًا ذكره الجاحظ في كتاب (النّحل)[٩]، ـ وكان مذكورًا في كتاب الرتب لأبي عثمان أيضًا[١٠]ـ لعبد الله بن محمّد بن عبد الملك الزيات في بني هاشم أنّهم ((ملح الأرض، وزينة الدنيا، وحلْيُ العالم، والسّنام الأعظم، والكاهل الأضخم، ولباب

---

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ٧ / ٨٩ ـ ٩٠ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ١٨٢ .

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ٩٥ .

(٤) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ١٢٧ .

(٥) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٢٦ ، ٢٧ ، و٤ / ٥٨ ، و٦ / ٥٥ .

(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٦ / ١٩٦ .

(٧) ينظر: المقابسات: ٢٤٦ .

(٨) عن الدكتورة شيماء فاهم أستاذة النّقد القديم في محاضرة بتاريخ : / / ٢٠٢٠.

(٩) ينظر: البصائر والذخائر: ٢ / ٨١ ـ ٨٣ .

(١٠) ينظر: البصائر والذخائر: ٢ / ٨٣ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

كلِّ جوهر كريم، وسرّ كل عنصر شريف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، وهم النّصاب الوثيق، ومعدِنُ الفهم، وينبوع العلم ...))[١]، فيتناول النّص بالشك والتساؤل؛ فـ ((عليه سمة كلام أبي عثمان ونوره))[٢]، وهو هاهنا قد يكون قصده أنّه للجاحظ نفسه .

ثمّ يزيد بالشك فيقول: ((ثمّ لا أدري كيف الحال فيما عدا هذا الظاهر من الباطن؛ لأنّ الباطن لا يستقر معه اليقين، ولا تثبت عليه الشهادة، وإنّما ينقسم فيه الظنّ والتوهّم والحقيقة من ذلك على بُعد))[٣].

وبالإضافة إلى ما ذكرنا من كتب الجاحظ فقد أورد له التوحيدي رسالةً طويلة كتبها في ذمّ أخلاق محمّد بن الجهم، ومدح ابن أبي دواد[٤].

لقد اعتمد التوحيدي على كتابَين مهمّين في موضوع النّقد الأدبي، وهما: (عيار الشعر) لابن طباطبا العلويّ (٣٢٢هـ)، وهو بين أيدينا اليوم، والثاني كتاب للنّاشئ الأكبر في النّقد، ولم يصل إلينا إلّا أنّ التوحيدي كان معجبًا به أشدّ الإعجاب، وقد عبّر عن ذلك بقوله: ((وما أصبت أحدًا تكلّم في نقد الشعر وترصيفه، أحسن ممّا أتى به النّاشئ المتكلّم، وإنّ كلامه ليزيد على كلام قدامة وغيره، وله مذهب حلو وشعر بديع واحتفال عجيب))[٥]، ويورد له أبياتًا مطلعها[٦]:

ومدامة لا يبتغي مِنْ ربِّهِ أحدٌ حَباهُ بها لديه مزيدًا

---

(١) البصائر والذخائر: ٢ / ٨١ ـ ٨٣ .

(٢) البصائر والذخائر: ٢ / ٨٣ .

(٣) البصائر والذخائر: ٢ / ٨٣ .

(٤) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٤٢ .

(٥) البصائر والذخائر: ٥ / ١٠٩ .

(٦) البصائر والذخائر: ٥ / ١١٠ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ثمّ يذكر التوحيدي أنّ ابن طباطبا العلويّ نسبها في (عيار الشعر) إلى فلان الهمذاني، فيرفض هذه النّسبة، فهي في نظره للنّاشئ الأكبر، مستندًا إلى دليل وحجّة؛ إذ يقول: ((وإذا رأيت تلك الرواية محرفة، والعبارة فاسدة، علمت بأنّ سارقًا سرق، ومنتحِلًا انتحلَ، والغارة من الكتاب والمصنفين شديدة على ما سلف للمتقدمين))[١].

ويعد كتاب (عيار الشعر) من أهمّ مصادر أبي حيان النّقدية، ونقل منه نصوصًا مطولة[٢]، ومن ذلك قوله في ما ينبغي ((قال ابن طباطبا في عيار الشعر: وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعر وتنسيق أبياته، ويتصل كلامه فيها ...))[٣]، وفي قيمة الشعر يقول: ((وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظامًا يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله، فإن قُدّم بيتٌ على بيتٍ دخله الخلل ...))[٤].

وكما فُتن التوحيدي بالجاحظ كأديب فُتن بالنّاشئ الأكبر (٢٩٣هـ) كناقدٍ، حتى أنّه فضّله على جميع النّقاد في عصره[٥]، وأورد عنه أخبارًا تناولت مطالع القصائد[٦]، وحدّ الشعر[٧]، ومخاطبات النّساء تحلو من الشعر وتعذب في القريض[٨]، وروى عنه اختيارات من شعره [٩]، ومن أشهر الكتب النّقدية التي ذكرها

---

(١) البصائر والذخائر: ٥ / ١١٠ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٥ / ١٠٨ ، و٧ / ٢٨ ، ٣٠ ، ٨٨ ـ ٩١ ، ٩٦ ـ ١٠٦ .

(٣) البصائر والذخائر: ٧ / ٨٨ .

(٤) البصائر والذخائر: ٧ / ٩١ .

(٥) ينظر: البصائر والذخائر: ٥ / ١٠٩ .

(٦) ينظر: البصائر والذخائر: ٥ / ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

(٧) ينظر: البصائر والذخائر: ٥ / ٢١٨ ـ ٢١٩ .

(٨) ينظر: البصائر والذخائر: ٩ / ٢٥ ـ ٢٦ .

(٩) ينظر: البصائر والذخائر: ٥ / ١٠٩ ـ ١١٠ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، و٩ / ١١ ، ٦٦ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

التوحيدي كتاب (الحيوانات) لقدامة بن جعفر[١]، ويبدو أنّ أبا حيان قرأ مؤلفات قدامة الأخرى، ومنها كتابه (نقد الشعر)، وقد أشار التوحيدي إلى قدامة في معرض المفاضلة بينه وبين النّاشئ الأكبر الذي ألّف كتابًا هو الآخر سمّاه (نقد الشعر)، وقد مرّ بنا سابقًا، ولقدامة كتاب ثانٍ اسمه (نقد النّثر)[٢]، ونعتقد أنّ أبا حيان كان معجبًا بقدامة؛ إذ يقول فيه: ((وما رأيتُ أحدًا تناهى في وصف النّثر بجميع ما فيه وعليه غيّر قدامة ابن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه ...))[٣].

ويعد كتاب (الكامل) للمبرّد (٢٨٥هـ) من أهمّ مصادر أبي حيان النّقدية؛ إذ أورد عنه الأخير آراءً في النّقد، ومن ذلك قوله: ((ليس بِقِدَم العهدِ يفضلُ القائل، ولا بحدثان عهْدٍ يُهتضم المصيب، ولكن يُعطى كلُّ ما يستحقّ، ألا ترى كيف يفضل قول عمارة بن عقيل ...))[٤].

وقرأ التوحيدي رسالةً لـ (ابن المقفّع) كتبها في معايب آل سليمان[٥]، وكذلك أصاب رسالةً رسالةً لـ (سهل بن هارون) كتبها في مثالب الحرّاني[٦]، ورأى أيضًا رسالة لـ (سعيد بن حُميد) في فضائح آل عليّ بن هشام[٧]، وأشار إلى رسالةٍ لـ (أبي

(١) ينظر: البصائر والذخائر: ١ / ٥ .

(٢) قام بتحقيقه الدكتور طه حسين ، مطبعة دار الكتب المصرية .

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٤٥ .

(٤) البصائر والذخائر: ٦ / ٢٠٥ .

(٥) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٧١ .

(٦) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٧٢ .

(٧) ينظر: البصائر والذخائر: ٧٢ ـ ٧٣ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

بكر الصولي) في ذم بعض بني المنجم[١]، ووجد التوحيدي رسالة أفادها عن أبي محمّد العروضي لابن حمّاد في ابن مقلة[٢].

ويورد لنا التوحيدي أبياتًا عن أبيض العلوي الأفطسي يقول فيها[٣]:

وأنا ابنُ معتلجِ البطاحِ يَضمُّنِي ... كالدرِّ في أصدافِ بحـــرٍ زاخرِ

ينشـــقُّ عـنِّي رُكنَـها ومقامها ... كالجَفْنِ يُفتحُ عن سـوادِ النّاظرِ

كجبالـها شَرَفي ومـثلُ سُهُـولها ... خُلُقي ومثلُ ظِبائِـهنَّ مجـاوري

ثمّ يعلّق التوحيدي عليها بالقول: ((هذا والله كلامٌ فاخرٌ ومعنى عجيبٌ وسلاسة حلوة))[٤].

واطّلع التوحيدي على كتاب (المصون) لعلي ين عبيدة فأعجب بكلامه وأدبه رغم أنّه يجهل مذهبه وحقيقة شأنه وعادته فيقول: ((وكلامه في المصون كلامٌ يدلُّ على عقلٍ رزين وأدبٍ ظاهرٍ ...))[٥]، ويظهر أنّ ابن سعدان يثق بثقافة أبي حيان النّقدية فيوجه له طلبًا ليحدثه عن أبي سليمان السجستاني، و((عن درجته في العلم والحكمة))[٦]، ويعرف محله فيهما من محل عدد من علماء عصره[٧].

---

(١) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٧٣ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر: ٧٣ .

(٣) ينظر: البصائر والذخائر: ٤ / ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(٤) البصائر والذخائر: ٢١٤ .

(٥) البصائر والذخائر: ١٥١ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٣١ .

(٧) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٣١ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ويذكر التوحيدي خبرًا عن ابن جدار المصري عن أبي العميثل شاعر بني طاهر، عن أنّ النّعمان اسم من أسماء الدم، وأنّه ـ أي ابن العميثل ـ حدث به الأصمعي وكتبه، فيعلق التوحيدي مندهشًا فيقول: ((هذا غريب جدًّا، وليته وصله بشاهدٍ أو حديثٍ، أو مثال أو كتاب، فليس كلُّ مُرْسَلٍ مقبولًا ولا كلُّ عارضٍ ثابتًا، ولولا الشاهد والمثل وقفت الرواية وانتهى العلم وسقط التفاضل))[١].

إذن فالتوحيدي في هذا النّص يطالب الراوي بالدليل، ويضع شروطًا لقبول الرواية، وفي حال عدم توفر هذه الشروط يجب ردها، وهو عندما يتحدث عن ابن الخمار يبين لنا صورة عن النّقد الأدبي، وعن أسسه، ففي سياق الإجابة عن سؤال الوزير ابن سعدان .

يتحدث التوحيدي عن ابن الخمار فيقول: ((وأمّا ابن الخمار ففصيح، سَبْط الكلام، مديد النّفس، طويل العنان، مرضيُّ النّقل، كثير التدقيق، لكنّه يخلط الدرّة بالبعرة، ويفسد السمين بالغثِّ، ويرقع الجديد بالرثِّ، ويشين جميع ذلك بالزَّهْو والصّلَف، يزيد في الرّقم والسوم، فما يجد به من الفضل يرتجعه بالنّقص...))[٢].

نلاحظ مقاييس أبي حيان في نقده لهذا العالِم الفصيح والبسيط في لغته، الدقيق في ترجمته، ثمّ يبين مفاسده من الكذب والتلفيق والمغالاة، ويتزيد في حديثه ويظهر أنّ هذا السياق من النّقد الأدبي كان متّبعًا في ذلك الوقت .

وأورد التوحيدي رسالةً لأبي العباس المبرّد في خبائث الحسن بن رجاء[٣]، ورأى

---

(١) البصائر والذخائر: ٧ / ١٦٨ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ٣٣ ـ ٣٤ .

(٣) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٧٣ ـ ٧٤ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

((رسالةً للعمري في رقاعات الفضل بن سهل ذي الرياستين))[١]، ويرى أبو حيان النّقد مذهبًا لكثير من هؤلاء، ويضيف عليهم كثيرًا من الشعراء وأصحاب النّظم الذين هم كالطّمِّ والرمِّ[٢]، فهم لا يكسبون الأموال والهباة إلّا بهذا المذهب، وهم يعمدون إلى الهجاء المنكر، واللفظ الموجع والتعريض، والقذع المؤلم، وهو يحاول أن يبرر ما ذهب إليه من ذمّه للوزيرين ابن العميد والصاحب بن عباد، إلّا أنّ هذا النّقد من وجهة نظر التوحيدي يجب أن يكون مداره ((الصدق في القول ، وعلى تقديم الحقّ في العَقْد، وقصْد الصواب عند اشتباه الرأي وغلبة الهوى))[٣].

ومن القضايا النّقدية التي اهتم بها أبو حيان قضية اللفظ والمعنى، فالغالب عليه أنّه لا يفرّق بينهما، بل يميل إلى التسوية بينهما، ولهذا يقول: ((لا تعشق اللفظ دون المعنى ولا تهو المعنى دون اللفظ))[٤]، فهو يقف من هذه القضية موقفًا وسطًا، فالجمال يتحقق بالاهتمام بهما معًا، فما ((أكثر مَن رُدَّ صالح معناه لفاسد لفظه ...))[٥].

وقد أورد عن القومسي كلامًا حول اللفظ والمعنى، وانتهى إلى نتيجة أنّ المعاني جواهر النّفس واللفظ مستمد منها ((بحسب الملابسة التي تحصل له من نور النّفس، وفيض العقل، وشهادة الحق، وبراعة النّظم))[٦]، أي: إنّ اللفظ بمقدار ما يأخذ من المعنى يكون حقّه من الجزالة أو التوسط[٧].

---

(١) أخلاق الوزيرين: ٧٤ .

(٢) الطّم: البصر ، والرّم بالكسر: الثرى .

(٣) ينظر: أخلاق الوزيرين: ٧٤ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ١ / ١٠ .

(٥) أخلاق الوزيرين: ١٤ .

(٦) المقابسات: ١٤٥ .

(٧) ينظر: المقايسات: ١٤٤ ـ ١٤٥ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

وقد اهتم أبو حيان بقضية المفاضلة بين النّظم والنّثر، وأوردها في كتابيه (الإمتاع والمؤانسة)[١]، و(المقابسات)[٢]، وهي من القضايا النّقدية المهمّة، فالنّثر في القرن الرابع أصبحت له مكانة مهمّة ((ومنشأ هذه المشكلة فلسفي الطابع فقد هؤلاء المفكرون ما حام حوله الفكر الفلسفي من أمر التفاوت بين الخطابة والشعر في حظهما في الصدق والكذب وأنّ الخطابة ـ وهي إقناعية ـ متساوية الصدق والكذب، أو صادقة بالمساواة))[٣]، وكانت مجالس الأدب مشحونة بالكلام والمنافسة والجدل والمناظرات، وانقسم العلماء على ثلاث فرق، الأولى ذهبت إلى تفضيل النّثر على النّظم، وقد سمع التوحيدي أبا عابد الكرخي صالح بن علي يقول: ((النّثر أصل الكلام والنّظم فرعه، والأصل أشرف من الفرع ...))[٤]، وذهب معه جماعة في تفضيل النّثر على النّظم، منهم عيسى الوزير، الذي يرى أنّ النّثر من قبل العقل، والنّظم من قبل الحس[٥]، أمّا أحمد بن محمّد كاتب ركن الدولة فيرى أنّ النّثر أشبه بالوشي، والنّظم أشبه بالنيّر المخطط، والوشي يروق أكثر من غيره[٦]، ومن الذين ذهبوا إلى تفضيل النّثر ابن هندو الكاتب، وابن كعب الأنصاري[٧]، أمّا القائلون بأفضلية النّظم فـ ((من هؤلاء العلماء الذين كانت سماء علمهم دروراً، وبحر أدبهم متلاطمًا ...))[٨]، وأغلبهم من الشعراء كالسلامي الذي يرى ((من فضائل النّظم أنْ

(١) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: الليلة الخامسة والعشرون: ٢ / ١٣٠ وما بعدها .

(٢) ينظر: المقابسات: المقابسة (٦٠): ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

(٣) تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، ط٤ ، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م: ٢٣٢ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٣٢ .

(٥) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٣٤ .

(٦) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٣٥ .

(٧) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٣٥ .

(٨) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٣٥ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

صار لنا صناعة برأسها، وتكلّم النّاس في قوانينها ...))[١]، أمّا ابن نباتة فيرى أنّ الشواهد لا توجد غلّا في النّظم، وكذلك الحجج، فالعلماء يقولون: ((قال الشاعر، وهذا كثيرٌ في الشعر، والشعر قد أتى به))[٢]. إذن فالشاعر هو صاحب الحجّة، كما أنّ الشعر هو الحجّة[٣].

ومن الذين فضّلوا النّظم الخالع؛ إذ يقول: ((للشعراء حلبة وليس للبلغاء حلبة ...))[٤]، وذهب إلى أنّ الجوائز للشعراء وليت للبلغاء[٥].

وأمّا الفريق الثالث فمثّله أبو سليمان السجستاني الذي مال إلى التوافق بين النّثر والنّظم؛ إذ يقول: ((للنّثر فضيلته التي لا تنكر، وللنّظم شرفه الذي لا يُجْحد ولا يُستر؛ لأنّ مناقب النّثر في مقابلة مناقب النّظم، ومثالب النّظم في مقابلة مثالب النّثر، والذي لا بد منه فيهما السلامة والدقة، وتجنّب العويص، وما يحتاج إلى التأويل والتخليص))[٦].

إذن، فالتوحيدي قد أخذ عن كبار علماء الأدب والنّقد في عصره، سواء أ كانوا من العرب أم العجم، وقرأ أمّهات الكتب الأدبية، والنّقدية، وتأثر بما سمع، وقرأ، وكان مميزًا في آرائه، واختياراته وذوقه المرهف، فكان أديبًا وناقدًا في الوقت نفسه.

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٣٦ .

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٣٦ .

(٤) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٣٦ .

(٥) ينظر: الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة: ٢ / ١٣٩ .

Remove Watermark
Wondershare PDFelement

الخاتمة

Wondershare PDFelement

Remove Watermark Wondershare PDFelement

- عاش التوحيدي في حقبة غامضة اتسمت بالاضطرابات والانقسام والفوضى على المستوى السياسي، لكنّها كانت أزهر العصور ثقافيّاً، وعلميّاً، وقد طالب أبو حيان بأن تكون المكانة العظمى للعلماء، وأن تعقد له الرياسة، ويمدُّ له الجاه، فحُرم ذلك، ولم يُنصف من قبل السلطة.
- لم يهتم التوحيدي بذكر تفاصيل حياته بقدر اهتمامه بالنّص، وإبراز مكانته العلميّة وثقافته الموسوعيّة؛ لذلك ظلت هناك جوانب غامضة من حياته، منها أنّ المؤرخين لم يتفقوا على أصله وسيرته، وحتى تاريخ مولده ووفاته.
- لقد أخذ أبو حيان أغلب علومه ومعارفه عن طريق المشافهة، فكان يحضر المجالس الفكرية والأدبية، ويدوّن أقوال شيوخه، ويروي عنهم بشكلٍ مباشر من دون ذكر السند أو المصدر، وأغلب هذه النّصوص يوردها متحللة من مرجعيّاتها، وأحياناً يذكر السند، وكان لهذه المجالس الأثر البالغ في رفده بمختلف العلوم والمعارف.
- تأثّر التوحيدي على المستوى الديني بآراء بعض شيوخه، أمثال المروروذي، والقفال والرماني، وغيرهم، وكان يدعم مواقفهم، ويميل إلى آرائهم، ويتخفى خلفهم.
- درس التوحيدي علوم الفلسفة والمنطق وعلم النّجوم على شيخه السجستاني الذي شكّل معالم شخصيته، وكذلك تأثّر أبو حيان بآرائه في الأدب والنّقد.
- أخذ أبو حيان عن شيخه السجستاني أغلب علوم اليونان، وقد عُرف عن التوحيدي ولعه بالفلسفة والمنطق، وعلوم الأوائل، ورغم أنّه لم يكن من المترجمين إلّا أنّه أخذ الكثير من الثقافة اليونانية عن أستاذه أبي سليمان، وأورد عنه أخباراً كثيرة، وعرض لآرائه الفلسفيّة، ولم ينصف السجستاني من تلامذته ومعاصريه كما أنصفه أبو حيان.
- كان لأبي سعيد السيرافي الأثر الواضح في شخصية التوحيدي وأسلوبه، وكان الأخير يثق به ويرجع إليه فيما يصعب عليه من مسائل اللغة والأدب.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

- لقد تفرّد أبو حيان بروايتين غاية في الأهمية؛ الأولى مناظرة جرت بين أستاذه السيرافي ومتّى بن يونس القنائي عن المنطق اليوناني والنّحو العربي، والثانية هي الرواية التي تتصل بإخوان الصفا، وعنه عُرفت هذه الجماعة.
- قرأ أبو حيان كتباً لسابقيه وتأثّر بهم، وأخذ عنهم، وأشار إلى مؤلفاتهم، إلّا أنّه لم يُعجب بأديبٍ كالجاحظ؛ فقد فُتن به وأولع بكتبه، وكان أثره واضحاً في كتاباته.
- إنّ مهنة الوراقة التي عمل بها التوحيدي سهّلت له الاطّلاع على علوم ومعارف كثيرة عربيّة وأعجمية، وفتحت له آفاقاً واسعة لتحقيق ما يطمح إليه من مكانة علميّة آنذاك.
- لم يترك التوحيدي طريقاً لتحصيل العلوم والمعارف إلّا سلكه، فإلى جانب حضوره المجالس الفكرية والأدبية أصرّ أبو حيان على النّزول إلى البادية ليتزوّد منها بالأسلوب الفطري العربي الخالص من العجمة والألفاظ الدخيلة على اللغة العربية الأصيلة من خلال مشافهة الأعراب.
- نلاحظ أنّه أورد كثيراً من الأخبار متحللة من مرجعياتها، يبدو هذا واضحاً في كتابه (البصائر)، فهو لا يذكر سلسلة رواة الحديث الشريف، وكذلك يورد كثيراً من الروايات من دون سند، ويورد كثيراً من الأشعار والأقوال بالطريقة نفسها؛ لذلك على الباحث أن يرجع إلى كتب التفسير، وكتب التاريخ والدواوين الشعرية، وأحياناً يقوم التوحيدي بذكر السند، فيذكر شخصاً واحداً أو اثنين من سلسلة الرّواة، وفي بعض الأحيان يذكر السند كاملاً.
- حاول الرّجل أن يكون منفتحاً على جميع الديانات والمذاهب، ولم ينسب نفسه إلى فرقةٍ إسلاميّة معيّنة أو مذهب محدد إلّا أنّه أظهر ميلاً واضحاً إلى المذهب الشافعي، وتعرّض بالنّقد إلى المذهب الحنفي والمذهب الحنبلي، ودرس على كبار علماء الشيعة، أمثال القمّي، وابن رباط الكوفي، وعلي بن عيسى الرمّاني وكان يناديه الشيخ الصالح.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

- من خلال النّظر في مؤلفات التوحيدي يظهر أنّه تأثّر بالعلوم العقلية أكثر من العلوم النّقلية، وكان يدعو إلى العقل في كتاباته.
- فضلاً عن العلماء العرب المسلمين اتصل أبو حيان بعلماء يهودٍ، أمثال وهب بن يعيش الرقّي، وكذلك اتصل بعلماء نصارى كيحيى بن عدي وعيسى بن زُرعة، وتتلمذ على يديهما، وروى عنهما، وعرف التوحيدي علماء الصابئة وسمع منهم، أمثال شيخه الحرّاني، وكان له صديقٌ من هذه الديانة، وهو أبو إسحاق الصابي، وروى، أيضاً، عن العلماء المجوس، أمثال ماني المجوسي، وفيروزان المجوسي وغيرهم.

وختاماً، أدعو الباحثين إلى قراءة كتابات هذا الرّجل؛ ليفيدوا من علمه وأدبه، وتنوّع موضوعاته، فلعلّه يُنصف بعد ما نال من إهمال وتجاهل.

Wondershare PDFelement

Remove Watermark
Wondershare PDFelement

المصادر والمراجع

Wondershare PDFelement

Remove Watermark Wondershare PDFelement

ـ القرآن الكريم

أولاً: الكتب

- أبو حيان التوحيدي، د. إبراهيم الكيلاني ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر .
- أبو حيان التوحيدي، د. أحمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر، مطبعة الرسالة.
- أبو حيان التوحيدي، د. إحسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٦.
- أبو حيان التوحيدي، د. محمود إبراهيم ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، لبنان .
- أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ، زكريا إبراهيم، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- أبو حيان التوحيدي بين الزندقة والإبداع، د. محمد عمايرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧.
- أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب والنّقد، مجمد عبد الغني الشيخ، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣ .
- أبو حيان التوحيدي، سيرته ـ آثاره، عبد الرزاق محي الدين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت .
- أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، د. عبد الأمير الأعسم، ط٣، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦ .
- أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء ـ وأديب الفلاسفة، أحمد عبد الهادي، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٧م.
- أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، محمد علي الصباح، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٠.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

- أدبية النّص السردي عند أبي حيان التوحيدي، د. حسن الملطاوي، مكتبة مدبولي، ١٩٨٩ .
- الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي، د. علي الدب ، ط٢ ، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠م.
- أخلاق الوزيرين، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢ .
- الإشارات الإلهية، أبو حيان التوحيدي، تح: عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأولى، القاهرة.
- أصداء المجتمع والعصر في أدب أبي حيان التوحيدي، نور الدين بلقاسم، ط١، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ليبيا ـ طرابلس، ١٩٨٤ .
- أصول الفلسفة العربية، يوحنا قمير، دار المشرق، ط٦، بيروت، ١٩٩١.
- الأعلام، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٢ .
- ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي، د. طيبة صالح الشذر، القاهرة، ١٩٨٩ .
- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تح: أحمد أمين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٤ .
- أمراء البيان ، محمد كرد علي ، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠١٢ .
- بداية المعرفة، الشيخ حسن مكي العاملي، دار الزهراء، قم ، إيران.
- بغية الوغاة، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، مطبعة عيسى الحلبي.
- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

- البلغة في تراجم أئمّة النّحو واللغة لمجد الدين الفيروزآبادي ، تح: محمد المصري ، دار سعد الدين ، دمشق، ٢٠٠٠م .
- البنية السردية في كتاب الامتاع والمؤانسة، ميساء سليمان الإبراهيم ، الهيأة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١.
- تاريخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (٧٤٩هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٦ .
- تاريخ الأدب عصر الدول والإمارات ، د. شوقي ضيف ، ط٢ ، دار المعارف.
- تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، ط٤ ، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
- التأصيل النظري لمصطلح المرجعية ، سلاف بعزيز، جامعة الشهيد حمة لخضير ـ الوادي.
- تراث التوحيدي بين الأدب والفلسفة، د. عماد محمود أبو رحمة، ط١، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ٢٠١٣
- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية .
- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، د. زكي مبارك، دار سعد الدين للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢.
- تطور الأساليب النّثرية في الأدب العربي ، أنيس المقدسي ، منشورات الدائرة العربية في جامعة بيروت .
- التمويه اللغوي في التواصل الإنسانيّ دراسة لسانية للباحث م. د. سعد صبار عبد الباقي، جامعة الفلوجة، كلية العلوم الإسلامية، العدد عشرون.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي (٦٧٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- التوحيدي وقراءة جديدة في الإمتاع والمؤانسة، محمد الحبيب حمادي، صفاء للنشر والتوزيع والصحافة، تونس، ١٩٧٤.
- الثقافة الإسلامية، د. مصطفى مسلم، د. فتحي محمّد الزغبي، إثراء للنّشر، الأردن ، عمان.
- ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي، عني بتحقيقها ونشرها د. إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥١.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الحور العين، أبو سعيد نشوان الحميري (ت٥٧٣هـ)، تح: كمال مصطفى، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٤٨ .
- خلاصة التوحيدي، جمال الغيطاني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٥.
- خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السنة، فخر الدين الرازي، تح: أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت .
- ديوان المتنبي بشرح العكبري ، تح: مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة الحلبي وأولاده بمصر .
- ذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع محمّد بن الحسين (٤٨٨هـ) ، مطبعة فرج الله زكي ، مصر .
- ستراتيجيات القراءة السردية في التراث العربي الإمتاع والمؤانسة أنموذجاً، د. أوراد محمد، دار أمل الجديدة للطباعة والنشر.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ) ، تح: شعيب الأرنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣م.
- الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: د.إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨.
- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (٧٧١هـ)، تح: محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية.
- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة الدمشقي، تح: الحافظ عبد العليم خان، ط١، دار المعارف العثمانية.
- ظهر الإسلام، د. أحمد أمين، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت .
- الفتح المبين في طبقات الأصوليين، الشيخ عبد الله مصطفى المراغي، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر .
- علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، ط٢، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة.
- الفكر الجمالي عند التوحيدي ، د. عفيف بهنسي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٩ .
- فيض الخاطر، د. أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، ٢٠١١ .
- فلسفة الجمال والفن عند أبي حيان ، د. حسين الصدّيق، ط١، دار الرفاعي، حلب، سوريا، ٢٠٠٣.
- الفهرست، ابن النديم، تحقيق: أحد أساتذة الجامعة المصرية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

- قراءة الكسائي من القراءات العشر المتواترة، أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ .
- القيم الجمالية عند بعض مفكري الإسلام دراسة تحليلية ، د. إيمان عبد المؤمن محمّد ، جامعة الاسكندرية.
- كشف الظنون، حاجي خليفة، تحقيق: محمد شرف الدين، ورفعت بيلكة الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.
- كنايات الأدباء لأبي العباس الجرجاني (٤٨٢هـ) ، تح: د. محمود شاكر القطان ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩١٦م.
- الله والإنسان في فلسفة أبي حيان، حسن الملطاوي، مكتبة مدبولي، ١٩٨٩.
- لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ) ، تح: محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ١٩٩٩ .
- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٨٥٣هـ)، مكتبة المطبوعات الإسلامية، تح: عبد الفتاح أوغدة.
- المجتمع والرؤية، الحبيب شبيل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣.
- المسامرات والمحاضرات، محي الدين بن عربي ، ط١ ، الطبعة العثمانية.
- مطالع البدور في منازل السرور، علاء الدين بن عبد الله الغرولي، ط١، مطبعة إدارة الوطن، ١٢٩٩هـ.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، ط١، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٣ .
- معجم المصطلحات الأدبية، سعيد علوش، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥م. .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

- المعجم المفصل في اللغة والأدب، محمّد التنوجي، ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.
- المعجم الوسيط ، مجموعة من اللغويين منهم د. شوقي ضيف في مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٤ .
- المقابسات لأبي حيان التوحيدي ، تح: حسن السندوبي ، ط٢ ، دار سعاد الصباح ، ١٩٩٧ .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة، أحمد بن مصطفى طاش كوبري زاده، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٥م.
- مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دنيس كوش، ترجمة: د. منير السعيداني، مراجعة: الطاهر لبيب، ط١، المنظمة الغربية للترجمة، الحمراء ـ بيروت، لبنان، ٢٠٠٧.
- المقتنى في سرد الكنى لشمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ) ، تح: محمد صالح عبد العزيز ، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- ملامح النّثر العباسي ، د. عمر الدقاق ، دار الشرق العربي ، بيروت .
- من رسائل أبي حيان التوحيدي، د. عزت السيد أحمد، ط١، منشورات دار الرفاعي، ٢٠٠٣ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٧٤٨هـ) ، تح: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.
- النّثر الفني عند أبي حيان التوحيدي ، د. فائز طه عمر ، ط١ ، بغداد ، ٢٠٠٠ .
- النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية، بيروت .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

- نزعة الأنسنة في الفكر العربي، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، ١٩٩٧ .
- نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، د. وسيم إبراهيم، ط١، مطبعة جوهرة الشام، دار دمشق، ١٩٩٤.
- النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسن، فاطمة الطبال بركة ، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧.
- نظرية النّقد العربي وتطورها إلى عصرنا، محي صبحي، الدار العربية للكتاب، تونس.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي (٧٩٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ، ١٩٥٧م.
- الهوامل والشوامل، تح: أحمد أمين، والسيد أحمد صقر، مطبعة التأليف والترجمة والنّشر، ١٩٥١م .
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ) ، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين ابن خلكان (٦٨١هـ) ، تح: د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت.
- يتيمة الدهر، أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ)، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٣م .

ثانيا: الرسائل والأطارح الجامعية:

- أبو حيان التوحيدي ناقداً، أطروحة دكتوراه، بثينة سلمان محمد، كلية الآداب، جامعة اليرموك.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

- أبو حيان التوحيدي ناقدا، محمد همام، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، رسالة لنيل الدبلوم، ١٩٩٧_١٩٩٨.
- الإمتاع والمؤانسة عرض وتحليل، حنان أحمد رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، ١٩٩٦.
- البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي دراسة في ضوء تداوليات الخطاب، عذراء سعيد ، أطروحة دكتوراه ، ٢٠٢٠ .
- البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، رسالة ماجستير للباحثة آمال شيخ، جامعة المسيلة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٩ ـ ٢٠١٠.
- بلاغة الخطاب النثري عند أبي حيان التوحيدي، رسالة في الصداقة والصديق أنموذجاً، للباحثة جوهري سعاد، جامعة جيلاني ليابس، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ٢٠١٦ ـ ٢٠١٧.
- البيئة البغدادية في نثر أبي حيان التوحيدي، عدله عوض نزال، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٤.
- الجوانب التاريخية في مصنفات أبي حيان التوحيدي، ثامر عبد علي، رسالة ماجستير، جامعة ديالى، كلية التربية.
- رصف المباني في شروح حروف المالقي ، فدار حمدي رفيق ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح، نابلس ، ٢٠٠٦ .
- السردية العربية الحديثة الأبنية السردية والدلالية لعبد الله إبراهيم ، أطروحة دكتوراه ، أسماء حريري ، الجزائر ، جامعة محمّد .
- الشاهد النّحوي بين كتابَي معاني الحروف للرماني ورصف المباني في شروح حروف المالقي ، فدار حمدي رفيق ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح، نابلس ، ٢٠٠٦ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

- شعرية الخطاب السردي عند أبي حيان التوحيدي، سمير سوالمية، أطروحة دكتوراه، جامعة الأخوة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٨ ـ ٢٠١٩.
- في أشكال التعبير النثري، ياسر مخلص محمود، رسالة ماجستير، جامعة أهل البيت، كلية الآداب، ٢٠١٥ ـ ٢٠١٦ .
- قضايا المجتمع في أدب أبي حيان التوحيدي، آية محمد خلف، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، ٢٠١٦.
- المرجعيات الثقافية وبناء المتخيّل السردي ، رسالة ماجستير ، أحمد خالد مصطفى ، خديجة نادي ـ ثناء بن جدة ، كلية الآداب، جامعة العربي، الجزائر .
- المرجعيات السردية العربية الحديثة الأبنية السردية والدلالية لعبد الله إبراهيم، أطروحة دكتوراه ، أسماء حريري ، الجزائر ، جامعة محمّد .
- مجتمع القرن الرابع في مؤلّفات أبي حيان التوحيدي، وداد القاضي، رسالة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٩.
- مفهوم الأدب في مؤلفات أبي حيان التوحيدي، غالية أبو أسعد سلطان، رسالة ماجستير، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، ٢٠٠٠م .
- مفهوم الأخلاق عند أبي حيان التوحيدي، د. مجيد مخلف طراد، ط١، دار ميزوبو تاميا، بغداد، ٢٠٠٠.
- مفهوم الإنسان في أدب التوحيدي، سيناء العلي، رسالة ماجستير، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣ .
- الوراقة والوراقون في الدولة العباسية وأثرها في الحضارة الإسلامية ، هدى فرج محمد القطعاني ، رسالة ماجستير ، جامعة بنغازي، ٢٠١٧ .

Remove Watermark Wondershare PDFelement

- النّزعة النّقدية عند أبي حيان التوحيدي، كلية البنات، جامعة عين شمس، رسالة ماجستير، ١٩٨٩م.
- نقد الشعر عند أبي حيان التوحيدي، كامل يوسف محمود عتوم، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٢ .

ثالثا: البحوث المنشورة والدوريات:

- أبو حيان التوحيدي مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة، أيمن فؤاد، مجلة فصول، ١٩٩٥ .
- آراء أبي حيان التوحيدي في السياسة ، محمّد فوزي الجبر ، مجلة الزرقاء للدراسات والبحوث ، العدد الأول.
- تحليل مواقف أبي حيان التوحيدي ، مهدي عابدي ، جامعة أصفهان ، مجلة إضاءات نقدية .
- تشظي الأنا عند أبي حيان التوحيدي ، د. ظافر بن شبيب الكناني ، جامعة الملك خالد ، مجلة مقاليد، ع١١، ٢٠١٦.
- الخطاب الفكاهي في الإمتاع والمؤانسة دراسة في المرجعيات والدلالة ، د. سالم ذنون ، ود. محمد عادل محمّد، جامعة تكريت، مجلد ٢٠، عدد٢.
- مرجعيات التفكير النّقدي العربي الحديث ، بشير ابرير ، مجلة علامات، ع٤٩ ، م١٣ ، سبتمبر ، ٢٠٠٣ .
- المرجعيات في النّقد والأدب واللغة ، محمّد شندول ، جامعة اليرموك ، مؤتمر النّقد الدولي الثالث عشر.
- الوراقون في الموصل خلال العصور العباسية من القرن الرابع حتى نهاية القرن السابع الهجري، م. د. مها سعيد حميد ، جامعة الموصل ، مجلة دراسات موصلية، ٢٠١٧، العدد ٤٦.

Remove Watermark Wondershare PDFelement

Cultural references in the achievement of Abu Hayyan al-Tawhidi

Abu Hayyan al-Tawhidi is considered one of the most important prose writers in the fourth century AH. He mastered most of the sciences of his time, such as grammar, language, poetry, literature, jurisprudence, and speech until it was said about him that he was the individual of the world, who was unparalleled in intelligence and acumen .

Whoever studies the culture of Abu Hayyan al-Tawhidi and the tributaries of his thought and literature finds that he relied on many scientific councils at the time, including the councils of his teacher, Abu Suleiman al-Sijistani, the Council of Abu Saeed al-Sirafi, the Council of Ali bin Issa al-Ramani, and the Council of Abu Hamid al-Marroudi and many councils that were spread in Baghdad .

Abu Hayyan studied philosophy, logic, and astrology on Abu Sulayman al-Sijistani, while he took language on Abu Saeed al-Sirafi, and studied jurisprudence on Abu Hamid and hadith on the authority of Abu Bakr al-Aqal al-Shashi. He also studied literature on the authority of Sheikh Ali bin Issa al-Ramani

Critics admired Al-Tawhidi's style, the way he wrote it, the abundance of his knowledge and his erudition, and he was good at mixing philosophy with literature. He was acquainted with the sciences of the ancients and the history of the famous nations through what was translated into Arabic from the books of Greece and the previous nations and others

Among the references of Al-Tawhidi is his descent to the desert, and his book Insights and Al-Dakhkira was covered with the sayings of the Bedouins, their wisdom and poetry, and his news was narrated from them .

Al-Tawhidi was influenced by Muslim scholars who preceded him for a short period of time, and he did not meet them except that he read their books and admired them, including Ibn Al-Arabi, the author of the Book of An-Nawadir and Al-Mubarrad, the author of the book Al-Kamil, Ibn Qutayba, the author of the Book of Eyes, Thalab, the author of the Book of Councils, and Ibn Abi Al-Taher, the author of the Book of Al-Manzoom and

Remove Watermark Wondershare PDFelement

Al-Manthour, and Al-Souli, the author of the Kitab Al-Awraq. He did not like Al-Tawhidi With Adeeb Kabi Othman Al-Jahiz, he was influenced by his style and approach and was composed in his own way, and he used to refer to all his files.

Abu Hayyan al-Tawhidi lived in a mysterious and turbulent period in which chaos prevailed at the level of politics, but at the level of culture and science, it was one of the most prosperous eras, if not the best at all, so there remained mysterious aspects of the personality of al-Tawhidi. Scholars and raising their stature and prioritizing them over other classes of society, and because of this neglect and deprivation, Abu Hayyan deliberately burned his books in a strange incident of its kind in response to those who did not appreciate their value and value, but he left us books that clearly indicate that he was a lot of authors and novels

Wondershare PDFelement

Remove Watermark Wondershare PDFelement

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Al-Qadisiyah University

College of Arts

Arabic language Department

Cultural references in the achievement of Abu Hayyan al-Tawhidi

A thesis Presented by

Hashem Khudair Attia

To the Council of the College of Education / University of Al-Qadisiyah , It is one of the requirements for obtaining a master's degree in Arabic language and literature/ literature

Supervisor

Prof. Dr

Karim Al Masoudi

١٤٤٤ A.d ٢٠٢٢ A.m